دار العيدروس للكتاب الحديث

الموسوعة العسكرية التاريخية





روِمل

ثعلب الصحراء

البروفيسور

محمد حسن العيدروس

دار الكتاب الحديث

الموسوعة العسكرية التاريخية

رومل ثعلب الصحراء

الانتصار الألماني على القوات البريطانية

قيادة روملِ لتحقيق النصر من يناير إلى يونيو 1942

البروفيسور . د/ محمد حسن العيدروس

دار الكتاب الحديث

	العيدروس ، محمد حسن .
	روميل ثعلب الصحراء:الانتصار الألماني على القوات البريطانية- قيادة روميل لتحقيق النصر من يناير إلى يونيو 1942/ محمد حسن العيدروس . ـ ط1 . ـ القاهرة : دار الكتاب الحديث ، 2010
	342 ص ؛ 24 سم
	تدمك :978-977-350-282-3
	1- روميل ـ تاريخ عسكرى.
	أ ـ العنوان
953	

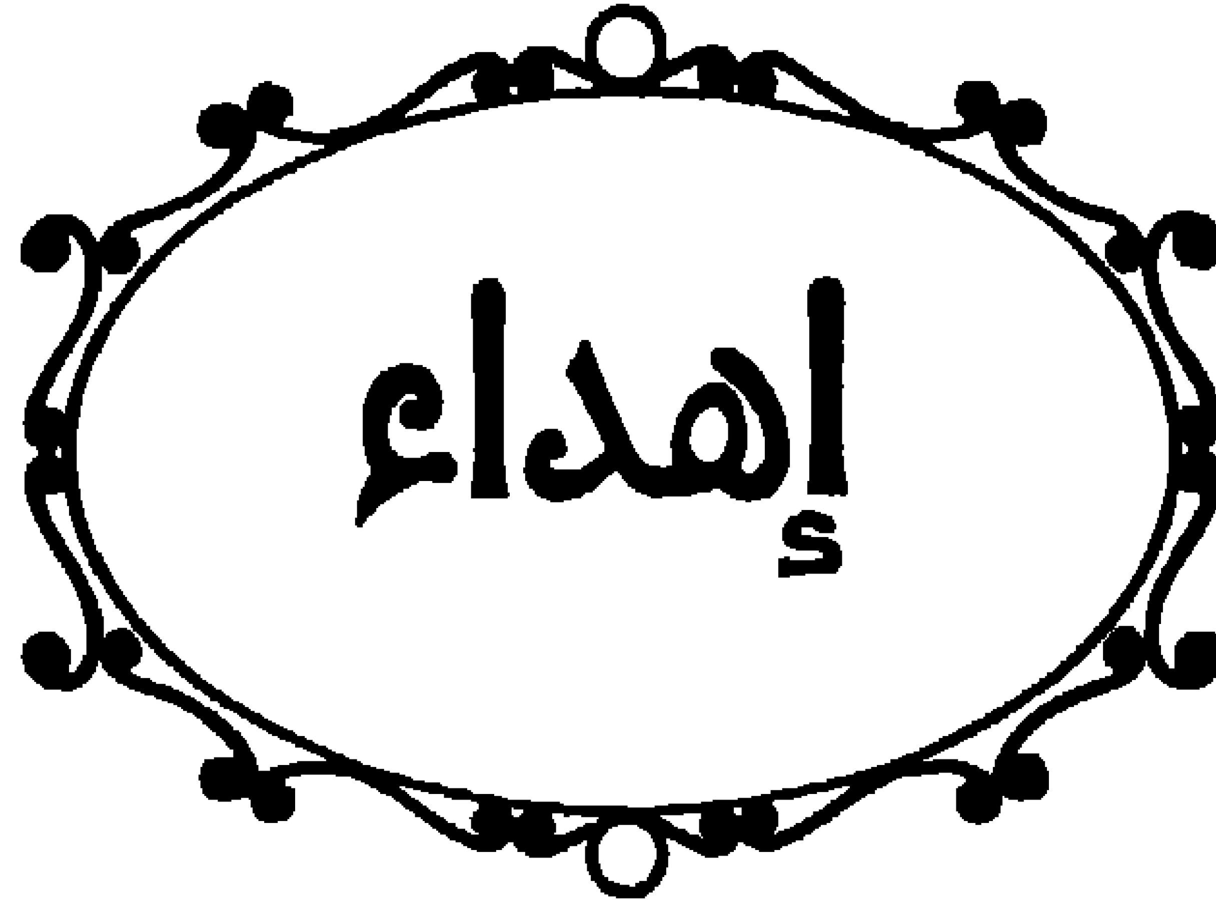
رقم الإيداع /2010/16043

1432 هـ / 2011 م

دار الكتاب الحديث

القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : 22752990 (202 00) فاكس رقم : 22752992 (202 00) بريد إلكتروني : dkh_cairo@yahoo.com
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني : ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	B. P. No 061 – Draria Wilaya d'Alger– Lot C no 34 – Draria Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 E-mail dk.hadith@yahoo.fr
الامارات	دار العيدروس للكتاب الحديث ص ب . 2855ابو ظبي هاتف 00971505932613 فاكس 0097126392062 email: alaidaroosgp@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء إلى والدى المرحوم السيد الشريف/

حسن أحمد علوى العيدروس

طيب الله ثراه والفاتحة إلى روحه

وإلى الشعب الألمانى لكى يعرف أبناءه الذين أخلصوا لوطنه ولشعبه إضافة إلى نبوغهم فى شتى المجالات ومنها الإستراتيجية والعبقرية العسكرية ومن هؤلاء القائد المارشال روميل.

وإلى أبناء المسلمين وخاصة عرب مصر وليبيا وتونس ليعرفوا ويفهموا التاريخ العسكرى والمعارك التى دارت على أرضهم فى الحرب العالمية الثانية.

من أقوال «رومل»:

«نادرا ما كانت الحرب مفيدة لأحد الذين يخوضونها، وتخوض الشعوب الحرب دون أن يؤخذ رأيها فيها، ولا بد من إيقاف الحرب فورًا عندما يتبين عقمها وانعدام نتائجها».

مقدمة

نلاحظ أن القـادة العـسكريين الألمان تلامـيـذ أكبر نجـابة بكثـيـر من معاصريهم الأمـريكيين وغيرهم فى دراسة المعارك الحربـية والتاريخ العسكرى ومن هنا تأتى أهمـية رومل الذى طغى اسمـه منذ عام 1941 على أسماء كل الجنرالات الآخرين، وكانت بداياته العسكرية من ألمع البدايات فمن عقيد رفع إلى فيلد مارشال، وكان رومل بعيدًا كل البعد عن الطموحات الشخصية وكان خارجيًا "Oursider" فى كل معنى هذه الكلمة، فـلم يكن يسعى إلى المراكز العليا فى هيئة الأركـان العامة، وكان نشاطه مقتصـرًا على المعارك والعمليات العسكرية سواء فى أوروبا أوخارجها مثل مـعاركه فى إيطاليا ورومانيا وبولندا وفرنسا وليبيا ومصر وتونس.

ولد رومل فى 15/ 11/ 1891 والتحق بالكتيبة 124 مشاة ضابطًا دارسًا عام 1910 وبعـد حضـوره فى مـدرسة المشـاة فى «دانيج - Danzing» عين ملازمًا عام 1912 وبرز رومل خصوصـًا كضابط صغير خلال الحـرب العالمية الأولى وتلقى أعلى وسـام «استـحقـاق» ألمانى بعـد هجوم «كـابورتيو» ضـد الإيطاليين فى عام 1917 كما شارك فى رومانيـا وفرنسا. بعد عام 1933 عين مدربًا عسكـريًا لفصائل الانقضاض الـتابعة للحزب النازى وكـان يعرف كيف يحاضر بصورة حـية ومفيدة وقد ساعده علـى ذلك أنه تمكن من توسيع أفقه بدراسـة العلم الجديد الـذى يسمى «الجـيو - بـوليتـيك» كتلـميـذ للأستـاذ «هانشرفـر»، وأصبح فيـما بعد مدربًا فى مـدرسة المشاة «بلدرسـد» ثم أصبح مدربًا فى مدرسـة «فاينر نوشتادت» وهى مدرسة أحـدث، وقد التقى به هتلر فى إحدى المرات واسـتمتع بنقـاش معه حـول الأساليب العـسكرية الجديدة،

وأعجب بإبداعه الذى وجده متجددًا ومنعشًا وعندما نشبت الحرب عين قائد لمقر القيادة الخاصة بالفوهرر وبعد الحملة البولونية عين قائد لإحدى الفرق المدرعة «البانزر» السابعة وقادها فى الهجوم على الغرب، حيث مثلت دورا بارزًا فى عملية اختراق نهر «الموز» والانقضاض باتجاه المانش ثم عبرت هذه الفرقة الجبهة الفرنسية على «السوم» بين «آبفيل» و«إميان» وقادت الاندفاع إلى «السين» بقرب «روان» وبعدها لقبت فرقة رومل باسم «فرقة الشبح».

أحدث رومل تأثيرًا كبيرًا فى العالم بسيفه وسلاحه العسكرى، وزاد من عمق هذا التأثير ببلاغة قلمه، لأن أى قائد آخر فى التاريخ لم يستطع كتابة قصة حملاته بطريقة تضاهى فى حيويتها وقيمتها كتابات رومل، علاوة على أن أى قائد آخر لا يستطيع تصوير عملياته وأسلوبه فى القيادة بمثل هذه الطريقة، كما أنه لا يمكن لأى قائد أن ينقل عن طريق الكتابة ديناميكية الحرب الخاطفة وسرعة قوات البانزر، وسنحس بالحركة السريعة والقرارات الحاسمة كثيراً خلال مذكراته، ولهذا كان اعتمادنا كبيراً على تلك المذكرات فى هذه الدراسة باعتبارها شاهدًا حى على الأحداث، إضافة إلى دقة المعلومات والملاحظات العسكرية التى تعطى قيمة علمية أكثر فى التاريخ العسكرى. وقد كان أغلب القادة العظام كتّابًا فاشلين، بجانب افتقارهم للمهارات الأدبية فى وصفهم لأعمالهم كانوا على الدوام ميّالين للغموض بالنسبة للطريقة التى يفكرون بها وفى وصفهم لأعمالهم. ولذلك لم يقدموا للأجيال التى تلتهم إلا القليل عن هذا الفن، أما كتابة رومل فكانت موضوعية للغاية، بالإضافة إلى كونها تفصيلية.

تتضمن هذه الدراسة إضافة إلى رومل وعائلته والقادة الألمان وبعض الأسئلة مثل رأى رومل فى قيادة هتلر السياسية والعسكرية، عندما رآها لأول

مرة عن قـرب؟ هل كان روما يؤمن بقـيمـة الشعب الألمانى؟ لماذا كـان البابا يميل إلى الألمان عن الحلفـاء؟ ما هى أسباب فـساد الحزب الفاشسـتى؟ كيف كانت خطة هتلر لتخليص موسولينى من الأسر؟ ما هو رأى رومل فى الجندى الإيطالى والبريطانى؟ لماذا اعتبر رومل الانقلاب ضد هتلر قبل الغزو خطأ؟ ما الأهمية الإستـراتيجية العسكرية للجبـهة فى الصحراء العربية فى مصـر وليبيا وتونس؟ هل كان هناك حل لانتـصار القوات الألمانية فى لـيبيا ومصـر؟ كيف تكون القيادة العسكرية الحديثـة؟ ما هو تعليق رومل على الحرب فى الصحراء العـربية فى مـصر ولـيبيـا والغزو فى أوروبا؟ هل التـعليم أسهل مـن إعادة التـعليم؟ هل هتلر هـو الذى قرر قـتل رومل؟ هـذه بعض الأسـئلة التى يتم إجابتها فى هذه الدراسة.

تحتوى الدراسة على عدة فصول منها:

الفصل الأول: سقوط بنغازى.

الفصل الثانى: غارة على حصن «لامى» فى تشاد فى 1942/1/21.

الفصل الثالث: معركة الغزالة من 5/26 إلى 1942/6/15.

الفصل الرابع: الاستيلاء على طبرق.

الفصل الخامس: رومل والقيادة البريطانية.

أتمنى فى الختام أن تكون هذه الدراسة قـد حققت أهدافها، وهى اطلاع القارئ الكريم بمجـريات الأمور والمعارك فى الصحجـراء العربية ابتدا مـن مصر إلى ليبـيا وتونس، وأهمـية هذه المنطقـة فى تاريخ أوروبا التى تعتـبر امـتداداً لتاريخها وخاصة إيطاليا وبريطانيا، إضافـة إلى عبقرية رومل فى الإستراتيجية العسكرية وكيفية إدارته للمعارك برغم قلة عدد الجنود الألمان والعتاد ومعاناتهم

من الإمـــداد، على عكس القــوات البريطانيــة التى كــانت تفوق الألمان عــدة وعتــاد، ولكن دون قيادة روميل وشـــجاعته وجنــوده الألمان. وبالتالى لا يمكن المقارنة بينهــما التى كانت لصالح بريطانيــا التى تحارب على أرضهــا فى مصر وجنودها من مستعمراتها الهند وأستراليا ونيوزلندا وجنوب أفريقيا وغيرها بكل إمكانياتها المادية والبشرية والإستراتيجية، فى حين كانت القوات الألمانية بعيدة عن وطنها وإمداداتها وغريبــة عن الأرض التى تقاتل عليها أو من أجلها ومن عليهــا، ومن هنا تأى أهمية هذه الدراســة ومعاركهــا فى الاستفــادة منها فى الإستــراتيجيــة والتاريخ العــسكرى والتى أتمنى أن أكون قــد وفقت فى إعطاء صورة أقرب إلى التكامل عن روميل وإستراتيجيته العسكرية ومعاركه وإنسانيته كقائد فى نفس الوقت.

البروفيسور د. محمد حسن العيدروس

أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية

مدينة البحر - العين

الإمارات العربية المتحدة

الفصل الأول

سقوط بنغازى

- هجوم روмل المضاد الثانى 1942/1/22.
- رومل يستولى على بنغازى.
- التمهيد لمعارك الصيف.

هجوم روميل المضاد الثانى:

14 - يناير 1942

كل شيء يتحرك هنا حسب الخطة. وستشتعل نيران المعركة قريبًا جدًا ولكنى واثق للغاية من قدرتنا على النصر. وسيحضر كسلرينج اليوم ولذا لن أستطيع الذهاب إلى الجبهة حتى سعت (0930) وانتصارات اليابانيين رائعة للغاية وأظن أنهم سيخرجون الإنجليز من شرقى آسيا فى وقت قصير. وبالطبع سيحاولون أن يحصلوا على انتصارات فى شمال أفريقيا تعوضهم عن هذا ولكنى سأخيب آمالهم. وقد عادت قواتى مرة أخرى إلى حالتها الطبيعية.

17 يناير 1942

يتطور الموقف لصالحنا وعندى أفكار لا أجرأ على التصريح بها هنا لأنهم سيظنون أنى مجنون. ولكن لست بمجنون فأنا أرى أبعد مما يرون وهذا كل ما فى الأمر. ولكنك تعرفينى. وأنا أضع خططى فى وقت مبكر من كل يوم. وقد حدث أثناء السنة الماضية أننى قمت بتنفيذها خلال ساعات من وضعها؟!

وهذا هو الأسلوب السليم الذى يجب اتباعه الآن وفى المستقبل.

19 يناير 1942

الشمس هنا بديعة للغاية فى وقت الظهيرة كما فى بلادنا أثناء الربيع الجميل وقد بدأ الرجال فى أخذ حمامات شمس. وقد نفعتهم للغاية الأيام القليلة الهادئة وقد كتب لى جاوزى من روما ويبدو أن الفوهرر قد وافق على

كل ما فعلته، وكان الخطاب مملوء بالمديح والإعجاب. وقد تحسنت حالة الإمدادات وستفهمين ذلك من بلاغات الجيش الألمانى فى الأيام القليلة التالية. وأنا مسرور لدرجة أننى لا أستطيع النوم ليلاً. ولكن كما تعرفين فإن هذا كان يحدث على الدوام كلما كنت أتوقع شيئًا. وأمامى كثير من العمل والكلام.

20 يناير 1942

الساعة الآن السادسة والنصف صباحا وكالعادة سطور قليلة لك. وأرجو أن تكونى مبتهجة مثلى وربما يقوم الإنجليز بالهجوم اليوم ولكنى مستعد لهم. ولذلك ستفهمين سبب ابتهاجى وقد خلفنا وراءنا أسابيع طويلة من الصعاب والقلق، ونسيناها أنا ورجالى. وعند وصول هذا الخطاب إليك ستكونى قد علمت بسير المعركة منذ وقت طويل من بلاغات القيادة العليا، والاستعدادات تستغرق كل وقتى. ولم يعد كروويل بعد لحالته العادية. وأشك أنه يستطيع الصمود معنا لوقت طويل. وأنا سأكون آسفا للغاية لو حدث أى تغيير. وأنا شخصيًا بحالة جيدة جداً.

21 يناير 1942

سيقوم جيشى بهجومه المضاد فى خلال ساعتين بعد أن بحثت الأمور بعناية لأقدر بدقة مالها وما عليها وقد قررت المخاطرة. وأنا كل ثقة بأن الله سيحمينا وسيمنحنا النصر[1].

قبل تسعة أشهر كان رومل يتقدم فى اتجاه طبرق وهدفه بلوغ القاهرة وقناة السويس.

---

(1) مذكرات رومل، المرجع السابق ص158.

أما الآن، فـهما هو وقـواته فى طريق الانسحاب. وهذا الانسـحاب لا ترافقه الأناشيد ولا الأغانى، بل يبـدو طريقه أطول وأصعب من طريق التقدم مرتين. وكان هذا الواقع حافزًا لكثير من الجنود على التساؤل: «ترى هل كان الطريق على هذا النحو حين كنا نتقدم؟».

والحقيقة أن الطريق لم يتبدل، ولكن الجنود لم يكونوا يتحسسون بمتاعبه وهم يتقدمون، ذلك أن الانتصار يخـفف من أعباء الصعاب ويزيل آثارها من ذاكرة الإنسان.

ولقد بدأ الألمان القتال أمام طبرق منذ أحـد أيام الآحاد فى شهر نوفمبر 1941 . ولم يكن يفصل الجنود عن ذلك التـاريخ إلا أسابيع قليلة، ولكن هذه الفتـرة تبدو طويلة تتجـاوز الشهور الطوال، والمـعارك دائرة الرحى كل يوم، والاشتبـاكات متواصلة دونما انقطاع مع الجيش البـريطانى الثامن المهاجم وكله ثقة بالفوز.

وبلغ من ميـوعة المعركة فى بعض المراحل أن أحـدًا لم يكن يستطيع أن يعرف مكان الصديق أو العدو على وجه الضبط. فكثيراً ما كان يجرى احتلال المواقع، لكى يجرى بعدئذ إخـلاؤها، وكثيراً ما كـان بعض الأسرى يعودون من الأسر سيراً على الأقدام إلى وحداتهم بعد بضع ساعات فقط من وقوعهم فى يد العدو. وكان الفريقان المتحاربان يتبادلان مستشفيات الميدان ثلاث مرات أو أربع مرات فى اليوم الواحد، دون أن يتأثر الأطباء - سواء كانوا بريطانيين أم ألمانيين - بهذا الانتـقال بل كانوا يبـقون فى خيـامهم معًـا يواصلون إجراء العمليات والإشـراف الطبى. ولقد استمر هذا الوضع ثلاثة أسـابيع أو أكثر، أى منذ أول كـانون الأول عام 1941 حتى نهـاية العام، حـيث أخذت أمطار الشتاء تهطل ومال الجو فى أفريقيا إلى البرد.

وكان روميل يعرف أنه فى هذه الحرب الحديثة لم تكن المسألة الاستيلاء على منطقة من الصحراء سواء كانت برقة أو غيرها. ولكن مصير الحرب فى الصحراء العربية إنما يتقرر بتدمير قوات العدو تمامًا. أما كسب الأرض فلا يعد نصرا كما أن خسارتها لا تعد هزيمة.

وكان كلا الجانبين قد عرفا ذلك، رغم أن القائد العام البريطانى أوكنلك ارتكب نفس الخطأ الذى ارتكبه القائد السابق وايفل إذ اختلط عليه الأمر، ففى 26 ديسمبر 1941 ابرقت وكالة رويتر من القاهرة إلى قرائها فى لندن قائلة: «إن بقايا الفيلق الأفريقى والجيش الإيطالى يتراجعان على الطريق الساحلى المحاذى لخليج سرتة إلى طرابلس. وقد تحقق الهدف الرئيسى وهو تدمير قوى العدو فى الصحراء الغربية. فلقد هزمت المدرعات الألمانية ولم يبق منها إلا بضع دبابات تلوذ الآن بالفرار فى ذعر إلى طرابلس».

وتاريخ الحرب العالمية الثانية ملئ بمثل هذه الأخطاء الجسيمة، وقد أخطأ هتلر وكذلك تشرشل، ودفع كلاهما الثمن باهظا.

وفى لندن كان النصر يبدو فى حوالى نهاية العام واضحا فى الأفق: «لقد هزم روميل، لقد دمرت قوة روميل».

أما الرأى العام البريطانى فكان يجب أن يكون حذرا أو أكثر حذرا من تقبل هذه الأنباء وكان على الناس ألا يصدقوا كل ما يقال. ولكنهم كانوا بعيدين جدًا عن أفريقيا، وحتى من هم أقرب للصحراء العربية وقعوا فى الخطأ نفسه، فهم لم يعرفوا روميل ولم يعرفوا رجال المشاة الألمانية، فلقد كان لروميل إرادة من حديد وكانت لديه خطة، ولكن كانت له مصاعب مع الإيطاليين وخاصة مع القائد العام الذى كان يخشى من التأثير السياسى للانسحاب أمام البريطانيين. وصرخ روميل فى وجه الجنرال باسنيكو: «إننى

انسحب لأنه يجب على أن أفعل ذلك وإلا فلن أخسر المعركة فقط بل سأفقد الجيش كله». وهكذا أخذت قوات المحور فى الانسحاب منذ ديسمبر 1941 وتركت قطاع طبرق واتجهت إلى الغرب. إلا أن هذا الانسحاب لم يكن انهزاما وتقهقرا فى فوضى مثل ما كان عليه الانسحاب الإيطالى فى السنة السابقة، بل كان الفيلق الأفريقى ينسحب فى نظام تام. وكانت القوات من الجنود المنتخبين بعناية تحت قيادة ضباط شجعان يسترون هذا الانسحاب الإستراتيجى، وكانت هذه القوات تمثل الوحدات الميكانيكية ووحدات الاستطلاع المدرعة، أو وحدات المدفعية المضادة للطائرات وسرايا الوحدات.

وفى 16 ديسمبر حضر من روما المارشال كافاليروس رئيس هيئة أركان حرب القيادة العامة الإيطالية لزيارة رومل ليتوسل إليه عدم التخلى عن برقة مؤكدا له «إن أى هزيمة ظاهرة للعيان ستكون خطرة على سمعة موسولينى» وأجاب رومل بغضب لاذع: «وماذا يكون الحال لو هزمنا وفقدنا الجيش كله ومعه الصحراء العربية؟».

ورغم ذلك أصر كافاليروس على إلغاء أمر الانسحاب ونسى ما حدث قبل ذلك بعشرة أيام عندما أخذ الجنرال كروول يرسل رسائله اليائسة عبر الصحراء، حين كانت الفرقتان 21و15 بانزر عند بير الجوبى والنصر قاب قوسين أو أدنى وهو يستغيث فى رسائله «أين غمبارا؟» إلا أن غمبارا لم يظهر، وكان الجواب الذى تلقاه: «إن جنودى مرهقة» كما لو كان جنود الفرقتين الألمانيتين لم يحاربا ولم يرهقا إلى حد الإعياء[1].

ورفض رومل أن يضغط عليه أحد، وكان الأمر الذى أصدره «شقوا طريقكم للخلف إلى موقع دفاعى جيد». ولكن تبعا للتجارب السابقة لم يكن

(1) بول كارل - المرجع السابق، ص 174.

هناك مثل هذا الموقع فى برقـة كلها، وإنما يوجد مكان مناسب واحـد سبق له أن أوقف التقدم البريطانى فيـه، وذلك عندما طارد وايفل الإيطاليين فى شتاء عام 1940 من الحدود المصرية عبر طـريق بالبو إلى المنحى الهائل لخليج سرتة وهى نفس المنطقة التى شن منها رومل أول هجوم له منذ تسعة أشهر.

أجل، إن الحرب فـيها مـد وجزر، ولقـد كانت الحالة الآن حـالة جزر بالنسبة لرومل، ففى ليلة 20 ديسمبر 1941 قام الرائد أو هل على رأس مشاته الميكانيكية المدرعة ومعها بطارية مدفعية مدرعة وسرية من الكتيبة المدرعة الثالثة والثلاثين لإنشاء الموقع الدفاعى اللازم هناك، بينمـا تجمع الفيلق الإفريقى فى الصحراء، للعمـل كحرس مؤخرة ضد البريطانيـين ومنعهم من الوصول إلى الجنوب الشرقى من أجدابيـة. وكانت هذه الأيام حاسمة لـرومل فهل يستطيع الوصول إلى الموقع المختار فى مرسى البريقة، ويوقف التقدم البريطانى؟

ولقد حاول البريطانيون طبعًـا أن يحبطوا خطة رومل، إلا أن شجاعتهم فى هذه المحـاولة لم تجد، لأن خطـوط مواصـلاتهم الطويلة سلبـتهم القـوة الدافعـة على القتـال فضلاً عن أن رجـال حرس المؤخرة لـقوات رومل ظلت تقاوم وتدافع ضد رأس الحربة للجيش البريطانى.

وكانت مجموعة القتال «باليرسـتد» تندفع وسط العدو وتهاجمه ثم تقفز بعـد ذلك إلى عرباتـها وتواصل الانسـحـاب. وما من شك فى أن القـوات الألمانية كانت تفـقد هى أيضًا الكثير من المركبـات، ولكن رومل كان يحصل على العربات لقواته من البريطانيين أنفسهم.

احتفال رأس السنة فى الصحراء:

وبين 27 و29 ديسمبر 1941 ألحق الفيلق الأفريقى خسائر فادحة بالبريطانيين أثناء الدفاع عن أجدابية. وحلت ليلة رأس السنة باردة مظلمة إلا أن طلقات الإشارة لوحدات الاستطلاع أنارت الليل. وكانت تطلقها لتهدى المتخلفين الذين ضلوا الطريق، وكان الجنود يشقون طريقهم قتالاً على ضوء هذه الشعلات إلى حيث توجد وحداتهم، ونظر أحدهم فى ساعته: لقد حلت ليلة رأس السنة. ولم يبق على انتصاف الليل سوى عشر دقائق. فقال الجنود: «بعد عشر دقائق يمكن أن نؤرخ أوامرنا بأنها صادرة فى عام 1942».

وكان أركان حرب الفوج الخامس والثلاثين بعد المائة المضاد للطائرات يريد أن يشرب قليلاً من الشمبانيا فى منتصف الليل تماما فوضع الزجاجة التى استولى عليها فى حفرة من الرمال لكى تبرد. أما الرائد وهيج، فلقد وزع قواته بمهارة دفاعية فاستطاعت تغطية المواقع الدفاعية حول أجدابية بالنيران. وكان قوج المدفعية المضادة للطائرات الرابع عشر بعد المائة يدافع عن القطاع الشمالى بـ 13 مدفعًا من عيار 88 ملم و9 نداقع من عيار 37 ملم أو 20 ملم بينما كانت 7 مدافع من عيار 88 ملم تدافع عن القطاع الشرقى، أما سائر أفواج المدفعية الميكانيكية المضادة للطائرات وهى الأفواج 18، 33، 35 فقد بقيت مع الفيلق الإفريقى وخصصت للمعركة المائعة. وأمر رومل بوضع بطاريات كاملة من المدافع الهيكلية فى المواقع. وقد قام فوج المدفعية المضادة للطائرات الاحتياطى الرابع عشر بعد المائة بعمل هذه المدافع فجمع المواد المطلوبة من الصحراء حوله. وضحك رجال المدفعية وهم يشاهدون البريطانيين يمطرون هذه المدافع الهيكلية بقنابلهم.

وأخرج النقيب «مردان» من جيبه آخر خطاب وصله من أهله وانشغل بقراءته عن شرب الشمبانيا عند منتصف الليل، إلا أنه تنبه فى الوقت المناسب

فاخرج سدادة الزجاجة وأخذ يشـرب وهو يتذكر قول أحد أصدقائه: «كم هو جميل منظر فقاعات الشمبانيـا وهى تتصاعد من الكأس كأنها حبات اللؤلؤ»! وفى هذه اللحظة انفجـر بركان من الجحيم على طول الجبـهة وكان هذا يعنى شيئًا واحدًا وهو أن هناك هجـومًا عامًا. وقفز أركان الحرب من خـيمته أيضًا وشاهد السـماء وقد امتلأت بـالمشاعل البيضـاء والخضراء والحمراء والـصفراء فأضاءتها. وأخذت المدفعيـة والمدافع الرشاشة والبنادق تطلق نيرانها. وزحفت المشاعل كأنها مذنبات عبر وجه السماء. غير أنه لم تكن هناك معركة وكل ما فى الأمر أن جـيش رومل كان يحتـفل بالسنة الجديدة بهـذه الطريقة. ومن ذا الذى كان لديه قلب قاسٍ لكى يمنعهم من مثل هذه المتعة؟

واحتج الإيطاليون هاتفيـا فأجابهم الجنرال بايرلاين: «هدئوا من روعكم فإن الظلام ما زال مخيما فوق خطوطكم ولن يحدث شىء مما تخافونه».

وكان المـنظر رائعًا؛ وكـونت المشاعل ممرًا مـضيـئًا. وتحت هذا الـضوء الساطع وبدون تفكـير خرج الرجال مـن حفرهم وهم فى غـاية السرور. ثم حدث شىء لا يصـدق، ولولا أنه حفر فى ذكرياتهم آلاف المرات، مـا جروء أحد يعـيد روايتـه. فإن ما حـدث كان معـناه التحدى السـافر، وكـان معناه إيمانهم بعقـيدتهم لأنهم ما كانوا ليسـتطيعوا بغير الإيمـان تحمل مآسى الموت والقتـال، ولكنهم كانوا يؤمنون إيمـانًا عمـيقًا بعـقيدتهـم رغم أنه قد أسىء استغلالهـا مع خيانتها ثم تدميـرها. وبالرغم من كل هذا كان الجنود ما زالوا يؤمنون بها. وارتفع صوت أحد الرجال وتبعه الآخرون.

ففى وسط الصحراء بالقرب من أجـدابية وفى ليلة السنة الجديدة أخذوا ينشدون «ألمانيا فوق الجـميع» وكلهم إيمان وكانوا متعـبين مطاردين قذرين قد تجمدت سيـقانهم وكأنها وضعت فى آنية من الأسمنت وقـد امتلأت جواربهم

التى بللها العرق بالرمال وتمزقت أحذيتهم، وفقدت سراياهم كثيرًا من الرجال حتى أصبحت قليلة العدد، ورغم كل هذا فقد أخذوا ينشدون. وفى اليوم التالى أرسل اللواء المدرع البريطانى الثانى والعشرين إلى القاهرة الرسالة التالية:

«قد نقول أن جيش روميل لم يعد لديه دبابات. إلا أن من السابق لأوانه أن نتحدث عنه كجيش مهزوم، ففى الليلة الماضية وفى الخطوط الأمامية أخذ رجال الفيلق الأفريقى ينشدون نشيدهم القومى. ويجب ألا نخدع أنفسنا فنظن أن هؤلاء الجنود وعلى رأسهم قائدهم المحنك ذو العزم والتصميم على استعداد للتسليم».

ولو أن القائد البريطانى الذى أرسل هذه الرسالة صحب قائد الفرقة المدرعة الخامسة عشرة الجنرال فون فيرست فى صباح السنة الجديدة أثناء زيارته لمواقع الجنود فلربما أرسل رسالة مخالفة، فعند خروج الجنود من الخنادق والحفر ليقدموا أنفسهم للقائد كانوا فى حالة يرثى لها من سوء الملابس والتغذية والتعب والإنهاك، ما عدا جنديًا واحدًا لم يقدم نفسه للقائد وكان مشغولاً بمراقبة خطوط العدو بمنظاره. وقال له الجنرال مشجعًا: «سوف تتحسن الأمور فى العام الجديد». وكان جواب الجندى: «أرجو أن تتحسن حال سيدى الجنرال كذلك»، فما كان من الجنرال العجوز إلا أن ضحك لهذا الجواب.

ووصل الفيلق الأفريقى إلى موقع مرسى البريقة فى 4 يناير عام 1942. وخلال عاصفة ممطرة قامت الوحدات بتجهيز المواقع الدفاعية واتخذت الكتيبة الأولى من الفوج المدرع 115 (جريناديرِ) مواقعها ومعها ما تبقى من كتيبة المشاة الميكانيكية وبعض رجال كتيبة المدافع الرشاشة، وقد كونت هذه القوة

ثلاث سـرايا كاملة وأخـذت مواقـعهـا جنوبى وادى الفارغ. وعـادت الجنود والجرارات لتـسحب العربات الخفـيفة المعطلة. واستـقرت الكتيبـة، وسقطت الأمطار كنوع من الرحمة لتغسل القاذورات من على ملابسهم وأجسامهم. أما المركبـات فقـد غرست فى الوحل، وجلس الرجـال فى حفرهم مـتجـمدين ينتظرون. وقـاد الرقـيب «ديريشـويلر» جـماعـة فنيـة من جنود الاسـتطلاع للاستيلاء على العربات البريطانيـة المعطلة وإصلاحها وأسر المزيد من العربات الأخرى. وتمكن الملازم «رودت» من أن يجمع بالجـرارات ثلاثة مدافع مضـادة للدبابات صالحـة للعمل. وأخـذت الحرب تتنفس ببطء مـرة أخرى فى وادى الفارغ، وفى كل من مرسى البريقة ومراده.

وفى السادس من يناير كانت العاصـفة لا تزال تهب وسقط المطر وهبت الرياح محملة بالرمال فوق العربات والخـيام، وهى الرياح التى يسميها العرب (الحجيـبلى) وهى تهب طوال العام، ففى الصيف كـانت تلفح وجوه الرجال المبتلة بالعـرق بتراب أصفـر محموم، والآن وقـد أقبل الشتاء أخـذت الرمال تغطى الرجال والمعـدات والمهمات بحباتهـا التى تشبه شظايا القنابل الصـغيرة فتمزق الخيام والمعاطف وتؤثر على كفاءة المعدات. لقد كانت هذه الرياح جزءاً من الحرب فى الصـحراء العربيـة مثلها مثل الذبـاب والماء المالح والبولوبيف. وكان يعتبرها الجنود أشد الأعداء مرارة إلا أنهـا كانت تعد صديقًا للمدافعين، وفى هذه المرة كانت الرياح فى جانب الفيلق الأفريقى.

فجأة صفا الجو وتبعه أيام مشمسة هادئة. فظهرت الآن لأول مرة المواقع التى احتلها الألمان فى 5 يناير فى جنوب وادى الفارغ المتسع وهو أكبر الوديان الجافة فى منطقة سرتة.

وكان هذا الموقع مجرى قـديمًا لأحد الأنهار مغطى بالنبـاتات الكثيفة.

وكان يمكن من فوق قمة الجبل رؤية الصحراء الليبية الواسعة الجرداء، وهنا وهناك كانت توجد بعض الواحات المتناثرة وكأنها جزر فى وسط البحر. ففى الجنوب توجد واحة «مرادة» وهى المنطقة الأمامية القوية التى احتلها الألمان والإيطاليون وهى تمثل الجناح الأيمن لخط البريقة. وعلى بعد 220 ميلاً من مرادة وفى أقصى الشرق كانت توجد واحة «جالو» وهى مركز قديم للقوافل على الطريق إلى واحة الكفرة، وكان البريطانيون يحتلونها من نوفمبر 1941. وهى المركز الأمامى لرجال مجموعة الصحراء بعيدة المدى، وهؤلاء الرجال كانوا يتوغلون بعيداً فى ليبيا وعبروا الصحراء ليقوموا بأعمالهم الجريئة فى التخريب. وفى ديسمبر 1941 وصل هؤلاء الرجال إلى الطريق الساحلى، وقام رجال العقيد هالسدين بتحطيم العربات الإيطالية التى تنقل البترول وقاذفة ألمانية فى مطار أجدابية. أما القوات المماثلة لهم فى الجانب الألمانى فهى «البرانديرجرز» وكان منتظراً أن تباشر نشاطها فى شهر آذار وتقوم بأعمال خطرة، كما سنأتى على ذكر ذلك فيما بعد.

وكانت أولى الوحدات الصديقة والقديمة فى الظهور هى البطارية الثقيلة رقم 902. وقد استمتع رماة هذه البطارية ببضعة أيام من الراحة بين الكثبان الرملية غربى العقيلة وأنستهم تلك الأيام والأسابيع المريرة التى قضوها فى سيدى رزق والعضم، ولكنها لم تنسهم كل شىء، فمن ذا الذى ينسى القنابل التى سقطت فى ذلك اليوم من أيام الأحاد بين الدبابات البريطانية وكانت تنسفها كما لو أن قبضة مارد جبار قد حطمتها. ولكن كان على رجال البطارية رقم 902 أن يتراجعوا وتحت وابل الأمطار شقوا طريقهم عائدين عبر برقة[1].

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص179.

استقبلت البطارية هناك قائدًا جـديدًا وهو النقيب «جريم»، ورغم اسمه - ومعناه في اللغة: الوجـه الكالح - فقد كان رجلاً محبـوبًا وجنديًا شجاعًا ورامياً ممتازاً.

وكان الجندى الألمانى يتجنب مثل هذا الطابع الهادئ من الرجال. وكانوا فى حاجة إليه فى تلك الأيام العصيبـة، عندما كانوا يعملون كحرس مؤخرة. وكانت القوات البريطانية تتقدم تحت أنظارهم، وقال المتشائمون أن البريطانيين سوف يكمنون لهم فى الركن المشهور بجوار أجـدابية لكى يأسروهم فقد كان هذا هو ما حـدث للإيطاليين فى فـبراير 1941 عندما سقط منهـم 20.000 فى المصيدة. والآن بعـد عشرة أشهـر كان من الواضح أن البريطانيين سـيعاودون مناوراتهم السابقـة. وكان هذا وقتًا عـصيبًا يحـتاج للتحرك بخـفة. ولم يكن هناك شيء يهمهم سوى الوقود والذخيـرة والتعيينات، وكل ما عدا ذلك كان غيـر مهم. وبناء على أوامـر قائد البطارية قـام ضباط البطارية بـفتح صندوق الملابس الذى تمكن حتى الآن من إنقاذه. وأخـذ ينظر وهو يقرض أسنانه أثناء توزيع الملابس علـى كل من هو فى حـاجـة إليـها، وهى المـلابس التى اهتم بترتيبها من أقمصة داخل الورق السيليلوز والسراويل والأحذية.

إلا أن الأمر كـان مبهـجًا عندما فـتح الصراف «هار» صندوقـه الخاص بالنقود ووزعت مـحتوياته بالتـساوى على الجنود. وقال لهم النقـيب جريم: «سوف تسيرون فى شوارع القاهرة وأنتم ترتدون أحسن ملابسكم والذهب فى جيوبكم، إذا تمكن هؤلاء الإنجليز الملاعين من أسرنا».

إلا أن البريطانيين لم يأسروا رجال البطارية 902، فقد تسللوا بمهارة من برقة ومروا ببنغازى حيث وجدوا حقـيبة بريد فى انتظارهم. واشتروا لأنفسهم بعض علب السردين، وزجـاجات من شراب الشتاب من مـخازن الإمدادات

والتموين وأخذوا راحتهم بين الكثبان الواقعة بين طريق بالبو وشاطئ البحر. لقد نجحوا في الانسحاب ووصلوا إلى الموقع الذى اختاره روميل ثم استداروا وكان معنى ذلك أنهم يواجهون الآن الشرق.

واستلقوا على الهضبة المنحدرة المطلة على الوادى الذى يقع على حافة الأرض الحرام، وبين وقت وآخر كانت تظهر عربات الاستطلاع البريطانية فكانوا يطلقون مدافعهم عليها. وسقطت القنابل على المغيرين، وتصاعد عمود من الدخان فى سماء الشتاء الباهتة الزرقاء. ولم يرتح البريطانيون لما حدث.

وأخيراً وصلت التعزيزات إلى الألمان، فقد نقل الأسطول الجوى الثانى التابع للمارشال كسلرينغ، من الجبهة الشرقية إلى صقلية لكى يحرس قوافل التموين عبر البحر المتوسط، ولو جرت الأمور على هذه الحال منذ عدة أشهر، لوصلت الدبابات الإيطالية، والمدافع المضادة للدبابات والمشاة إلى الصحراء العربية. وعند وصول قوات المظلات بقيادة بوركهاردت، انقلب الحال فكانوا عبارة عن مجموعة من الشباب المندفع تحت قيادة قائد أشد منهم اندفاعاً، وقد وصلوا ومعهم أسلوبهم الخاص فى القتال فهم عبارة عن قوات فدائية محملة، كل جماعة منهم معها عربتان فولكس واجن يصحبها عدد من رجال المظلات المسلحين حتى أسنانهم يركبون الدراجات النارية المزودة بعربات جانبية وكانوا يتقدمون بعيداً فى الجنوب داخل الصحراء.

وكان منظرهم يثير الرعب. فعندما وصلت إحدى دورياتهم إلى إحدى النقط الإيطالية أمام «مرادة» أرعبوا الإيطاليين حتى أن هؤلاء سألوهم: «أبريطانيون أنتم أم ألمان؟».

وكان من عادتهم دائمًا أن يحضروا معهم شيئًا، أما بعض الأسرى، أو العربات أو الأطعمة أو السجاير، وفى أسوأ الحالات كانوا يحضرون بعض الأغنام.

وفى ذات يوم ظهروا ومعهم بعض الطبول وبعض أبواق غريبة الشكل وكانت عبارة عن أدوات لفرقة موسيقية استولوا عليها من إحدى الوحدات الهندية.

وليلة بعد ليلة كانت الطبول تقرع وينفخ فى الأبواق. وقام أحد الشبان الأذكياء بعمل قيثارة شيطانية كانت تشارك بأصواتها المزعجة مع باقى الآلات، وأصبح بركها ردت ورجاله كابوسًا ثقيلاً على صدر البريطانيين فى برقة. وعندما أسر قائدهم أذاع البريطانيون بفخر: «لقد أسرنا الرائد بركهاردت قائد قوات المظلات التابعة لروملِ»[1].

وبينما كانت البطارية تستمتع بهذه الألحان فى وادى الفارغ وصل مغلف كبير أصفر من ألمانيا، وكان يبدو عليه المظهر الرسمى. ولم يبق هذا المغلف أكثر من نصف ساعة فى خيمة القائد حتى دوى صوت المراسلة خلال الموقع: «على العريف راسكونسكى أن يقدم نفسه إلى القائد». وكان بول راسكونسكى محاربًا قديمًا خدم فى فرنسا وبولونيا. فأسرع إلى خيمة القائد وتوارى فى داخلها. ثم ظهر بعد فترة حاملاً المغلف الأصفر. وكان يبدو عليه الإعياء، وجاء صديقه الحميم انطون الذى لا يستطيع أن يتحكم فى لسانه وسأله: «حسنًا ما هى المسألة يا صديقى. ما هو الأمر؟ هل هو ميراث أم صليب الفارس؟؟». لكن الصديق المازح قوبل بنظرة حرج. وغريب أن يشعر الجنود القدامى بالحرج فى بعض الأوقات. واعترف بول أخيرًا قائلاً: «سوف أتزوج بعد غد». فحملق انطون وقال: «ماذا تقول؟ هل أنت مريض!! هل

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص181.

تقول أنك سوف تتزوج بعد غـد؟». إلا أن بول أجاب بفخر: «نعم إنه زواج بالمراسلة». وصـاح أنطون: «يا إلهى العظيم!» واندفع خـارجًا ليـخبـر باقى الجنود «إن بول سوف يتزوج بالمراسلة».

وتحركت الأمـور بسرعـة، فالذى علمه الرجـال من العريس المقـبل قد أدهشهم. لقد قابل بول عروسـه قبل أن تنتقل البطارية من ألمانيا إلى نابولى. وكان حبًـا من أول نظرة، ووعد بول الفتاة بالزواج فى عطلتـه التالية، إلا أن العـروس لم ترغب فى الانتظار أكـثـر من ذلك فكتـبت له. إلا أن الرسـالة فقدت مع البريد فى البحر المتـوسط، وخلال الأشهر المملوءة بالمعارك لم يجد بول وقتًا للكتابة إليها.

ولذلك تولت الفتاة الأمور بنفسها. وأرسلت خطابًا رسميًا لقائده تطلب منها الـسماح للعـريس بإجازة للزواج، وإذا لم يتـيسـر الحصـول على إجازة بسبب الموقف الحـربى فيمكن أخـذ موافقة عـلى الزواج بالمراسلة. وقد أرفق بالخطاب الأوراق اللازمة لذلك. وبعد استبعـاد مطالب البيروقراطية العسكرية تحدد يوم 11 يناير ميعادًا للزواج، وأقام الرجال وسط الصـحراء مسرحًا لعقد مراسيم الزواج فيه. وقد وضـع فى وسط المسرح صندوق مغطى ليجلس عليه القائد، وإلى اليسار واليمين من المسـرح وضعت مجموعة من البنادق. ولكن بعد معاينة المسرح قرر القائد أن البنادق والعلم الألمانى ليسا كافيين، بل يجب الحصول على بعض سعف النخل.

قام بعض رجال الدراجات النارية بـالذهاب إلى الجنوب لإحضار سعف النخل الأخضر. وأرسلت سيارتان فـولكس واجن عبر الوادى تحملان رجلين قويين كانا فى حياتهما المدنية قـصابان. وقد أعطيت لهما الأوامر بعدم العودة إلا ومعهما ثلاثة خراف أو أربعة.

وفى صباح يوم 11 يناير 1942 بزغت الشمس فى السماء الزرقاء الصافية واصطف الرجال واتخذ بول مكانه وسط المسرح أمام الصندوق المغطى بالعلم الألمانى، وفى مكان العروس الغائبة وقف صديقه أنطون وكاتب البطارية الذى كان عليهما أن يكونا شاهدين على الزواج. وصاح الضابط: «رجال البطارية . . انتباه» واستدار الضابط إلى القائد قائلا: «البطارية على استعداد تام سيدى ووقف القائد وألقى خطبة رائعة أثلج بها قلوب أشد الرجال قسوة. وقد ذكرهم بوطنهم الذى يبعد عنهم كثيراً «حيث تقف الآن فى هذه اللحظة فتاة أمام القسيس فى الكنيسة تفكر فى الصحراء أو على الأقل فى شخص يقيم فى الصحراء وهو عريسها بول، وعليها أن تقول عبر البحر وعبر نصف أوروبا أنها تقبل الزواج من بول العريف الواقف فى وادى الفارغ». واختفت الابتسامات التهكمية من على وجوه الرجال. وعندما صرفهم الضابط أخذ الجميع يصافحون بول يداً بيد، غير أن السلوك الجاد لم يستمر طويلاً. فقد أعطى العريس بنفسه إشارة البدء فى الجزء غير الرسمى من الاحتفال. فلقد أعطاه قائد البطارية زجاجتين من الكونياك كهدية للزفاف. وعندما سمع الإيطاليون بهذا العرس من جنود المدفعية المضادة للدبابات أحضروا صفيحة كبيرة مملوءة بالنبيذ الأحمر وأحضر أحد الرقباء من قوة المظلات ثلاث زجاجات من المشروبات الروحية من العربة الجانبية الخاصة بدراجته النارية وكان كل فرد مشتاقاً للمساهمة بإحضار شىء فى هذه المناسبة التى حدثت فى الحرب لأنهم وجدوا فى هذه المناسبة باعثاً للاحتفال بحياة جديدة بدلا من الموت.

وكانت الهدية الكبرى بالطبع الخراف الأربعة، فلقد أحضرها هانس ويلهم بالمقايضة مع أحد الأعراب، وأعد الطهاة وجبة شهية لذيذة بمساعدة

كمية من الكارى وشوال من البصل. وهبط الليل باردًا مثلجًا وظهرت النجوم فى السماء واستعد بول لقضاء أول ليلة فى عرسه فانسحب مع بعض الأصدقاء ومعهم زجاجة كونياك إلى إحدى الخيام. وخارج الخيمة كان رجال المظلات يقرعون طبول الفرقة الرابعة الهندية التى استولوا عليها، وفى شمال العقيلة كان وهج القنابل المضيئة ينير وجه السماء كتحية للعريف راسكونسكى ووادى الفارغ. وهى النقطة الهادئة فى خط رومل الأمامى العريض الممتد من مرسى البريقة إلى واحة مرادة.

وعلى بعد أميال جذب النقيب مردان سكلور (من رجال الفوج 135 المضاد للطائرات) البطانية فوق رأسه وهو يقول: «هذا المخلوق اللعين» فليلة بعد ليلة كان نفس الشىء يحدث، يأتى ضبع إلى الموقع ويبدأ فى العواء خلال الليل. وبالأمس تسلل إلى خيمة طعام الضباط وجرح أنفه فى الصفائح الفارغة إلا أنه لم يخف وكان يحضر باستمرار ولم يستطع أحد صيده، وحدث مرة واحدة أن شاهده أحد الحراس عند الفجر بجوار الكثبان الرملية، وكان الضبع ليلة بعد الأخرى يشكو جوعه للنجوم، وكان رجال المشاة الألمانية يسمعون عواءه، وكذلك البريطانيون الذين يرقدون فى حفرهم الرملية الباردة فى النقط الأمامية. وكان الجميع يتساءلون «لماذا لا نتحرك من هذا المكان؟ لماذا لا نقضى على هؤلاء الألمان؟ فقد طاردناهم 500 ميل، ثم جاءوا ووقفوا فى هذا الموقع فى سلام! ماذا بحق السماء يفعلون فى القاهرة؟».

لقد أحدث سباق النصر الذى قام به الجيش الثامن فى عيد الميلاد حماسا كبيراً فى القاهرة، فكان الكل متفائلا تحت شمس الشتاء الدافئة. فالسيارات والأندية الليلية فى المدينة كانت مملوءة عن آخرها بالرجال المحاربين الذين يقضون عطلاتهم. وأخذت الأندية الليلية تتزايد كأنها الأعشاب وكان أحدهما فى عوامة فاخرة على النيل.

ولم تعان القــاهرة نقصًا فى أى نوع من أنواع السلع، رغم أن الأســعار كانت مرتفعة. وكان هذا طبيعيًا لأن الجنود البريطانيين كان لديهم نقود كثيرة، ولكن فى أى مكان يمكنهم إنفاقــها إلا فى القاهرة؟ وكانت العاصــمة المصرية تضحــك وتستمــتع بالأمان. وفى آخــر يناير 1941 وصلت الأنبــاء بأن قوات رومل فى ممر حلفــاية والسلوم قد استــسلمت. وعندما ظهــرت فى الصحف صورة الرائد باخ قسيس ممر حلفــاية الشهير كأسير حرب، كــانت آمال القيادة البريطانية فى القاهرة بالنسبة للنصر غير ذات حدود. فقريبًا سوف تندفع مئات الدبابات إلى الأمام فى هجوم جديد، وســوف يندفع الجيش الثامن مرة أخرى إلى الهجوم ولن يتمكن أحد من إيقافه حتى يصل إلى طرابلس . وعلى ذلك فرومل سيعطيهم بعض الراحة.

وكان رأى القيادة فى القاهرة أن الرجال مـتوفرون فى القوات المسلحة، وكل مــا يحتــاجونــه هو بضع مئــات من الدبابات والطائرات والمدافع، وقــد وصلت فعلاً هذه المعدات. فقد وصلت الطائرات الأمريكية والدبابات. وكان الجنرال أوكنلك يتريــض فى حديقة الورود المحــيطة بمقر القيــادة فى القاهرة. وأخذ يفكر فى الخطط الجديدة، لتدمــير رومل، ومن وقت لآخر كان يتوقف حتى يستطيع المصورون التقاط صور له، استعداداً للنصر فى الغد[1].

خطة رومل الماكرة:

إلا أن المعارك لا تكسب من خلال التفكير وسط الحدائق والزهور.

فرومل كــان فى ذلك الوقت جالسًا فى العــقيلة ولم يكن لديه حــديقة زهور. وفى 10 يناير زار مقر قيادته الجديد وفــتش المواقع ومعه المقدم وستفال

---

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص185.

رئيس أركان حربه. وما زال وستفال يتذكـر جيدًا جولته هذه فى الصحراء مع روملِ. ففى الخط الأمامى كانت توجـد بقايا الفيالق 10، 20، 21 الإيطالية. أما الفليق الأفـريقى فقام بتدعيم وحـداته بعد وصول الإمدادات، فـقد عمل الأسطول الجوى الثـانى تحت قيادة كـسلرينغ، على حماية عـمليات النقل فى البحـر المتوسط، وكـان السؤال الذى يتـردد: «هل تستطيع قـوات روملِ صد هجومٍ بريطانى قوى؟» وفى الحقيقة أن خطوط تموين البريطانيين قد طالت إلا أنهم كانوا يزدادون قوة يوما بعد يوم.

وقد اقترح المقدم وسـتفال القيام بهجوم مضاد سـريع وكانت حجته فى هذا أن على الألمان أن يبدأوا بالهـجوم قبل أن يسـتعد العدو للهـجوم. وبقى روملِ طوال الليل فى المقطورة التى يتخذها للنوم ومـقرًا لقيادته. وقد بسطت على المقـاعدة والمنضـدة الخرائط وتقارير الاسـتطلاع الجوى والمحـادثات التى التقطتها أجهزة الاستماع اللاسلكية خلال الأيام الماضية.

وقال الرقيب أول «بوتشر» سكرتيـر روملِ الخاص: «إن الرجل العجوز يفكر فى شىء»، ثم استدعى المراسلات. ومرة بعـد أخرى كان بوتشر يخرج من صناديقه وحقائبه الخرائط وخطط الهجوم والتقارير ويقول: «إن هناك شيئًا يدبر». وكـان على حق . وأخيـرًا فى حوالى الخامـسة والنصف أطـفأ روملِ المصبـاح واستلقى فى سرير الميـدان وأمر المراسلة بأن يوقظه بعد سـاعة وطلع فجر يوم 13 يناير 1946 . وعندما ظهر الجنرال فى مـيعاد الاجتمـاع الصباحى العادى، أحس ضـباطه أن لديه شيئًـا سيقـوله وتبدو عليه علامـات السرور، وكانت لكنته ظاهرة أكثر من المعتاد أثناء الكلام.

ولم يتركهم ينتظرون طويلاً فلقد قال لهم: «إننا سنقوم بالهجوم!».

ودهشوا. فهم الذين لم يتمكنوا من النجاة بأنفسهم إلا بعد جهد حتى وصلوا إلى مواقعهم الحالية، وكانت بعض سراياهم لا يزيد عددها عن ثلاثين رجلاً، كما أن عرباتهم وسيارات الذخيرة قد تحطم منها أعداد كبيرة خلال عمليات حرس المؤخرة التى خاضوها، وبعد ذلك كله يقومون بالهجوم؟!!.

وكانوا مدهوشين وحبسوا أنفاسهم. وكانوا جميعًا يعلمون أن الجيش الثامن البريطانى مستمد للمعركة الفاصلة. وكل صباح يمر بهم بدون هجوم بريطانى يعتبرونه هبة من الله، كى يستطيعوا تحسين مواقعهم الدفاعية ويبنوا الجدار الشرقى لحماية طرابلس ويجعلوا منه موقعًا منيعًا.

وكان وستفال وحده هو الذى لم يفاجأ عند سماع كلام رومل. وكل ما فعله أنه ابتسم. فخلال الأيام القليلة السابقة لم يترك روملْ بل ظل يلازمه. وأصر رومل على قوله: «أننا لو أعطينا البريطانيين فرصة حتى شهر شباط فسوف يطردوننا من هنا ولن يوقف تقدم الجيش الثامن أى شىء حتى لو وصلت إمداداتنا بسرعة أكبر. وحتى لو تمكن الأسطول الجوى الثانى بقيادة كسلرينغ من التغلب على مالطة والبحرية البريطانية، فلن يتيسر لنا الحصول على قوة كافية بالسرعة اللازمة، أضف إلى ذلك أنه ليس لدينا معدات ثقيلة».

تم أضاف عقب وقفة قصيرة كما لو كان يرد على نفسه: «ولذا يجب علينا أن نباغت العدو بضربة مفاجئة تقلب خططه».

تم أطلع هيئة أركان حربه فى ذلك الصباح على كل شىء ناقشه خلال الأيام الماضية مع رئيس أركان حربه وستفال، وكل ما فكر فيه خلال ليلة 13 يناير 1942. وكانت خطته فى منتهى الجرأة.

وكان الهدف من هجومه هو إعاقة تقدم العدو مع إقامة المتاعب فى وجهه لتأخير هجومه المنتظر. وإذا نجحت خطته فهناك دائمًا فرصة لتوسيع نطاق هجومه.

وكانت مغامرة يائسة إلا أنه لم يكن أمامه سواها. فلكى يتجنب الهزيمة المحققة كان عليه أن ينتزع المبادرة من البريطانيين.

وكخطوة أولى تظاهر الثعلب الماكر رومل بأنه ينوى ترك موقع البريقة وسرى النبأ خلال القوات الألمانية المحاربة مثل مسرى النار فى الهشيم ووصل للإيطاليين فامتلأ الضباط الإيطاليين بالرعب وقالوا: «إن رومل ينوى الانسحاب مرة أخرى» وسارعوا بإبلاغ روما بالخبر، وشاع الخبر فى روما: «إن رومل على وشك الانسحاب». وفى روما كان من الصعب المحافظة على سر من الأسرار المهمة. وسرى النبأ من هيئات القيادة إلى مخادع النساء الجميلات وإلى محال الحلاقة ومن بائعات الزهور إلى البارات وردهات الفنادق. وقيل أن رومل لا يستطيع الاحتفاظ بمواقعه الحالية وأنه سوف ينسحب إلى طرابلس. وناقشت القيادة العليا الإيطالية موضوع استجواب رومل عن خطة انسحابه هذه إلا أنها قررت العدول عن هذا واكتفت بالسكوت.

ونتيجة لهذا وصلت إلى القاهرة فى 18 يناير تقارير العملاء من روما ونابولى ومن خلف الخطوط الألمانية، وكلها تؤكد أن رومل يضع خطة للانسحاب. ووضعت هذه التقارير على مكتب القائد العام، إلا أن أوكنلك لم يقتنع، فأمر بإجراء استطلاع بالقوة، وكانت النتيجة تعزيزاً لما ورد فى التقارير إذ لم يلاحظ أى تحركات من جانب قوات المحور. وبالرغم من أن طائرات الاستطلاع البريطانية داومت المراقبة فلم ير الطيارون شيئًا. وبالطبع

يتعذر عليهم عملاء الاستطلاع بالليل. ولذلك لم يروا ما يحدث فى ساعات الظلام. وأبلغ أيضاً عملاء بريطانيا الموجودون خلف خطوط الألمان بأن روميل يضع خطة للانسحاب. وعلى ذلك فلو أن البريطانيين قاموا بالهجوم على مؤخرة روميل أثناء انسحابها. فقد يؤدى هذا إلى النصر النهائى. وكذلك طلبت القيادة المزيد من المعلومات. وسألا أوكنلك: «ما هى أخبار برلين؟». وجاء الرد على سؤاله من رجال الطابور الخامس فى ألمانيا: «ليس لدى برلين أى معلومات عن خطة روميل وهو بالتأكيد لا ينوى الهجوم». وسأل أوكنلك: «وما هى معلومات القيادة العليا الإيطالية؟». وجاء الرد «أنها لا تعرف شيئًا غير أنها تخشى أن يقوم روميل بالانسحاب» وسأل أوكنلك «وما الذى تعرفه مجموعة الجيوش الإيطالية التى يقودها الجنرال باستيكو؟» وجاء الرد: «إن ما سمعته مجموعة جيوش باستيكولا يزيد عن شائعات عن انسحاب روميل المقترح وأن أى هجوم لم يكن موضع بحث. وهذا شىء مؤكد».

وفى 19 يناير هبت عاصفة رملية قوية جعلت كل أنواع الاستطلاع متعذرة وفى اليوم التالى أخذت المساكن تحترق فى مرسى البريقة، وانفجرت السفن فى الميناء (وكانت المساكن خالية والسفن هيكلية) وقد أمر روميل حسب خطته الماكرة أن تدمر. وبالطبع أن طائرات الاستطلاع البريطانية والعملاء البريطانيين لم يكونوا غافلين عن ذلك. وكرر رجال المخابرات ببساطة إلى رؤسائهم ما يقوله الضباط الألمان. وأرسل العملاء البريطانيون إلى القاهرة يقولون: «إن الألمان يحرقون إمداداتهم فى مرسى البريقة». وأكدت دوريات الاستطلاع البريطانية المتقدمة اشتعال النيران والانفجارات. ومن ثم استنتجت القاهرة أن روميل يجرى آخر استعداداته للانسحاب فهو فعلاً سوف ينسحب.

وكـان الشعـور في القاهرة يدل علـى السرور فـقد كـانوا يشربون الانخـاب ويقولون: «إن روميل يحرق سفنه، إن روميل يرحل»[1].

راقصة مصرية تهتف للنصر:

وهكذا كان الموقف في القاهرة في ليلة 21 يناير 1942. وكثير من ضباط أركان الحـرب الإنجليز في القـاهرة لم يعودوا إلى ثـكناتهم إلا قرب الفـجر. وعلى النيل في عوامة الراقصـة حكمت فهمي كانت موسيقى الجـرامافون ما زالت تعزف حتى الساعة الثامنة صباحًا. وصاحت حكمت فهمي: «أن روميل ينسحب فعلينا الاحتفال بذلك». وألقت الراقصة الجميلة بكأس الشمبانيا على الحائط الخشبي. وصاحت: «إنه النصر»، ولكـن النصر لمن؟ ولم يكن هناك أدنى شك في أذهان الضبـاط البـريطانيـين في أن النصـر سـوف يكون من نصيبهم.

وفي نفس اللحظة التي ألقت بها حكمت فهمي بكأس الشـمبانيا، كان هناك خلف الخطوط الألمانية في طرابلس رجل في ثياب أعـرابي يدعى محمد علي ولكنه كان في الحـقيقـة جاسوسًـا لمجموعـة الصحراء بعـيدة المدى التي يقودها هالسـدين. وفتح عينيـه وأصغى بأذنيه، فـقد قام أحد رجـال الشرطة العسكرية الألمانيـة بوضع إعلان على باب أحد المنازل. وتجمـع حول الإعلان الجنود الألمان وضع إعلان على باب أحد المنازل. وتجمع حول الإعلان الجنود الألمان والإيطاليون وصـاح الرجال المتجمـعون في الصفوف الخلفـية: «اقرأوا الإعلان»، وقـرأ الإعلان فسمع الجـاسوس البريطاني شيـئًا غريبًا لم تصـدقه أذناه. ففي مـساء اليوم السـابق كان قد أرسل رسـالة إلى القاهرة يروي فيـها الأحاديث التي تدور بين الجنود الألمان الذين كانوا يتكلمـون بحرية أمامه، إذ لم يعـتقدوا أنه كـأعرابي يمـكن أن يفهم الألمانيـة رغم أنه في الحقـيقـة كان

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص189.

يتكلمها كأهل برلين . وقد أرسل للقاهرة الأحاديث التى سمعها والتى لم تخرج على أن رومل ينوى الانسحاب، وكانت أماكن حرس المؤخرة قد أعدت، ولكن ما هذا الذى يقرأه هذا الألمانى لزملائه:

القيادة العامة فى 21 يناير 1942

من القائد الأعلى لمجموعة البانزر الأفريقية:

أمر الجيش اليومى.

أيها الجنود الألمان والإيطاليون:

لقد خلفتم وراءكم معارك مضنية مع عدو يفوقكم عددًا وعدة ورغم هذا كله ظلت روحكم المعنوية عالية.

وفى هذه اللحظة فإننا أقوى بكثير من العدو الذى يواجهنا فى الخطوط الأمامية.

وعلى ذلك فسوف نتقدم اليوم لنهاجم العدو ونحطمه.

وإنى أنتظر من كل جندى أن يبذل ما فى طاقته فى هذه الأيام الحاسمة.
عاشت إيطاليا وعاش الرايخ العظيم، عاش الفوهرر.

(توزيع نسخة على كل فرقة)

المارشال

رومل

القائد العام لقوات البانزر

وهذا الذى قام به محمد على الجاسوس البريطانى فى طرابلس قامت أيضًا بمثله النقط الأمامية البريطانية فى مرسى البريقة. فقد فتح رجالها أفواههم فى دهشة عندما رأوا الدبابات الألمانية فى تمام الساعة الثامنة والنصف من يوم 21 يناير 1942 تتقدم نحوهم. وسرى النبأ. «انتبهوا. الألمان يهجمون، إن رومل قد حضر».

وكانت المفاجأة تامة. فقد نجحت خدعة روميل. لقد تعلم من دروس الماضى فى الخيانة، ووصول أخباره إلى الإنجليز. أما اليوم فقد نجح فى خداع العدو إذ جعل نبأ اعتزامه الانسحاب يملأ أذهان الناس بواسطة ضباطه الأركان حرب وجعل كل التحركات تتم أثناء الليل. وكانت التحضيرات النهائية للهجوم قد أخفيت بمهارة فائقة بواسطة العاصفة الرملية التى هبت فى 19 يناير ولم تعط خطة الهجوم لقادة الوحدات المختلفة إلا فى آخر لحظة.

تعمد روميل عدم استشارة القيادة الألمانية العليا وكذلك القيادة الإيطالية العليا، وقيادة هتلر فى راستنبرغ. فهو يعلم كيف تتسرب الأنباء من هذه الأماكن ولذلك قام بإخبار رئيس أركان حرب القيادة العليا الإيطالية فى ليبيا الجنرال غمبارا بأنه ينوى القيام بإغارة بسيطة، ما هى إلا مجرد صدام محدود وأنه يمكنه أن يسميها إغارة من إغارات الفدائيين. وكانت النتيجة أن غمبارا لم يتعب نفسه بالسؤال عن التفاصيل، ووضع الوقود الذى طلبه روميل تحت تصرفه ولم يهتم بذكر الموضوع لرؤسائه فى إيطاليا فالموضوع عبارة عن إغارة بسيطة فلماذا يتسبب فى إزعاج الرئاسات. إلا أن هذه الإغارة البسيطة هذه دوت كقرع الطبول ليس فى الصحراء العربية حتى مشارف القاهرة فحسب بل دوت كالرعد فى أرجاء العالم كله «أن روميل قد عاد مرة أخرى إلى الهجوم».

وفى الجانب الألمانى ظهرت فرقة جديدة فى هذه المعركة وهى الفرقة التسعون الخفيفة، وقد تألفت من الفرقة الأفريقية المعاونة التى قاتلت فى جبهة طبرق. وكان قائدها الماجور جنرال «سمرمان» الذى قتل أثناء الانسحاب إلى العقيلة. وتولى قيادة الفرقة بعده الماجور جنرال فيث الذى جاء من الجبهة الروسية.

معركة برقة

- **الهجوم المضاد:**

في 5 يناير وصلت قافلة بحرية سالمة إلى طرابلس وكانت تحمل 55 دبابة و20 سيارة مدرعة بالإضافة إلى مدافع مضادة للدبابات وإمدادات مختلفة وكان هذا يوازى نصرًا كبيرًا فى أى معركة. وبدأ روميل على الفور التفكير فى الهجوم مرة أخرى وكانت خطته لاستعادة برقة جاهزة بالفعل.

فى يوم 20 يناير كان فيلق أفريقيا بحوزته 111 دبابة جاهزة للعمل فى الجبهة و28 فى المؤخرة وكان الإيطاليون قد جهزوا 89 دبابة، وعليه قام روميل بهجومه المضاد وكانت الخطة تتضمن قيام فيلق أفريقيا بحركة التفاف فى وادى الفارغ، لتطويق القطاع الجنوبى للجبهة، بينما يقوم الإيطاليون ومعهم مجموعة قتال ألمانية بالهجوم بالمواجهة وقد تعطل انطلاق فيلق أفريقيا بسبب رداءة الأرض ونتج أن العدو قد نجح فى الإفلات من التطويق وكتب روميل مذاكرته فى 21 يناير 1942 عن هذه العمليات فقال[1]:

«لقد قررت المحافظة على سرية هجوم مجموعة البانزر المزعم من مرسى البريقة لذلك لم أخطر القيادة العليا الإيطالية ولا القيادة العليا الألمانية لأننا كنا نعرف من تجاربنا السابقة مع القيادة الإيطالية أنها لا تؤتمن على الأسرار وأن كل ما يرسل باللاسلكى إلى روما يبلغ آذان الإنجليز، لذلك نسقت أمورى مع رئيس الشئون الإدارية لكى يعلق أوامرى فى كل مركز لصيانة الطرق فى طرابلس يوم 21 يناير وهو يوم الهجوم.

وقد علم «فخامة» باستيكو بالخطة فغضب لعدم إخطاره من قبل. وأخطر روما على الفور بهذا الموضوع ولذا فلم أندهش عندما حضر كافليرو بنفسه بعدها بأيام قليلة إلى مرسى البريقة.

---

(1) مذكرات روميل، المرجع السابق ص159.

في يوم 22 يناير سقطت أجدابية وانسحب العدو في فوضى. ثم اندفع فيلق أفريقيا إلى الخط الممتد من عنتيلات إلى ساونو وطوق مجموعة قتال تابعة للفرقة الأولى المدرعة الإنجليزية وخسرت هذه الفرقة 117 دبابة وسيارة مدرعة و 33مدفع وعربات كثيرة وآلاف من الأسرى.

ولكن عملية التطويق لم تتم كاملة وبهذا استطاع جزء كبير من العدو من الإفلات في اتجاه الشمال. وأثناء المطاردة إلى مسوس دمرنا 98 مركبة قتال مدرعة و 38 مدفعًا في هجوم عنيف خسرت الفرقة الأولى المدرعة 70 دبابة من قوتها البالغة 150 في القتال الأول وأكثر من نصف الباقي في الطريق إلى مسوس. كما أنها خسرت أثناء الانسحاب 30 مدفعا ميدانيا، 30 مدفعا مضادا للدبابات و25 مدفعا خفيفا مضاد للطائرات. ثم سقطت قاعدة ساونو وبها كميات ضخمة من العتاد والحرس في أيدي فيلق إفريقا.

22 يناير 1942

عزيزتي لو

ما رأيك في الهجوم المضاد الذي بدأناه سعت (0830) بالأمس. أعداؤنا يفرون كما لو أنهم تعرضوا للدغ ثعبان. والأمل كبير في الأيام القليلة القادمة وطبعًا يمكنك توقع رد الفعل في نفوسنا. وأنا بخير فيما عدا أنني أستطيع النوم الآن ومع هذا فإن ساعات الأرق في الصباح الباكر في الوقت الحالي متعبة للغاية بالنسبة لي[1].

وكانت خطة رومل عموما تقضي بأن تتقدم مجموعة قتال بقيادة المقدم «ويريزماركس» ومعها وحدات من الفرقة 21 المدرعة والفرقة 90 الخفيفة

---

(1) مذكرات رومل، نفس المرجع، ص160.

للهجوم على المواقع التى يحتلهـا لواء الحرس البريطانى على طول طريق بالبو وعليها أن تخـترق خطوط العدو ثم تندفع بسرعة إلى أجـدابية. وعلى الفيلق العشرين الإيطالى ومعه باقى الفرقة التسعين الخفيفة أن تتبع القوة فى هجومها وهذا هو المحور الشمالى للكمـاشة، أما الفيلق الأفريقى فعليه أن يتـقدم عبر الصحـراء على امتـداد وادى الفارغ متـجهًـا إلى الشمال الشـرقى. وهذا هو المحور الجنـوبى للكماشـة. وبعد أن يتم اتصـاله بالقوات الشـمالية عـليه أن يهاجم الوحـدات البريطانية وتدمـيرها. وسيـتقرر التقـدم التالى حسب سـير المعركة ونتيجتها. وكان هذا اليـوم من أيام الشتاء الباردة المشمسة وذلك عندما ترك روملِ مقر قـيادته فى السادسة صباحًـا لكى يزور مجموعة القتـال بقيادة ماركس. وقـبل أن يغادر القوة وصلت رسالـتان من مقر قـيادة هتلر، الأولى تقرر فيها أن مجموعة البانزر الألمانيـة فى أفريقيا يصبح اسمها من الآن جيش البانزر الأفريقى، والثانية تقرر منح روملِ علامة الـسعف وأوراق البلوط لوسام صليب الفارس الذى يحمله.

وفى الساعة الحادية عـشرة تمكنت مجموعة القتـال ماركس من اختراق خطوط الأعداء الدفاعـية وبذلك أمكن تخفيف الضغط على الفـيلق العشرين الإيطالى الخفـيف بقيادة الجنرال زينجـهالس المشهـور باسم جودريان الإيطالى فواصل تقدمه.

واندفعت مجـموعة ماركس إلى أجدابيـة واستولت عليهـا بالمفاجأة فى اليوم التالى. أما الدبابات الـبريطانية من طراز مارك 6 فلم تشتـرك فى القتال بسبب نفاذ البـترول منها أثناء تقدمها إلى خط الـقتال. فمستودعـات البترول والذخيـرة استـولى عليهـا الألمان بواسطة مجـموعة القـتال مـاركس. وكان البريطانيـون مذهولين من وقع هذا الهجـوم ويمكن معرفـة ذلك مما قاله «آلن مورهيد» الكاتب الإنجليزى فى كتابه «الثالثوث الأفريقى»:

«كان يبدو أن المواصلات قد انقطعت منذ اللحظة الأولى، ولم تستطع قوات المشاة المعرضة للهجوم الشديد من الحصول على المعاونة . وبقيت قوات الدعم فى أماكنها بلا عمل. وعندما حاولت الوصول إلى القطاعات المهددة وجدت أن العدو قد أغلق عليها الطريق. وتمكنت القوات التابعة للمحور والمشكلة فى هيئة ثلاثة طوابير أن تندفع رأسًا إلى الخطوط البريطانية فى مجموعات ثم تم القضاء عليها الواحدة بعد الأخرى، وفى خلال يومين أخمدت حدة القوة البريطانية. وفى خلال ثلاثة أيام انقلب التقدم البريطانى تمامًا إلى انسحاب».

وكان تقديراً صحيحًا للموقف، وقد كتب ببساطة ويمكن قراءته ببساطة إلا أن حقيقة الأمور لم تكن بسيطة تمامًا.

ونحاول الآن أن نتابع المعركة مع أركان حرب الفوج 135 المضاد للطائرات الذى لعبت وحدته دوراً بارزاً فى هذه المعارك. ففى يوم 19 يناير أرسل رومل فى طلب الرائد «هشت» قائد الوحدة ثم قال له بإيجاز: «لقد قررت مفاجأة قوات العدو الأمامية، وساعة الصفر هى صبيحة يوم 21 يناير وعلى فوج المدفعية للطائرات التابع لك أن يقدم أكبر مساعدة ممكنة للهجوم».

وزعت قوات الفوج على محورى الكماشة الشمالى والجنوبى. وبعد الاستيلاء على أجدابية أمرت جماعات المدافع المضادة للطائرات فى الشمال بتعزيز القوات الميكانيكية أثناء اندفاعها إلى الأمام، وتحركت كل القوات إلى الأمام، وأصبحت البطارية الاحتياطية 114 المضادة للطائرات، بطارية ميكانيكية ثقيلة.

أما باقى البطاريات التابعة للفوج، فقد بقيت للمعاونة فى الدفاع الجوى عن أجدابية، وفى الوقت نفسه كان الفيلق الأفريقى قد اندفع إلى الأمام فى قطاع «عنتيلات سونو»، وقام بتطويق الفرقة الأولى المدرعة. وفى 24 كانون الثانى قرر روميل تحطيم هذه الفرقة المدرعة البريطانية التى أصبحت جامدة فى مواقعها. وكان روميل بنفسه على رأس قواته المؤلفة من عدة طوابير لتحقيق ذلك وقاد بنفسه القوات المشتركة وهى تتكون من البطارية 114 ومركز رئاسة الفوج 135 المضاد للطائرات.

يروى النقيب «مردان سكولر» ما حدث فيقول: «كنا قطعنا نحو 40 ميلاً عندما ظهرت لنا أطلال جيوف المطر، وفجأة صاح لنا روميل: «القوات المعادية تتقدم، اطلقوا النيران» وتبادلنا نحن رجال المدفعية النظرات وتساءلنا: «أين الهدف؟ يا سيدى الجنرال؟» وقال روميل: «ألا تستطيع أن ترى عربات العدو المتجمعة أمامك؟» وقام الرائد «هارثمان» قائد الفوج 114 بالبحث عن هدف لمدافعه من عيار 88 ملم. ولم يستطع رؤية شىء فهز رأسه متحيراً. وطلب روميل إحضار علم أبيض، وقال: «علينا أن نرسل رسولاً للمفاوضة مع العدو على التسليم». وظهر أحد الرجال وهو يرفع قطعة من القماش الأبيض. وقال له روميل: «تقدم فى اتجاه العدو وأنت تحرك قطعة القماش وسوف يسلم البريطانيون، اذهب إليهم وقل لهم أنهم محاصرون وفى هذه الأثناء سنثير الغبار حولهم».

وصدرت الأوامر: «أثيروا الغبار»، وسرعان ما تحرك كل شىء له عجل لإثارة الغبار فى المنطقة. وفى هذه اللحظة هبطت طائرات الاستطلاع الخفيفة بالقرب منا، وقرر روميل فى لمح البرق أن «على الرسول أن يطير إلى البريطانيين». وقام الرائد هارثمان بمسح الأفق بمنظاره المكبر، ومرة أخرى هز

رأسه فى حيرة ولكن بدون فائدة. فقد استقل الرسول الطائرة وهو يلوح بعلمه الأبيض من مقعده بجوار السائق، وهبط الطيار إلا أنه لم يجد شيئا يتحرك فعاد لأن المنطقة من مقعده بجوار السائق، وهبط الطيار إلا أنه لم يجد شيئًا يتحرك فعاد لأن المنطقة خلت من الأعداء. ففى الصحراء التى كثيرًا ما تكون الرؤية فيها غير واضحة ظن رومل بعض الشجيرات الشوكية سيارات بريطانية. ولقد حدث مثل هذا باستمرار خلال الحرب الأفريقية وهذا شيء يستحق الذكر لكى نعطى للقارئ صورة عن مقدار التفاؤل الذى كان يشع من رومل فى كل الاتجاهات.

إلا أن الفوج الثامن المدرع لم يظهر أمامه شجيرات شوكية فى مرسى البريقة، فلقد قاده المقدم كرامر إلى الأمام، وعلى جانبه كانت توجد أربع دبابات تابعة للسرية الرابعة. وسمع قاد السرية الأوامر فى السماعة الموجودة على أذنيه: «انتبه يا برتقال 2، هاجم دبابات العدو على يسارك» وكان برتقال 2 هو الاسم الرمزى للدبابتين الموجودتين على الجناح الأيسر للفوج، وفهم قائد الدبابات، وقال فى الميكروفون: «اشتبكوا مع العدو الموجود عند الساعة الحادية عشرة». وكان يوجد بداخل الدبابة السائق والرامى والمعمر وعامل اللاسلكى وقد سمعوا جميعًا الأوامر، وكان معنى الساعة الحادية عشرة أن العدو موجود على يسارهم بقليل أى عليهم أن ينحرفوا قليلاً فى اتجاه اليسار. وصدرت الأوامر: «الهدف على بعد 800 ياردة. اطلقوا قذيفة مخترقة للدروع».

وكان الرامى والمعمر يعملان بدقة الساعة بداخل الصندوق المعدنى فى الدبابة وقد وصلت درجة الحرارة إلى 120 فهرنهيت، وبعد توجيه المدفع والبرج نحو الهدف، توقفت الدبابة لأن من الأفضل إطلاق النيران والدبابة

ساكنة، حتى تكون الإصابة محققة، ثم ضغط على زر الإطلاق الكهربائى. ثم سمع صوت القائد يقول: «الضرب قصير خمسين ياردة». أى أن القذيفة سقطت قبل الهدف بخمسين ياردة. وصدر الأمر: «عمر. على المسافة الجديدة - صوب - أطلق النيران! الهدف أصيب».

وأرسل البريطانيون قوة هندية من بنغازى لكى تهاجم جناح الألمان. وكان هذا حدثًا مُهمًا إلا أن رجال الاستماع التابعين لرومل كانوا منتبهين، فقد التقطوا رسالة بريطانية دلتهم على أن هذه القوة على بعد خمسة عشر ميلاً شمال أجدابية وكانت تقوم إلى حد ما، بدور الاستطلاع بالقوة. إلا أن القائد البريطانى الجنرال ريتشى كان لا يريد إشراك الفرقة كلها فى المعركة وكان يحاول خداع الألمان ولكن رومل كان يعرف نياته فأصبحت خطته بدون فائدة وقرر رومل أن يتجاهل الفرقة الهندية وأن يقذف كل قوته ضد الفرقة الأولى المدرعة.

ولقد تحقق ما توقعه كما دلت نتيجة المعركة. فقد استولى الألمان على 12 طائرة و96 عربة مدرعة و38 مدفعًا، كما تم أسر ما يزيد على 1000 رجل ومن ضمنهم هيئة أركان حرب إحدى الفرق البريطانية المدرعة. كما سقط فى أيدى الألمان مركز ضخم للتموين فى كميات كبيرة من المواد. ودهش الجنود عند رؤيتهم لهذه الموارد الضخمة والكنوز التى يملكها البريطانيون. ولكن جيوبهم مع الأسف كانت صغيرة، وكانت الأسلحة والذخيرة أهم من سجاير البلايرز ومربى البرتقال والويسكى والبسكويت. أما المهندسون فقد حصلوا على صيد ثمين، إذ وجدوا إحدى الورش الخاصة بإصلاح الدبابات وفيها 30 دبابة صالحة لخوض المعركة من طراز «فالنتين»[1].

(1) بول كارل - المرجع السابق، ص 197.

روميل ووستفال يتعرضان للأسر

وعندما طار روميل مع رئيس أركان حربه وستفال فوق أرض المعركة ليأخذ صورة عن الموقف تعرضا للأسر ولكنهما نجوا بأعجوبة. وهذا الحادث يظهر أن مصير قادة المعارك دائمًا معلق بخيط دقيق أثناء الحرب.

فلقد كان الرجلان فى طائرة استطلاع تطير على ارتفاع منخفض متجه نحو تجمع للعربات ظنا منهما أنهما سيجدان الجنرال كروويل هناك وفجأة وقعا تحت تأثير نيران المدافع المضادة للطائرات. فلقد كانت العربات بريطانية. وأصيبت الطائرة وأصبحت كالمصفاة. وطارت الشظايا وقطع المعدن فى الهواء إلا أن روميل لم يفقد صوابه. وأخذ يوجه الطيار قائلاً «اتجه إلى اليمن، والآن إلى اليسار، ارتفع بالطائرة، انخفض» وكانت الطائرة فى ذلك الوقت تتأرجح فى السماء.

وشاهد وستفال فجأة 12 طائرة هاريكان فوق طائرتهم. وكانت هذه هى النهاية كما اعتقد، إلا أنه لحسن الحظ لم تر الطائرات البريطانية الطائرة الصغيرة الموجودة تحتها، فكانا محظوظين للخروج من هذا المأزق. وعند العودة تعرضا ثانية لنيران المدافع المضادة للطائرات، وأصيبت الطائرة مرة ثانية، ولكن روميل عاد إلى مقر قيادته بدون خدش، ولو أن الحظ ساعد رجال المدفعية البريطانية قليلاً لسقط روميل ورئيس أركان حربه حيين أو ميتين فى قبضة الأعداء.

وبمعركة مسوس تكون خطة روميل قد نجحت فى كسب الوقت وعرقلة استعدادات الهجوم البريطانى، ولكن روميل لم يكن بالرجل الذي يقتنع بالمفاجأة فقط أو نجاح باهر لمدة أربعة أيام. وقرر الماريشال الكونت كافاليرو زيارة أرض المعركة لكى يقنع روميل بعدم الاستمرار فى هجومه. وطار معه

كسلرينــغ إلى مقر قـيادة روميل. وكـان السبب يرجع لمخاوف الإيطـاليين من هجوم روميل الذى قد يؤدى إلى هزيمة عسكرية. وطبعًا كان هذا الهجوم سرا بالنسبـة لهم فقد قام به روميل وحـده وبقواته الألمانية، ويرجع أيضًـا للكبرياء المجروحـة بسبب انتـصارات روميل البـاهرة. وقد قـال لى فريتـز بايرلاين أن روميل سجل هذا الخلاف الدرامى مع القيادة الإيطـالية العليا فى مذاكرته على النحو الآتى:

«فى 23 يناير وصل المارشال كـافاليرو قادمًـا من روما يحمل تعليـمات موســولينى بالنسبـة لسير الحـملة. وقال كـافاليرو: «إن رومـا لا توافق على الهجـوم وتريد منى أن أنهيه، مع عدم الاشـتباك مع العدو والانســحاب إلى موقع مرسى البريقة». وقد عارضته بقوة وأبلغته أنه طالما أن جنودى ومواردى تسمح لى فإننى سأواصل مقاومة العدو وإزعاجه. وأخيراً تقدم جيـش البانزر مرة أخـرى وقد كـانت الضـربات الأولى الموجـهة للعـدو ناجــحة، وسـوف أتبعها بأخرى وقد توسل إلى المارشال كافاليرو بألا أفعل ذلك...».

إلا أن روميل لم يستـسلم، وانسحب كـافاليرو غـاضبًـا. وكان رده أنه سـيســحب الفيـلق الإيطالى من تحت قيـادة روميل. وقـرر أن تبقى القـوات الإيطالية فى قطاع أجدابية - مرســى البريقة، وإذا أراد روميل أن يواصل قتاله فـعـليـه أن يفعـل ذلـك بالوحـدات الألمانيـة وحدها، وهذا مـا فـعله روميل بالضبط(1).

وفى 23 يناير ظهر الجنرال كافاليـرو فى رئاسة الجيش ليناقش روميل فى أسباب استقلال قرارات جيش البانزر.

---

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص 199.

تم تغيير اسم «مجموعة بانزر أفـريقيا» إلى «جيش بانزر أفريقيا» فى يوم 22 يناير 1942. وكان الجيش المذكور يشمل كل القوات الإيطالية الموجودة فى الجبهة وكانت عبارة عن:

الفيلق20: فرقة أريتى المدرعة وفرقة تريستا الميكانيكية.

الفيليق21: فرق بافيا وترنتو وسابرتا المشاة.

الفليق 10: فرقتى بولونيا وبريسكيا المشاة.

وكتب رومل فى مذاكرته عن هذا الاجتماع:

«أحضـر الجنرال كافاليرو تـعليمات من الدوتشى تخص العـمليات فى المستقبل وكل شىء يشـير بأن روما غير مغتبطة بالهجـوم المضاد لجيش البانزر وتود لو استطاعت إيقافه فى أقرب وقت ممكن وذلك بإصدار الأوامر اللازمة. وخلال المناقشة قال كافاليرو: «لا تحول هذا الهجوم لأكثر من استطاع قوى ثم عد مرة أخرى بسرعـة» ولكنى لم أقبل هذا الكلام وقلت له أننى مصمم على الاشتباك مع العـدو ومهاجمته طالما سمـحت لى حالة قواتى والإمداد بذلك، لأن جيش البانزر تحرك أخيراً وقد أصابت ضرباته أهدافها. وكنا سنتحرك أولا لتدمـير العدو جنوب أجـدابية ثم نتـابع التقدم شـرقًا وشمـال شرق. وكنت أسـتطيع الانسحاب على الدوام إلى خطوطنا فى مـرسى البـريقة لو سـاءت الأمور (وطبـعا هذا بخـلاف ما كنت أتوقع)، ولكننى لم آمل فى هذا، فـقد كانت آمـالى أكبر من هذا بكثـير. وتوسل إلىّ كافـاليرو بعدم الاستـمرار فى عـملياتى، ولكنى قلت له أنـه لا يوجد من يسـتطع أن يغيـر قراراتى سـوى الفوهرر نفـسه لأن الهجـوم أساسا تقوم به القـوات الألمانية. وأخيـراً بعد أن حاول كسلرينج مساندته بعض الوقت تركنى وهو مستاء.

وبعد مغادرتهم لمقر قيادتى استبقيت الجنرال فون رينتلين لأطلعه (ولو بصورة سريعة على ميدان المعركة في اليوم التالى (لأنه أمضى كل وقته فى روما) وذلك لأغرس فيه مطالبى بالنسبة للاحتياجات اللازمة لمسرح عمليات الصحراء العربية.

وقد انتقم كافاليرو لنفسه فقد حجز جزءا من الإيطاليين فى منطقة مرسى البريقة وجزءا آخر فى أجدابية مما أدى إلى أنهم خرجوا عمليا من تحت قيادتى، ومع هذا استطاعت القوات الألمانية وحدها استرداد برقة[1].

فلماذا كانت القيادة الإيطالية حذرة إلى هذا الحد؟ قد نكون نحن الألمان مضطرين إلى الحكم عليهم بشىء من الاحتقار، إلا أن الأمور لم تكن بمثل هذه البساطة. فالقيادة الإيطالية العليا لم يكن بإمكانها الوصول إلى قرارات جريئة. أما الجندى الإيطالى فعلى العكس قد قاتل ببسالة. ولم تكن شجاعته موضع التساؤل أو النقد. ولكن المسألة ترجع إلى كفاءة معداته العسكرية. وكان الشعب الإيطالى يتساءل لماذا يريد موسولينى أن يشن حربًا استعمارية أخرى يريق فيها الدم والدموع فى حين أن الإمبراطورية الاستعمارية الإيطالية كانت كبيرة وكافية؟!

وكان العسكريون الإيطاليون ينظرون إلى المسائل من هذه الزاوية. ولم يستطيعوا فهم كيف استطاع ذلك الألمانى رومل بعد 500 ميل من القتال والانسحاب أن يبدأ مرة أخرى فى التفكير بالنصر! ومن المؤكد أن جنوده المرهقين سوف يواصلون الهجوم وكلهم ثقة! وقد اعتبر الإيطاليون ذلك جنونًا محضا. فالجيش الإيطالى غير قادر على الاشتراك فى مثل هذه المغامرة لأن معداته كانت قديمة، وكان مظهره يخفى حقيقة أمره ولقد اشترك الضباط

(1) مذكرات رومل، المرجع السابق ص160.

الإيطاليون فى الحرب ومعهم قطارات من الأمتعة الشخصية، ويتبعهم جيش من أمهر الجرسونات الذين كانوا يعملون فى أحسن الفنادق الإيطالية كمراسلات. وكانوا حتى فى وسط الصحراء يخدمون الجنرالات وهم يرتدون القفازات البيضاء. وبالإضافة إلى غرف طعام الضباط ونومهم كانت هناك غرف مماثلة لضباط الصف المتطوعين ولضباط الصف المجندين، وللجنود العاديين.

وبينما كان الضباط يتناولون وجبات مكونة من ثلاثة أصناف، كان الجنود يأكلون علبة من اللحم المحفوظ. كان الجنود ينظرون بعجب إلى القوات الألمانية التى كان قادتها من الجنرالات يأكلون نفس النوع من التعيينات الذى يتناوله الجنود العاديون. وعندما قام روميل بالهجوم من مرسى البريقة فى 21 يناير لم يواجه سوى وحدات استطلاع المفرزة، فأخذ البريطانيين على غرة تمامًا. وأخذ روميل يضع الخطط لمهاجمة بنغازى. وبالرغم من أنهم كانوا فى آخر كانون الثانى إلا أن الصحراء كانت فى الربيع لأن الصحراء العربية تختلف عن أوروبا. ففى المواقع الجديدة التى احتلها الألمان فى مسوس. دهش الجنود من منظر الطبيعة الجميلة الموجودة على مشارف صحراء برقة، فلقد أينعت الزهور، وكانت هذه الزهور البرية أكبر من التى توجد فى أرض الوطن، وقد جمعت كل الألوان بين الأصفر والأحمر والأزرق. إلا أن هذه الأفكار الجميلة عن الطبيعة لم تدم طويلاً فتفتح الربيع فى الصحراء يشبه الاحتجاج من الطبيعة على حماقة الإنسان المشغوف بالقتال. وأشرقت الشمس وساد جو من السلام. ولم يعد يسمع سوى عويل الجنود وهم يطلبون النقالات لحمل الجرحى، وكم كان هذا الربيع مشرقًا فى ظل الموت!! وكيف يستطيع الرجل أن يستنشق عبير الزهور عندما تكون رائحة الموت غير بعيدة عنه.

بنى الرجال أقفاصا خارج حفرهم وخنادقهم من أجل السلاحف، أما الآخرون فكانوا يستمتعون بمهارة الحرباء فى اقتناص الذباب بألسنتها الطويلة. ووضع الجنود هذه المخلوقات الرقيقة فوق الرمال البيضاء، وفوق الأعشاب الخضراء حيث كانت الحرباء تغير من لونها وفقا للبيئة المحيطة بها، من أبيض إلى أخضر إلى لون أحمر مثل لون المنديل التى توضع فوقه ويصيح الجنود كلما غيرت الحرباء من لونها إلى لون آخر «انظروا . . انظروا».

25 يناير 1942

عزيزتى لو

أربع أيام من النجاح الكامل. فقد أصابت ضربتنا أهدافها. ولا تزال هناك ضربة أخرى. ثم سنتواضع فى أنفسنا ونقف بعض الوقت لننتظر الأحداث. وقد تحسنت عنى آراء الصحافة الأجنبية مرة أخرى. وقد حضر كافاليرو وكان يريد أن يعود بى مباشرة للخلف بأوامر من الدوتشى. ولكن تعليمات الدوتشى المكتوبة والتى وصلتنى، لها معنى غير الذى يقصده المذكور وعلى الأقل فإنها تركت لى درجة أكبر من حرية العمل[1].

ثم يأتى سباق السلاحف. وكان كل ما يلزم لهذا السباق السطح العلوى لمنضدة قديمة لكى يمنع المتسابقين من أن يحيدوا عن خط السباق. وكان رجال الفوج 115 هم الفائزون دائمًا فى مثل هذا السباق. وكانوا يتراهنون بمبالغ كبيرة ودائمًا يكسبون. ولما كان أصلهم من مقاطعة هيس فقد كانوا دائمًا فخورين بالمحافظة على التقاليد التى كانت يوما ما متبعة فى الحرس الخاص لصاحب السعادة دوق هيس. وكنت تسمعهم أثناء السباق يصيحون: «عشر سجاير جولد فلاك على نابوليون. خمس عشرة سيجارة سينيورسيرمس على

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 161.

ويلهلم أو عشرون سيجارة بلايرز على أوكنلك». وكانت هذه السجائر الإنجليزية تعتبر من أفضل الغنائم. وكان المتراهنون على ويلهلم غالبا ما يكسبون، فيمنحون بذلك فرصة ذهبية لزيادة تموينهم من السجائر. ومنذا الذى لا يفضلها على السجائر الألمانية الجافة، التى يعوزها التغليف الصحيح لمواجهة الحرارة فى الأقاليم الحارة لذلك كانت مثل القش. وكان ويلهلم سلحفاة أرضية، وكانت هذه الأنواع من الحيوانات أكثر مكرا من زميلاتها الحيوانات الألمانية التى تعيش فى المستنقعات. وكانت هذه هى الخدعة التى يعتمد عليها الجنود، فلا يراهنون على سلحفاة مائية رغم أنها قد تبدو فى البداية أكثر سرعة من الأرضية. وكان ويلهلم سباقا، فبالرغم من الإغواء الذى كان يتعرض له من قبل الطهاة بأن يعرضوا عليه أطباق الحساء كان يتجاهل ذلك ويواصل السباق. وكعرفان بالجميل أطلقوا سراحه بمجرد انتهاء حلمهم بالسلام، واستيقظوا فقد انتهت الأيام الثلاثة التى منحوها أجازة من الجحيم. وها هم يعودون إلى الحرب.

يقول اللواء إدموندز عن تلك المعركة ما يلى:

وفى 21 يناير قام رومل بهجوم قوى.

«لقد حدث ما لم يكن محتملا قط: وبدأت قوات المحور تتقدم دون إنذار سابق».

وربما كان رومل قد شن هذا الهجوم ليجس النبض، وليتلمس مواطن القوة والضعف فى عدوه، كما فعل ذلك فى 31 مارس عام 1941، فهى أذن حركة واسعة النطاق. ولكن هذه الحركة لا يقوم بها إلا رجل قوى من الناحية المعنوية والجسمية أيضًا. ذلك لأن رومل، كقادتنا، قد اشترك فى حرب لم يقف القتال خلالها فى شهرين كاملين، وهو مثلهم أيضا، كان ينام فى

سيارته أو بالقرب منها، دون أن يحظى بالهدوء أكثر من ساعة أو ساعتين. وهو مثلهم قد أكل ما استطاع وما شاء من الطعام فى الوقت الذى يشاء. وهو مثلهم قد عانى البرد القارس والأمطار والعواطف الرملية التى تحجب الرؤية وتعمى العيون. بل أن رومل كان أكثر منهم نشاطاً، فهو لا يكف عن التنقل بسيارته بين مختلف مراكزه على طول جبهة القتال.

ولم يداخل رومل الخوف أو الفزع، وهو يتقهقر أمام البريطانيين. ولما بلغ العقيلة، كان مرهقًا، وكان السير قد أضنى جنوده. ولكنه لم يشأ أن يحدد لجنود الفيلق الأفريقى أى هدف. بل أعطاهم مؤونة ثلاثة أيام، وكان عليهم أن يتبعوه بأقصى ما فى طوقهم من سرعة، وكان رومل يزحف بما لا يزيد على مائه دبابة بعضها خفيف، دون أن تغطيها بحق، أسراب من الطائرات المقاتلة، وكان يسير على هيئة ثلاثة أرتال.

ويقول الجنرال أوكنلك: أن رومل، كما تعودنا منه، قد قام بسرعة وبراعة هائلة. بأنجح هجوم قام به. فلقد تحول الهجوم الاستكشافى، أوجس النبض، إلى هجوم حقيقى. فالفرقة الأولى المدرعة التى حلت محل «جرذان الصحراء» من الفرقة السابعة، كانت حديثة العهد بالصحراء وبالحرب فيها. فقدت مائة دبابة من دباباتها المائة والخمسين كما فقدت الكثير من مدافعها، فاختل بذلك توازن الجيش الثامن!

وفى 7 فبراير عادت قوات رومل، فوصلت الخط ما بين الغزالة وبير حكيم، دون أن تخسر فى ذلك أكثر من ثلاثين دبابة. لقد كان ذلك من رومل جرأة ومخاطرة وبراعة فى فن القيادة[1].

---

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق، ص128.

يقول اللواء فاروق الحريرى ما يلى:

قدر الفريق رومل موقف خصمه وتوصــل إلى نتيجة مفادها أن الإنجليز أصابهم الإرهاق نتيجة لتقدمــهم الطويل كما أن خطوط مواصلاتهم أصبحت طويلة وواهنة وابتعدوا عن قواعد تموينهم الكائنة فى مصر أكثر من 1500 كيلو مترًا وعليه فإنهم وصلوا إلى مرسى البريقة وهم بقوة ضعيفة جدًا. حيث تبين له من الاستطلاع واستــراق الرسائل أن الفيلق 30 هو القوة الرئيســية القائمة بالمطاردة وأنه يتخذ نظام القدمة قرب أجدابية. أما الفيلق 13 فقد أبقى لإعادة التنظيم بيــن درنة والسلوم. وكــان هذا الفــيلق قــد قاتل الســاقــة الألمانيــة - الإيطالية التى تركت تعويق الإنجليز فى البردية ومضيق حلفاية حتى استسلامها فى 17 يناير 1942 فقرر الإنجليز الاستحــضار للتقدم نحو طرابلس بكل هدوء بإقامة سلسلة من قواعد التموين على امتداد محور طبرق - طرابلس.

إلا أن رومل أخل بكل ترتيبات الإنجليز عندما باغتهم بهجوم جديد شنه فى 21 يناير 1942 وحــدث أن تســابقت الدروع الألمانيــة مع قــوات الإنجليــز فسبــقتها إلى أجدابيــة التى كانت قاعدة تموين مــتقدمة فتــمونت من الأكداس الإنجليزية وواصلت اندفاعها باتجاه الشمال الشرقى.

لم يساهم الإيــطاليون بهذا الهــجوم لأن القــيادة الإيطالية العلــيا منعت قواتهــا من الاشتراك به. فــاضطر الفريق رومل على مهــاجمة مــوضع بنغازى جبــهويًا يوم 29 يناير 1942 حــيث سدد ضــربة شديدة لفــرقتــين إنجليزيتــين وأجبــرهما على الانسحاب نحــو الشرق وطاردهما رومل إلى مــوضع الغزالة الذى وصله يوم 7 فبراير 1942 وتوقف هناك.

أصيب الإنجليز بخيبة أمل شديدة لأن مــعركة سيدى رزق الناجحة التى كادوا أن يحتلوا بعدها كل إقليم ليبــيا ووصلوا إلى مشارف طرابلس تمخضت

عن اندحار شنيع أجبروا بعده على التراجع إلى المنطقة التى انطلقوا منها. أما المقر العام الألمانى (الذى كان منهمكًا بمعارك الجبهة الشرقية المصرية) فقد تصور خطأ أنه أولى جبهة ليبيا أكثر مما تستحق واطمأن لتحسن موقف الفيلق الإفريقى وعاود إهماله لتلك الجبهة المهمة.

ومما زاد فى الطين بلة أن الإيطاليين استمروا على مناكفة الألمان فامتنعوا عن زج فرق المشاة الإيطالية لتشغل خط الجبهة لكى تتحرك التشكيلات الألمانية المدرعة وتتمكن من تنفيذ معارك الدرع السيالة فى مختلف أجزاء الصحراء بمرونة تامة. وعندئذ أثر الإيطاليون الاندفاع نحو بنغازى وأرادوا جعل مرسى البريقة قاعدة لحركاتهم المقبلة[1].

رومل يستولى مجدداً على بنغازى:

فلقد علم رومل عن طريق التقارير التى وصلته من مراكز الاستماع التابعة له أن القيادة البريطانية مترددة بالنسبة للدفاع عن بنغازى والمخيلى. وكانت هذه مادة جديدة يمكن سحقها فى طاحونة رومل. ولذلك قرر انتزاع المبادرة من البريطانيين ومهاجمة بنغازى. فالميناء سوف تصبح ذات فائدة عظيمة للإمداد. ومرة أخرى أمكن إحراز المفاجأة التكتيكية. ففى ربيع 1941 استولى على بنغازى من الجنوب. وقال: «إن البريطانيين سوف يتوقعون منا أن نعاود ما فعلنا قبل ذلك». وعلى ذلك فقد قال لوستفال، أنه يرى أن يهاجم بنغازى من طريق مسوس، أى من الشرق. ونستولى على الميناء بمفاجأتهم من الداخل، وبهذه الخدعة نستطيع حصر الحامية البريطانية فى المدينة بالرغم من صعوبة الأرض ونقص الوقود الذى سيحد من عدد القوات التى سنستخدمها.

---

(1) اللواء الركن فاروق الحريرى - المرجع السابق ص137.

وتوجه روملِ مع هيئة أركان حربه لزيارة مجموعة القتال ماركس. وكان على هذه المجموعة القوية التي عززت بالكتيبة الثانية مدافع ما كينة ومجموعة قتال الرائد هشت المضادة للطائرات أن تعبر المنطقة الجبلية في برقة وتتقدم إلى بنغازى. كما كان على مجموعة القتال التابعة للعقيد جسلر أن تلتف حول المخيلى وتستولى على مراوة لتأمين عملية الهجوم على بنغازى من الشرق. وكانت هذه المجموعة تتكون من جماعات من الفوج المدرع 115 وسريتين من المدرعات وبطارية من المدفعية المدرعة.

وشقت مجموعة القتال طريقها بصعوبة عبر الصحراء الوعرة، وعادت إحدى دوريات الاستطلاع وأبلغت عن وجود قوات للعدو قوية في الوادى تتألف من حوالى 20 مدفعا و100 عربة. وكان البريطانيون غير حذرين فكان من الممكن سماع أصواتهم وهم يستعدون للعشاء، وأمر جسلر جنوده بالتزام الصمت وفى الظلام الدامس جهزت المدافع المضادة للدبابات فى أماكنها. وحدد موعد الهجوم ليكون عند الفجر. وكان الليل شديد الظلمة لدرجة أن مدافع الماكينة وضعت فى أماكنها بمجرد الغريزة أو التخمين ولم يتيسر للبطارية الثقيلة أن تختار موقعًا مناسبًا لها. وبقيت على استعداد لإطلاق النيران على طرق الاقتراب.

ولم يتعود البريطانيون الاستيقاظ مبكرًا وكان هذا معروفًا عنهم ويعد من مظاهر الضعف. وكان جسلر قد وضع خطته على أساس هذا التقصير وإصدار أوامره فى الساعة الثالثة صباحًا وقال: «أطلقوا النيران عندما ترون الإشارات الضوئية البيضاء». وقد وجد الملازم روف أن الانتظار غير محتمل، وكان مع مدافعه الثلاثة. وسرعان ما ظهرت فى ضوء الفجر الشاحب معالم

المدافع والعربات البريطانية. ولم تكن هناك حركة من جانب البريطانيين. وكان الألمان قد اتخذوا مراكز القتال.

وأخيرًا ظهرت الإشارة البيضاء. وأطلقت المدافع الثلاثة المضادة للدبابات نيرانها. وفي أسفل الوادى كانت جهنم قد فتحت أبوابها. فقد بوغت البريطانيون مباغته تامة وسرعان ما صعدوا إلى عرباتهم وأخذوا يطلقون النيران على غير هدى وهم يهربون بعرباتهم. وجرى الرجال الذين لم يركبوا وراء العربات الفارة وهم يصيحون بأعلى صوتهم وكأنما كانوا يسيرون إلى حتفهم ثم تصاعدت أعمدة الدخان. وأخذت القوات الألمانية الميكانيكية تتدفق إلى الوادى. وكان لا بد من تطهير الطريق من العربات المعطلة وقام الفدائيون بجمع جثث الموتى والعناية بالجرحى. ووقف رائد بريطانى بجوار سيارته وقد عقد يديه وهو يصلى وينظر إلى زميله الملازم الذى سقط قتيلاً عند قدميه. وكان أحد الأطباء راكعا بجواره. وقفز النقيب جود طبيب الفوج 115 من عربته المدرعة، إلا أنه لم تكن هناك حاجة إلى مساعدته وظل الرائد واقفا كالتمثال بجوار الجثة. واقترب منه الملازمان وقالا بهدوء: «تعالى الآن أيها الرائد». فانتبه كأنما كان فى غفلته وهز رأسه وسار إلى نقطة جمع الأسرى[1].

وقال النقيب سيستر أركان حرب العقيد جسلر وهو محارب قديم محبوب ومعروف فى الفوج 115 وهو يهز رأسه: «إن هذا لمما يؤثر فى النفس أن يتابع الإنسان الصلاة وينسى الحرب، إلا أن هذا يعد مظهرًا سيئًا بالنسبة له كضابط، ولكن يجب أن نبدى إعجابنا به لإخلاصه لزميله المتوفى».

(1) بول كارل - المرجع السابق، ص 203.

وكتب روميل يوم 27 يناير 1942.

سارت الأمـور بشكل رائع هنا. طهرنا مـيدان المعـركة. جمـعنا المدافع والمركبات المدرعة والدبـابات والمواد التموينية والذخائر، وأفدنا منهـا كثيرًا فى استخدامنا لها.

بدأ المناخ يعـتدل نحـو البرودة. وللمـطر فائدته إذ أنه يعـوق الطائرات البريطانية من مغـادرة قواعدها فى ليبيا (برقة). سيعـود - غوز - رئيس هيئة أركان روميل - فى مطلع شهر شباط - فـبراير -، ولكنه لم يعد كما كان فى السـابق، فقد تلقى شـحنة قوية جدًا - نتيجة مقـابلته للفوهرر والدوتشى -، وأنا لم أتعود على هذا النوع من الأشيـاء. نحن الآن على أحسن ما يرام مع الفيـالق الإيطالية. إنهم حقًا مـرضى فى قلوبهم مما يعيقـهم عن اللحاق بنا، ولكن هذه الخطيئة ليست خطيئتهم.

لم تتمكن كافة العوائق التى أقيـمت أو انتصبت لإيقاف اندفاعة روميل، من تحقيق هدفهـا. ومضى الفيلق الأفريقى فى زحفه الظافـر، فاستولى على (بنغازى) يوم 29 يناير، ثم تابع زحفـه حتى استـولى على برقة يوم 6 فبراير 1942 (باستثناء مارماريك فى الشرق).

وكان بقاء القوات الإيطالية حول مصوص وأجدابية ومرسى البريغا سببًا فى عـدم تمكن روميل من تدميـر القوات البـريطانيـة التى انسحـبت إلى خط (الغزالة - بيرحكيم - طبرق)، مما اضطر روميل إلى اتخـاذ خط دفاعى مقابل (ما بين المخيلة - وتمراد). ووصلت بذلك معارك الشتـاء حتى نهايتها. وأخذ الطرفان المتصارعان فى الإعداد للجولة القادمة والاستعداد لها[1].

---

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق، ص173.

وواصلت الجماعات المقدمة من مجموعة العقيد جسلر تقدمها إلى مراوة. وكان ذلك فى يوم 28 يناير. ولكن هل هذه حقًا أفريقيا؟ فيالها من بلاد شجيرات خضراء ومراعي وأشجار من الحور والقسطل والزهور فى كل مكان. لقد كانت هذه المنطقة الخصبة فى القديم المزارع الرئيسية للقمح لروما القديمة قبل أن تمتد رمال الصحراء إلى الشمال. ووصلوا إلى ينبوع من الماء عليه جسر من الخشب وتخيلوا أنهم فى سكسونيا الجنوبية بألمانيا، إلا أن الحرب لا تحترم مظاهر جمال الطبيعة.

وفى صبيحة اليوم التالى حلقت القاذفات المقاتلة للعدو فوق جسلر. واعتقدت خطأ أنها قوات بريطانية فلم تقذفها بقنابلها. غير أنه سرعان ما سمع انفجار ضخم. وطارت العجلة اليمنى لعربة القيادة فى الهواء فلقد دخلت العربة فى حقل للألغام موجود أمام الجسر. واستعد السائق هرنجر للوثوب من العربة، إلا أن الملازم مورنيز منعه قائلا: «ابق حيث أنت يا رجل وإلا فسوف تمزق إربًا». وبحذر خرجا من العربة وسارا على أثار عجلات العربة إلى الخلف وتقدم المهندسون ورفعوا الألغام.

أما سائر أفراد الكتيبة فقد عبروا الجدول المائى ليتجنبوا وابل النيران المتساقطة على الجسر وعادت عربة الاستطلاع وأبلغت أن المرتفعات المحيطة بمراوة خالية من الأعداء.

وقال تونى ستربت الضابط المناوب فى الفوج 115: «سوف نحصل على عربه قيادة جديدة مصنوعة فى بريطانيا».

وأرسل قادة السرايا إلى القطاعات المعينة لهم. كما أرسلت جماعتان من جماعات الاستطلاع فى اتجاه بنغازى والمخيلى، وقال قائد الفوج 115: «أن الفوج مستعد للعمل».

ولكن ما الذى حدث فى هذه الأثناء بالنسبة لهجوم رومل على بنغازى فى يوم 28 يناير 1942؟ لقد خرج رومل بمجموعة القتال التابعة له فى تمام الساعة الخامسة، إلا أن العملية صاحبها سوء الحظ منذ البداية فلقد هبت عليهم عاصفة رملية مصحوبة بأمطار رعدية واستمرت العاصفة ساعتين. وقد فاجأت العاصفة أحد الطوابير أثناه عبوره أحد الوديان مما اضطره إلى البقاء ساكنًا فى مكانه وقواته معرضة للبرد والجوع حتى صبيحة اليوم التالى. وأصبح التقدم متعذرًا بسبب الوحل. وتحت الخيوط الأولى من شمس الصباح المحرقة سرعان ما جفت الأرض وارتفع عنهم الكابوس، فتركوا العربات الثقيلة بالطبع وراءهم. وما همهم أن يتركوها فهم يريدون التقدم بسرعة أكبر. وسرعان ما لاح لهم الحصن التركى القديم ورومل على رأسهم متجهين إلى مطار بنيا، وفى اللحظة الأخيرة قبل وصولهم حلقت عدة طائرات من طراز يونكرز 52 وكان يقودها البريطانيون !!فوا أسفاه!.

وتعويضًا عن ذلك وجدوا مخازن المؤن والمستودعات على جانبى الطريق مملوءة بالإمدادات وخالية من القوات. وكانت مستودعات جديدة أقامها البريطانيون عندما قرروا الهجوم على طرابلس. ويضاف إلى ذلك أن المستودعات الألمانية التى تركها الألمان أثناء انسحابهم لم تمس. فالحرب لا تعرف الاقتصاد لأنها الإسراف بعينه، وكانت هذه المؤن كنوزًا يسعى الكل إلى الحصول عليها، وكانت محتوياتها كافية لتموين مدن بأكملها.

أما الحامية البريطانية فى بنغازى فقد كان مكتوبًا عليها الفناء. وأرسل قائد الفرقة الهندية جماعات النسف والتدمير التابعين له للعمل. وبجوار الكتيبة أخذت المستودعات البريطانية تحترق ويتصاعد منها الدخان. واحترقت سبعة ملايين سيجارة تصاعد دخانها إلى عنان السماء[1].

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص 205.

وأحرقت براميل من الروم لا حصر لها. وأحرقت مائة ألف طن من اللحم المحفوظ وتفحمت فى مستودعاتها المشتعلة. ولكن بالرغم من كل هذا وجدت كميات كبيرة من المؤن لم يتسع الوقت لتدميرها. وأحضر رجال مجموعة ماركس أول طوابير الأسرى، وأبلغوا عن الاستيلاء على عدد من السيارات التى حاولت التسلل من بنغازى، إلا أن رومل رفض أن يضيع وقتًا فكان يريد دخول المدينة ولكنه توقف لمدة وجيزة، استمتع بها جميع الرجال تمامًا. فلقد التقط عامل اللاسلكى رسالة أرسلها موسولينى. وكان الدوتشى يقترح فيها على رومل الاستيلاء على بنغازى فى هذه الفرصة الذهبية على أن تبقى القوات الإيطالية فى مواقعهما فى الخلف فى مرسى البريقة. وكان رد رومل قصيرًا وحاسمًا فقال: «أن المدينة قد تم الاستيلاء عليها فعلا».

وفى تمام الساعة الثانية عشرة من يوم 30 يناير دخل رومل على رأس قواته إلى عاصمة برقة. وحياه العرب من سكان المدينة وهم يلوحون بعلم لونه بنى وأخضر، وسار بسيارته خلال المدينة التى دمرت، إلا أن سكان المدينة كانوا متجهين تمامًا كما فعلوا منذ عدة أسابيع عند وصول البريطانيين إلى المدينة. وبالرغم من أن رومل كان يقامر كثيرًا إلا أنه فى بعض الأحيان كان يأخذ حذره. فعندما سمع أن مجموعة جسلر مستعدة لاحتلال مرادة، ألغى العملية وكان ذلك فى اللحظة التى أرسل فيها الرائد أهل قائد الكتيبة الأولى رسالته بأن الكتيبة على استعداد للهجوم، فقد وصله الرد من رومل بأن يبقى حيث هو حتى تصله الكتيبة الثانية مدافع ماكينة.

ورد رومل على جسلر بأن بنغازى قد تم احتلالها وكان لا يريد أن يعرض نفسه لمخاطر البقاء داخل بنغازى. وكانت الشمس قد قاربت المغيب عندما انضمت الكتيبة الثانية مدافع ماكينة إلى قوات جسلر.

وعند حلول الليل كانت مراده قد سقطت فى قبضة الألمان. ووقف أوكنلك أمام الخريطة في مقر قيادته بالقاهرة وأرسل أعضاء أركان حربه الواحد تلو الآخر إلى الجبهة بطريق الجو لكى يعطوا الأوامر بالانسحاب وكان السؤال الذى تردد: «هل يستطيع البريطانيون إيقاف تقدم رومل؟. وكم تبقى لدى رومل من قوات؟» وسرعان ما جاءت التقارير الأولى تعلن عن تقدم قوات رومل إلى درنة. وتساءلوا أليس هناك طريقة لإيقاف تقدم هذا الثعلب الماكر؟ أجل إن هذا ممكن لأن رومل سيخضع لحكم التعزيزات والإمداد والتموين، ولذلك يجب على البريطانيين التمركز فى موقع الغزالة الحصين. وكان هذا الموقع الدفاعى يمثل لدى البريطانيين ما كان يمثله موقع مرسى البريقة لدى الألمان.

وهكذا تمكن رومل خلال مدة لا تزيد على سبعة عشر يومًا من استعادة كل ما فقده تقريبًا، إلا أن قواته كانت غير كافية للاستيلاء على طبرق ولذلك بقيت فى أيدى البريطانيين. ومرة أخرى أصبحت آمال البريطانيين معلقة على «قلعة الرمال» هذه. فهل تثبت مرة أخرى أمام رومل؟ إنما شوكة فى جنب رومل لو تقدم كما حدث فى عام 1941، علاوة على أنها الحصن المنيع ضد الاستيلاء على مصر[1].

يقول ليدل هارت:

ولم يستطع رومل المخاطرة بالاستمرار فى المطاردة إلى المخيلى لأن خطوط مواصلاته كانت معرضة للقطع من منطقة بنى غازى التى كانت لا تزال فى أيدى العدو، وبناء عليه ففى 28 يناير قام بهجوم مفاجئ على بنى غازى نفسها. وقد تم عزل الحصن أولا من الشمال ثم من الجنوب. وقد تم الاستيلاء عليه يوم 29 يناير واستخدمنا الكميات الكبيرة من العربات والأسلحة والعتاد التى سقطت فى أيدينا فى تسليح وتحميل عدة وحدات.

(1) بول كارل - نفس المرجع، ص 207.

وبعد هذا النصر قرر رومل الشروع فى ضربة بعيدة المدى فى اتجاه الشرق بدفع مجموعتين قتال مختلطة (ولم تكن على درجة كبيرة من القوة) للهجوم بالمواجهة فى برقة وقد أعادت المجموعتين احتلال هذه المنطقة الشاسعة فى يوم 6 فبراير «أى باستثناء منطقة مارومارِيكا فى الشرق». وفى خلال هذا الوقت كان فيلق أفريقيا والفليق الميكانيكى الإيطالى يستريحان بدون أى وجبات حول مسوس وأجدابية ولو أننا استطعنا إلقاء هذين التشكيلين فى هجوم فى نفس الوقت عبر تجندر والمخيلى لأمكننا فى الغالب التغلب على العدو وتدمير الجزء الأكبر من قوته.

وهكذا تمكن العدو من إعادة الجزء الأكبر من قواته سالمة إلى المنطقة الممتدة بين الغزالة وبير حكيم وطبرق حيث بدأ فى إنشاء سلسلة من الاستحكامات الدفاعية. ولجأ جيش المحور هو الآخر للدفاع واحتل مواقعه على الحافة الشرقية لبرقة بين المخيلى وتمراد. ووزعت التشكيلات الميكانيكية الألمانية والإيطالية خلف هذه الجبهة ليمكن استخدامها فى الواجبات المتحركة[1].

وهذه الإجراءات أنهت حملة الشتاء. وبدأ الطرفان فى الاستعداد للمعركة الحاسمة المنتظرة فى الصيف.

(1) مذكرات رومل، المرجع السابق ص162.

الفصل الثانى
غارة على حصن « لامى »
فى تشاد فى 1942/1/21

- الغارة الجوية خلف الصحراء الكبرى.
- الجنود يجددون قواهم.

الغارة الجوية خلف الصحراء الكبرى:

كان النقيب بليخ من سلاح الطيران الألمانى منعزلا مع طائرته من طراز هنيكل 3 فى منطقة مقفرة وسط الصحراء الأفريقية الاستوائية بعد أن قام بمهمة خاصة مع جماعة من الفدائيين هم الملازم (بوهنساك) والرائد الإيطالى الكونت (فيمر كاتى سيغفرينو)، والملازم (فريتز ديتمان)، والرقيب الأول (هرتش جسلر)، وقد استبد بهم الجوع والعطش وطالت لحاهم بعد أن باءت بالفشل محاولات عامل اللاسلكى (ويخمان) للاتصال بأجدابية بواسطة جهاز إرساله الصغير الذى لا تزيد قوته على 3 وات.

ومن جهة ثانية كان الرجال فى أجدابية ينتظرون ورود رسالة لاسلكية من قوة النقيب (بليخ)، وبقى الرقيب (هاين) مدة يومين كاملين من الساعة الثانية صباحًا حتى التاسعة ليلا فى عربة اللاسلكى التابعة لسلاح الطيران الألمانى يحاول الاستماع إلى أية إشارة من محطات كثيرة، ويدير مفاتيح جهاز الالتقاط اللاسلكى وهو يحبس أنفاسه وينصت، ولكن الجهاز لا يستجيب، والرسالة المنتظرة لا تصل.

وتنهد (هاين) وقال: "لم تصل الرسالة بعد"، ورفع السماعات عن أذنيه فى الساعة الثامنة وعشر دقائق من مساء يوم الجمعة 23 يناير 1942، وناولها لمساعده قائلا له: "واصل المحاولة حتى الثامنة والنصف" وما كاد يضع قبعته على رأسه ويتوجه ليتناول عشاءه حتى ناداه المساعد قائلا: "لقد وجدتها. . . لقد وصلت، لقد وصلت!" وساد فى العربة الصمت والسكون وتسمر (هاين) لدى الباب كما لو أنه تمثال من حجر بينما اتجهت أنظار بقية الرجال نحوه. وواصل عامل اللاسلكى الاستماع باهتمام وأخذ قلمه يجرى على الورق أمامه. . . فعاد الرقيب (هاين) أدراجه على رؤوس أصابعه ونظر من فوق كتفيه إلى ما يخط قلمه: (ف. ك. ب. ج - ف. ك. ب. ج)،

وشاهد كيف تتكرر الإشارة الواردة فابتسم (هاين) وقال: "أجل إنهم هم، أرسل الرد على الفور". وأرسل عامل اللاسلكى الرد على الفور وتلقاه فى الطرف الثانى على بعد 750 ميلا من أجدابية فى وسط الصحراء (ويخمان) عامل اللاسلكى التابع للنقيب (بليخ)، وكان (ويخمان) منحنيا إلى الأمام وهو ينصت على ضوء الشموع إلى الإشارات الواردة. ولأول مرة منذ 48 ساعة استضاء وجه النقيب ورجاله المنعزلين فى الصحراء وبات فى استطاعتهم الابتسام والضحك فى تلك البقعة النائية على بعد مئات الأميال من أجدابية.

وكانت نبرات اللاسلكى تصل ضعيفة إلى أجدابية من قلب الصحراء الأفريقية. وبعد تكرار المطالبة بإعادة الرسالة تمكن الرقيب (هاين) بمشقة من حل رموزها فإذا بها تقول: (أن جماعة الفدائيين بقيادة النقيب (بليخ) قامت بتنفيذ مهمتها خير قيام فأصابت القنابل مستودعات الوقود والحظائر فى "حصن لامى" الواقع على ضفاف بحيرة تشاد إصابة مباشرة، ولكننا اضطررنا للهبوط القهرى أثناء عودتنا من يومين من بحيرة تشاد بسبب نقص الوقود فى وسط منطقة مجهولة، ويقع هذا المكان على وجه التقريب فى القطاع المدعو على الخريطة (تا آو مو) وقد أوشك الماء معنا على النفاذ).

وما كان عامل اللاسلكى فى أجدابية يجيب على الرسالة بقوله: "انتهى"، ويرد عليه (ويخمان) من قلب الصحراء بكلمة مماثلة حتى قفز هذا على قدميه متجاوزاً حدود النظام العسكرى، وأخذ الجماعة يرقصون على الرمال أمام الطائرة التى كانت تجثم فى تلك الناحية المقفرة وكأنها من طيور الأساطير. وعلق الرجال خيامهم فوق أجنحة الطائرة كأعلام طلبًا للظل. أما أغراضهم فكانت ملقاة فوق الرمال بغير انتظام. ووجد (جسلر) ميكانيكى الطائرة نفسه يقترب بصورة عفوية من النقيب (بليخ) ويقول له: (ما رأيك ببضع قطرات من الماء يا سيدى النقيب احتفالا بهذه الأنباء السارة، مجرد قطرات قليلة يا سيدى النقيب؟!).

ونظر الجميع إلى قائد الطائرة غير أنه هز رأسه فماتت الابتسامات من على وجوههم وتحققوا أن ما حدث لا يزيد عن اتصال تم على بعد سبعمائة وخمسين ميلا. فهم ما زالوا سجناء فى الصحراء اللانهائية. ولم يبق فى صفيحة الماء ذات الخمس غالونات التى يستخدمونها منذ يومين سوى غالونين. وتراجعوا إلى أكواخ نومهم فى صمت أشبه فى عمقه بصمت الصحراء التى احتوتهم بين جوانبها.

وتساءلوا هل سيستطيعون تحطيم قيودهم هذه أم أن الصحراء ستصبح قبرًا لهم؟، ووقف (جسلر) مرة ثانية وتوجه إلى الطائرة لإحضار حجر كان قد انتقاه بعناية فى ذلك الصباح، لأنه فى صباح اليوم التالى سوف يبدأ فى حفر اسمه عليه حتى يسهل على الناس فيما بعد أن يعرفوا أن هذه العظام البيضاء هى عظامه، ويعلموا مصير الرجال الذين ماتوا فى ربيع 1942 أثناء مهمة خيالية.

وهذه هى قصة هذه المهمة[1]:

فى وسط القارة الأفريقية الشاسعة تقع بحيرة كبيرة على خط العرض الذى يشير إلى أوسع أجزائها وطولها 120 ميلا هى "بحيرة تشاد". ويصب فى البحيرة نهران هما نهر "لوجون" (النهر المسموم المياه) ونهر "فسارى". وإذا نظرنا إليها من الشمال فسنجد أن خط تقسيم المياه وبحيرة تشاد يمثلان أول حدود الصحراء الممتدة إلى الشمال، وإذا نظرنا إليها من الجنوب فإن البحيرة تكون خط الدفاع الأخير للغابات أمام الصحراء الزاحفة، فهى الحائط الشمالى للغابات وهى السد الهائل للخضرة ضد جبروت الصحراء الزاحفة، فهنا يقوم بين الصحراء والغابات صراع مرير إلا أن الصحراء دائمًا هى

(1) بول كارل - المرجع السابق ص210.

المتصرة، فالرياح الشمالية تدفع الرمال باستمرار وبدون انقطاع تجاه الجنوب. وهناك أجزاء من البحيرة قد ملأتها الكثبان الرملية وتحولت البحيرة من اتجاه الشرق إلى بركة ضحلة، والرمال تواصل زحفها وتحارب الغابة والمياه، فهى حرب صامتة غير ملحوظة تدور رحاها بدون صدى كما هى طبيعة الصحراء فى الصمت والسكون.

غير أن بحيرة تشاد ليست مجرد معالم جغرافية، ولكنها نقطة مهمة لطرق المواصلات الأفريقية من الناحية الإستراتيجية والسياسية فى القارة السوداء. فهناك على حافة الغابات الاستوائية تتقابل حدود المستعمرات الألمانية السابقة وهى الكاميرون ونيجيريا وأفريقيا الاستوائية الغربية والفرنسية.

وبما أن الطبيعة قد خلقت منها حصنًا طبيعيًا فإن الغزاة والمستكشفين والمستعمرين قد بنوا فى هذه النقطة حصنًا هو "حصن لامى"، ويقع تقريبًا فى منتصف أفريقيا، وهو عبارة عن قلعة حديثة لحكام القارة تقع فى مفترق الطرق المهمة بين شاطئ الأطلنطى وميناء "دوالا" فى مفترق الطريق إلى الكونغو البلجيكية فى الجنوب (سابقًا) والجزائر فى الشمال. ومن ثم يمكن وقاية وتهديد الجناح الجنوبى لليبيا. وفى عام 1941 أصبح حصن لامى مفتاح الطريق البرى الممتد عبر المحيط الأطلنطى إلى مصر لتوصيل الإمدادات.

ولكى نعرف قوة العدو الذى كان رومل يقاتله هو وفيلقه الإفريقى بمعداته القليلة يجب أن نعلم أن الحملة الإفريقية لم تكن فى المنطقة الساحلية فى الشمال فحسب، وإنما امتد تأثيرها بعمق إلى قلب القارة الإفريقية.

وبالنسبة لحصن لامى فإن الحرب بالإمدادات كانت تشن ضد رومل من هناك وعلى نطاق إستراتيجى واسع النطاق، فهناك كانت تقع منطقة الإمداد اللازم لمصر بعيدًا عن متناول عمليات رومل الحربية علاوة على أن قوات

(ديغول) احتلت جبال تيبستى وهددت ميمنة قوات روملل من الصحراء الليبية الجنوبية. وتعتبر نقطة تجمع ضخمة ونقطة البداية لتحقيق أهداف بعيدة المدى.

ولم تكن برلين تعرف إلا القليل عن هذه الأسرار الإفريقية لأن إستراتيجية الغرب على مستوى القارات كانت غير معروفة لدى الألمان. وكانت برلين تجهل أيضًا أن الحلفاء قد أنشأوا طريقًا للإمداد عبر إفريقيا إلى مصر، وكانوا يجهلون تمامًا ما حدث فى لاغوس حيث توجد مصانع التكرير الضخمة التابعة لشركتى شل (واستندرد اويل) كما لم يكن لديهم معرفة بالأحداث التى تجرى فى ميناء دوالا وبرازافيل فى الكنغو البلجيكية (سابقًا) حيث كان ينقل البترول منه إلى حصن لامى، إلا أن رجلا واحدًا كان يعرف ذلك جيدًا واحدًا من هؤلاء الرجال العظام وليس لديه أى دخل فى السياسة أو الإستراتيجية فما كان سوى واحد من الرواد والمستكشفين المخلصين، وصاحب مزرعة ومغامر بكل ما فى الكلمة من معنى ومستعمر قديم، وهو الجندى الوحيد فى الجيش الألمانى الذى قدم نفسه عام 1939 للخدمة فى سلاح الطيران ومعه طائرته ويدعى (ثيوبليخ) وكان يعمل مع روملل بطائرته الخاصة من طراز "تيفون ان" كان يصح أن يطلق الإنسان كلمة طيران على ما تقوم به هذه الطائرة الضعيفة. وفى يناير 1943 قدم تقريرًا سريًا قبل قيام روملل بهجومه جاء فيه (أن حصن لامى هو نقطة تجمع لعمليات العدو، فهذا المكان المهم هو حلقة الاتصال لخطوط عديدة من المواصلات بما فى ذلك الطريق إلى الشرق ويمكن استخدامه على مدار السنة ويمتد حتى نهر النيل. وقد لاحظ الحلفاء بسرعة مزايا طريق المواصلات هذا الذى يبعد عن متناول يدنا وتمتد من ساحل إفريقيا الغربى إلى النيل، فقاموا بتعبيده إلى الحد المطلوب. أما جبال "تيبستى" وهى المنطقة الأمامية فى الشمال والتى تعتبر

بمثابة رأس الجسر بين ليبيا ومنطقة بحيرة تشاد فكان يسيطر عليها جيش ديغول وهى بذلك تمثل خطرًا مباشرًا على الصحراء الليبية، وبالتالى على خطوط مواصلاتنا من طرابلس وبنغازى. ولذلك يجب تأمين الحدود الليبية الجنوبية لمواجهة هجوم العدو المحتل من إفريقيا الوسطى. والحل هو القيام بعملية حربية الغرض منها إزعاج العدو أو الاستيلاء على حصن لامى الذى يقع على طريق الإمدادات إلى مصر).

وقرأ رجال أركان الحرب فى برلين هذا التقرير فى ذهول، فهل فى استطاعتهم الاستيلاء على خط الإمداد الممتد من حصن لامى إلى النيل؟؟ لا شك أن الرجل مجنون! غير أن (ثيوبليخ) لم يتركهم فى سلام، فقد أمر بإرسال تشكيلات من القاذفات على الأقل لتدمير المركز المهم الموجود فى حصن لامى.

ومعنى ذلك القيام بهجوم جوى على مكان يبعد 1250 ميلا عن مطارات السلاح الجوى الألمانى فى شمال الصحراء العربية. وقرأ رومل تقرير "بليخ" باهتمام. فلقد كان دائمًا يحبذ الجرأة والخيال. وفحص الخرائط جيدًا وأومأ برأسه ثم أضاف حرف (ر) كبيرة الحجم إليها دلالة على الموافقة. وأرسل التقرير إلى قائد سلاح الطيران الألمانى فى إفريقيا. وقد حمل تقرير "بليخ" توقيعات عديدة غير أنها جميعًا لم تكن فى أهمية حرف (ر) الذى أضافه رومل، ونتيجة لهذا ففى اليوم الذى بدأ فيه رومل هجومه الجديد فى ذلك الأربعاء 21 من يناير عام 1942 قام ستة طيارين بغارة تستحق أن توصف بأنها إحدى الغارات الكبرى والجريئة والخطيرة فى العصر الحديث والتى يجب أن نسجلها فى تاريخ الحرب. فلقد طار رجال الفدائيين التابعين لبليخ إلى حصن لامى[1].

(1) بول كارل - نفس المرجع ص 213.

كان معسكر (ينو) مطاراً ذا أرض تكسوها الطفل الصلب، وأما ممرات الطائرات فهى خالية من الموانع من جميع الاتجاهات. ويحيط بالمطار مرتفعات تحجب الرياح عن ذلك المطار الذى يعتبر أكثر مطارات العالم انعزالا. وطار الفدائيون من مطار واحة (هون) وهبطوا فى معسكر (ينو) فى 20 يناير 1942. ووجدوا أنفسهم بمفردهم فى هذا المكان الغريب وسط الصحراء حيث لا توجد مظلة أو حظيرة واحدة للطائرات. وكانوا يتكونون من النقيب (ثيوبليخ) ومعه طاثرته، والملازم (فرانز بوهنساك) قائد طائرة من طراز هينكل 3 والمساعد (جسلر) الميكانيكى، والرقيب (ويخمان) عامل اللاسلكى، والملازم (ديتمان) المراسل الحربى. وكان (ديتمان) لا يحيد أبداً فى تقاريره عن الحقيقة عند وصفه للمعارك البرية والجوية وكان مشهوراً بين رجال الطيران بشجاعته وبسالته وكان المراسل الحربى الوحيد الذى حصل على وسام الصليب الذهبى.

وطار معهم رجل آخر من معسكر (ينو) للاشتراك فى الغارة على حصن لامى وهو شخصية كشخصيات الأساطير يرجع تاريخها إلى عصر القياصرة. وهو الرائد الكونت (روبرتوفيمر كاتى سان سيفرينو) خبير الصحراء فى الجيش الإيطالى الأفريقى، وقد اكتشف بنفسه معسكر (ينو) عام 1935 عندما هبط فى إحدى رحلاته فى المكان المذكور. وقد قام باكتشاف المرتفعات حوله وحدد مكان المطار المثالى الذى لم يكتشفه أحد من قبله على الحافة الجنوبية للصحراء الليبية، وكان (فيمر كاتى) صاحب أسفار محبًا للصحراء، وهى المكان الذى تسود فيه الرياح والنجوم والرمال. وخدم كضابط فى ليبيا لمدة ستة عشر عامًا وكان رفاقه يدعونه باسم (أمير جالو) على اسم الواحة التى أحبها كثيراً. وهبط (فيمر كاتى) فى معسكر (ينو) بطائرة كبيرة من طراز

سافويا فى العشرين من كانون الثانى وكانت وظيفة الطائرة القيام بدور (الطائرة الأم) حيث حملت الوقود اللازم للإغارة على حصن لامى ثم العودة، وكان على الطائرة أن تبقى فى معسكر (ينو)، بينما كان الملاحون وزملاؤهم فى واحة (هون) يعدون الساعات حتى تعود الطائرة الهنيكل ماركة 3 من غارتها الجريئة. وكان الإيطاليون متوترى الأعصاب وقلقين، وهم عامل اللاسلكى النشيط (سكوروزون) الصغير الجسم وكان يرتدى سروالا أكبر من مقاسه فكان يبدو كأقزام الأساطير، ومعه الرقيب (داجاتا وزرا أشسينى) و(توليانى) الميكانيكى موساد والرجل ذو الاسم الذى لا يلائمه إطلاقًا وهو (الفريد سكندالو).

وكان معسكر (ينو) مكانًا مثاليًا للرجل الذى يحب الصحراء على أن يكون لديه خيمة لتحميه من الشمس المحرقة وما يحتاجه من الماء.

وفحص (فيمر) خيمته وهى خيمة جديدة غريبة الشكل يحملها كل رواد الصحراء المجربين كما يحمل الأوروبى ولاعة السجائر. أما (فرانز بوهنساك) قائد الطائرة وهو طيار بالسليقة هادئ الطبع دائمًا وذو شهية قوية فقد كان مشغولا بإعداد طعامه على نار موقد يعمل بالكحول. أما (جسلر) الميكانيكى فكان يقوم بربط المسامير فى أماكنها ويفحص هيكل الطائرة. وأما (ديتمان) فكان يتأمل فى ضوء الشمس الغاربة؛ وصاح الإيطاليون بملاحى الطائرة الذين سيعملون فى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى الموافق الأربعاء من يوم 21 يناير بالإيطالية (أن بوكا آل لوبو) وهى عبارة تعنى: (عودة موفقة وهبوط سعيد). وتحركت الطائرة هنيكل ماركة 3 فوق الرمال وهى تحمل ألف غالون من الوقود وكأنها فنطاس طائر من البترول.

وزأرت المحركات وجلس "بوهنساك" فى هدوء أمام عجلة القيادة. أما "بليخ" وهو قائد الغارة والملاحظ الجوى فقد بسط الخريطة البالغ طولها سبعة أقدام فوق ركبتيه. وأما فيمر فقد أخذ على عاتقه ملاحظة المعالم الأرضية للمرحلة. وظهرت جبال تيبستى البالغ ارتفاعها تسعة آلاف قدم فى ضوء الصباح الباهت، وقام "فيمر كاتى" و"بليخ" بتعيين الأماكن على الخريطة التى يمرون بها بسرعة والتى ما زالت أرضًا مجهولة، ولم تستكشف بعد فهى عبارة عن كثبان من الرمال بدون ماء أو أثر للخضرة، إنها مملكة الرياح حيث لا يعيش إنسان أو حيوان ولم يطأها قدم إنسان من قبل.

انقلب الجو وأصبح عكرًا وبدت بوادر العاصفة وقال بوهنساك غاضبًا: (سوف نحتاج إلى وقود أكثر مما قدرنا). فقد حسب كل غالون بدقة مع احتياطى ضئيل. وكانو قد قدروا أن الجو فى واحة (هون) سوف يكون صحوًا والهواء ساكنًا. فقد حضر المسؤول عن الأرصاد الجوية من سلاح الجو الألمانى إلى الحصن الإيطالى وكان يرتدى قبعة بيضاء تميل على أحد أذنيه. وقال وهو يقدم نفسه بمرح ظاهر (أنا المتنبئ بالأرصاد جئت أمنحكم خبرتى من أجل مهمتكم الخاصة). وقد اتضح أن خبرته فى غير محلها.

وقال بوهنساك: (ذلك المغفل الأحمق!)، فلم يقل أحد كلمة طيبة فى حق متنبئ الأرصاد القادم من سكسونيا لأنهم اعتقدوا أن الرجل لم يؤد عمله على خير وجه وبالذات لملاحى الطائرة المتجهة إلى حصن لامى، إلا أن متنبئ الأرصاد الذى ظهر لهم من جوف الصحراء ما هو إلا أحد رجال (جوك كامبل) البريطانى، قائد القوات الفدائية التى تقوم بأعمال التخريب والتجسس وراء خطوط الألمان، إنه جاسوس وعضو فى مجموعة التخريب البريطانية، وعندما حاول التسلل من المعسكر بعد أن أقلعت الطائرة كشف أمره أحد

الضباط نتيجة لحادث غريب لا يستطيع حتى أمهر الجواسيس أن يلاحظه. وعندما عاد رجال بليخ من مهمتهم كان كل ما وجدوه من مستنبئ الأرصاد صليبًا خشبيًا على مرتفع من الأرض. ولم يكن الصليب يحمل اسما لأن عميل (جوك كامبل) رفض أن يبوح باسمه وقال بابتسامة: (اكتبوا فقط أنه لرجل أنجلو ساكسوني). وهو يتكلم بلهجة أهل ساكسونيا الواضحة التى تعلمها وهو يدرس فى مدينة درسدن عاصمة مقاطعة سكسونيا. غير أن بوهنساك وبليخ وفيمر كاتى والآخرين لم يعلموا بما حدث وهم فى الطائرة المتحركة إلى تشاد وكانوا متذمرين من الرياح وضعف الرؤية.

وحوالى الظهر ظهر لهم الجزء الشرقى الممتد كالذراع لبحيرة تشاد، والماء يلمع فى ضوء الشمس. وبذلك فإنهم لن يضلوا طريقهم، وازدادت الرؤية سوءًا وامتلأ الجو بقناع أصفر من الرمال فقد كان الوقت ميعاد هبوب الهارمتيان أى ميعاد هبوب العواصف الرملية الجافة فى أفريقيا الاستوائية. وسجل ميزان الحرارة على لوحة العدادات (وكانوا على ارتفاع 750 قدمًا) 78 درجة فهرنهيت وقدروا بذلك أن الحرارة على الأرض فى ذلك الوقت لا بد أن تتراوح بين 104 و120 درجة فهرنهيت. وقام بوهنساك بدورة واسعة إلى الجنوب ليستطلع الطرق والملاحة فى النهر إلى حصن لامى الإستراتيجى. وفى حوالى الساعة الثانية والنصف غير اتجاهه إلى الشمال وأمر بليخ بهدوء بالاستعداد للضرب وقال: (على الجميع أن يتخذوا مراكز المعركة). وظهرت المعالم الخارجية للحصن ثم بدت للعيان جلية فكان فى استطاعتهم رؤية الشوارع العريضة الواسعة المستقيمة والحى الوطنى المكتظ والمطار، وأخذت آلات التصوير فى العمل.

ويحتوى مطار حصن لامى على حظيرتين كـبيرتين للطائرات تحيط بهما الورش ونقط بيضاء عبارة عن مخازن للوقود مدفـون جزء منه تحت الأرض وبدت كأنها قـلاع رملية. ولم تطلق عليهم المدافع المضادة للـطائرات نيرانها، فهل هم نائمون؟ وسـأل بوهنساك بليخ: (هل تقذف بالقنابل فى مجـموعات أو فردية؟)، وأجابه بليخ بأن يقـذفها فى مجموعات. وأومـأ بوهنساك برأسه وضبط آلة تصـويب القنابل وكانوا يحملون ست عـشرة قنبلة زنتهـا قرابة 10 آلاف رطل تحمل الموت والدمار، وصاح القاذف: (نحن فـوق الهدف، استعد للقذف). وأومأ بلـيخ برأسه وضغط بوهنساك على زر الإطلاق ولم يـسمعوا صوت انفجار القنابل إلا أنهم شاهدوا نتيـجة الانفجار وهى أعمدة من اللهب والدخان ارتفعت إلى عنان السماء وظهرت بحار من النيران والدخان وتهاوت الحظائر، واشـتعلت النيـران فى مخـازن الوقود. اما طاقم الطائرة فـأخذوا يصيحون من الفرحة والبهجة وكأنهم شبه مجانين من الانفعال وأطلقوا العنان لعواطفهم فكانوا يقولون: (يالهـا من شعلة جميلة، لقد اشتعلت فـيها النيران تمامًا)...

ولم تطلق على الطائـرة طلقة واحـدة بواسطة المدافع المضـادة للطائرات وكأن فـى استطاعـتهم عندمـا ابتعـدوا عن الهدف سـتين مـيلا رؤية أعـمدة الدخان، وبهذا تركت الحـرب آثارها على بحيرة تشاد الواقـعة فى قلب القارة الأفريقـية ونجحت الضربة الجـريئة. وبعد سـتة أسابيع علمت القيـادة الألمانية العليا من عريف فرنسى أسير أن جنود الحـامية فى حصن لامى دهشوا عندما ظهرت قاذفة قنابل ألمانية هناك، وخلال دهشتهم وذهولهم نسوا إعطاء الأوامر للمدفعيـة المضادة بإطلاق النيران، وقد احترق نتيجـة لهذه الغارة ثمانون ألف غالون من وقود الـطائرات وكل المخزون من البترول. ودمـرت عشر طائرات

وهى جاثمة على الأرض، وأصيبت كل المبانى بالمطار إصابات جسيمة وتعطل حصن لامى عن العمل لعدة أسابيع، وقد طاروا كما سبق من معسكر (ينو) فى الساعة الثامنة وقذفوا لامى فى الساعة الرابعة والنصف، ثم عادوا طائرين باتجاه الشمال لمدة أربع ساعات، وأخذت الشمس فى المغيب بسرعة وهى تلون كثبان الرمال والصخور بظلال ضخمة. وسأل بوهنساك: (هل نحن فى طريقنا الصحيح؟)، ولم يتلق جوابًا. فلم يكن هناك رجل يستطيع أن يتعرف على الطريق الصحيح فى مثل هذا الوقت الذى تملأه الظلال. ولم يبق لديهم من الوقود سوى ما يكفى لمسيرة نصف ساعة فهل فى استطاعتهم العثور على معسكر (ينو) وهو لا يزيد عن بقعة ضئيلة فى بحر الصحراء المتسع فى تلك الأمسية؟ وأخذ فيمر كاتي يستطلع الصحراء وبين وقت وآخر يهز رأسه دلالة الحيرة والعجز.

وأصبح الوقت قصيراً وقل الوقود، وأخيراً أيقنوا أنهم لن يستطيعوا الوصول إلى المطار فى معسكر ينو قبل أن يحل الظلام. وفى بحر ربع ساعة سوف ينفذ بترولهم وعليهم قبل أن يحل الظلام أن يجدوا مكانًا يهبطون فيه فى الأضواء الأخيرة من النهار، وعليهم أن يبحثوا أو يجدوا مكانًا لهم فى الصحراء. وأمر بوهنساك بتشغيل جهاز اللاسلكى وكانت سارية الجهاز القوى البالغ قوته سبعين وات طولها مائة ياردة. ونادى على ديتمان بأن يدير الجهاز ويرسل إشارة الاستغاثة إلا أنه لم يتلق جوابًا. وأمرهم بوهنساك بهدوء بربط أحزمتهم والإمساك بمقاعدهم، وتوقف المحرك وساد الصمت ثم زأرت الآلات من جديد فقد اضطر الطيار أن يديرها مرة أخرى ليتجنب أحد الوديان ولم يتبق إلا وقت قليل حتى يحل الغسق وبعد ثوان قليلة سوف يطويهم الليل فى جوفه، ومرة أخرى أوقف الطيار المحرك وحبسوا أنفاسهم وأمسكوا بمقاعدهم

وتساءلوا: (هل ستتحطم بهم الطائرة؟)، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث فقد تم كل شئ بسلام وبعد بضع هزات توقفت الطائرة على الأرض.

وساد الصمت ونظر الجميع إلى فيمر كاتي رجل الصحراء، وبحث فى جيوبه وأخرج علبة سجائر ذهبية، وكان بها ثلاث سجائر لأنه لا يدخن أبدا فأخرجها وقسم كلا منها إلى قسمين وبهذا أصبحت ست سجائر. ومعنى ذلك ستة أيام فهل قرر ثعلب الصحراء العجوز أنهم سوف يبقون هناك ستة أيام؟. أما ديتمان عامل اللاسلكى فقد فكر فى التو فى جهاز الإرسال الصغير الذى أعطاه له بليخ، وهو جهاز قوته 3 وات معد خصيصًا للجواسيس لأن جهاز الإرسال فى الطائرة لا يمكن استخدامه إلا ومحركات الطائرة دائرة. وبسرعة مد ديتمان أنتين الجهاز الصغير وكان الوقت حوالى الثامنة مساءً، وهو الوقت المعين للاتصال بقيادة سلاح الطيران الألمانى فى أجدابية، وعلى ضوء شمعة جلس على الرمال وأخذ يقرع مفاتيح الجهاز ويرسل الإشارة الخاصة بالفدائيين (ف. ب. ك ج) وأخذ يكرر الإشارة ثم يتوقف عن الإرسال وينصت، ولكن بلا فائدة وكان عليه أن يوفر جهد البطارية، وبعد نصف ساعة توقف عن الإرسال[1].

وقال بوهنساك بحرج مصطنع: (دعونا نعد المعسكر)، وأحضروا تعيينات الطوارئ من الطائرة، وكذلك أربع خيام من قماش القلوع يحتوى كل منهما على حقيبة نوم وناموسية، ومرتبة من المطاط، وأطباق وأقداح وبوصلات وبنادق وسكاكين مطوية، ومصابيح هاريكان، وثقاب وسجائر، فلم ينسوا شيئًا، أما طعامهم فقد اختزنوه فى ست صفائح كبيرة. وكان مكتوبًا على كل واحدة (تعيين رجل واحد لمدة ستة أيام) وكان لديهم تموين

(1) بول كارل - نفس المرجع ص 219.

كثير من اللحم المحفوظ ولحم الخنزير والبسكويت وأنواع شهية أخرى، وسوائل كثيرة تشرب معها. فبالإضافة إلى ما تقدم كان هناك لبن محفوظ وأقراص فيتامينات وفواكه محفوظة وخبز مقدد وأقراص شاى وملح وسكر. فكيف يمكن أن تحتوى صفيحة كهذه على كل هذا؟! وقد قدروا كنزهم هذا حق قدره، ولكن أين الماء؟ الماء اللازم لبلع كل هذه الأطعمة؟ أنزل جسلر صفيحة واحدة سعة خمسة غالونات، فقال بليخ على الفور: (سوف يحدد مقدار ماء الشرب لكل منكم، وهو كوب من الماء فى الساعة الثامنة صباحًا، وكوب آخر عند الساعة الخامسة بعد الظهر، أما بالنسبة للماء الخاص بالطهى فسوف يصرف على حدة). وما معنى ذلك؟ فهل حقيقة سيطهون كثيراً؟ ربما سيطهون قليلا من الفاصوليا الجافة ليأكلوها مع اللحم المحفوظ ولحم الخنزير. ولكى يرفع بليخ من روحهم المعنوية أضاف قائلا: (فى هذا المساء سوف يكون هناك إناء من الشاى يكفى الجميع). وقام بوهنساك بعمل الشاى على موقده الكحولى، وعندما وضع أقراص الشاى فى الماء كانت رائحة الشاى جميلة، والآن علينا بالسكر، وتناول فرانز العبوة المكتوب عليها سكر، وقال فيمر كاتى: (أنا أحب الشاى شديد الحلاوة) فقام بوهنساك بوضع مزيد من السكر فى قدحه وقدم الشاى للجميع. وقال فيمر "فى صحتكم"، وتناول جرعة كبيرة ولكنه سرعان ما لفظها على الرمال، ونظروا إليه بدهشة ثم تناول كل منهم جرعة من قدحه فى احتراس: (ياإلهى! إن الشاى مملح) وظهر على بوهنساك الارتباك والحرج وأمسك بالكيس الذى وضع منه فى الشاى وقرأ على ضوء الشمعة كلمة سكر بحروف كبيرة، ثم فتح باقى الأكياس وأخذ يتذوق ما فيها بإصبعه فكانت كلها ملحًا.

غير أنهم وجدوا السكر فى أكياس الملح، وهكذا ضاع الماء المصنوع منه الشاى، وحرموا من الشاى جميعًا فأخذوا يشتمون ويلعنون.

أما المنطقة التي هبطوا فيها فكانت في منخفض هائل، فإلى الشرق توجد سلسلتان من الجبال، وإلى الجنوب تلال صخرية عالية، وإلى الشمال نجد مرتفعان لهما أشكال غريبة.

وفي صباح اليوم التالي ما كاد (ويخمان) عامل اللاسلكي ينتهي من تناول نصيبه من الماء حتى بادر إلى جهاز إرساله وأخذ يدق عليه، ولم يتلق ردًا على إشارته، أما فيمر كاتي فجلس تحت جناح الطائرة وهو منكب على الخرائط واستمر إصبعه على نقطة معينة على الخريطة غير أنه لم يقل شيئًا.

وقام ويخمان وجسلر باستكشاف المنطقة حولهم، وكانا يريدان تسلق المرتفعات المحيطة بهم عسى أن يتعرفا على بعض المعالم، وكانت الجبال تبدو قريبة، ورغم مواصلتهما السير لمسافة طويلة لم يبد أنهما قد اقتربا كثيرًا من الجبل وبعد مرور ساعتين فهما أن جفاف الهواء في المنطقة جعل تقدير المسافة الصحيحة يكاد يكون مستحيلا، فالجبل يبعد عنهما كثيرًا، وبعد أربع ساعات شعرا بالعطش فعادا إلى المعسكر، وسجل ميزان الحرارة 100 درجة فهرنهيت في الظل الممتد تحت جناح الطائرة وكان الهواء شديد الجفاف، ولم يكن هذا عجيبًا فقد كانوا موجودين على أجف خطوط العرض على ظهر الأرض، ولا تزيد درجة الرطوبة في هذه المنطقة عن 18 في المائة خلال السنة في حين أنها 65 في المائة في برلين مثلا[1].

وتعذبوا كثيرًا من العطش، وقام بوهنساك بحساب المسافة على الخريطة، وقرر أنهم لا يبعدون أكثر من 120 ميلا عن معسكر (لامي)، ولكن ما قيمة هذا الحساب فهم ليسوا أكثر من مجرد نقطة في بحر الصحراء الواسع. واستقر الرأي على ضرورة مواصلة محاولة الاتصال باللاسلكي، وبقيت هذه

(1) بول كارل - نفس المرجع ص221.

الفكرة مسيطرة عليهم وأخذوا يتناقشون حتى حل الظلام وهبطت درجة الحرارة من 100 فهرنهيت إلى 8 درجات تحت الصفر. وجلس ويخمان مرة أخرى إلى جهازه ولكن بدون فائدة، وعمل ويخمان أنتينا آخر من أعمدة الخيام حتى يمكنه توجيهه في اتجاه أجدابية. وانتظر الجميع بشوق ساعة الإرسال المحددة، وجلس ويخمان إلى جهازه وأخذ يدق عليه لمدة عشر دقائق وهو يرسل إشاراته الخاصة، وبدت العشر دقائق كأنها اللانهاية، ثم صاح فجأة: (لقد اتصلت، إننى أسمعهم، إنهم ينادون علينا) وجهز قلمه وأحضر ورقة وهو يصيح: (خاطبونا. خاطبونا)، ثم توقف برهة وأخذ يرسل إشاراته: (ف. ك. ب. ج. نحن هنا، هل تسمعوننى؟)، وكانوا يلاحظون من تعبيرات وجهه أنه على اتصال بالقاعدة.

وسرعان ما وصلت الإشارة من أجدابية وصاح: (علىّ بكتاب الشيفرة)، ووثب بوهنساك لإحضاره من الطائرة، وكان كتاب الشيفرة هو (هابيل صاحب الأرغن)، ومؤلفه (مانفريد هوسمان)، وهو الكتاب المتفق عليه كمفتاح للشيفرة. وقال ويخمان: (انظر فى 63 مبتدئًا من أعلى) وأخذ يحل شيفرة الرسالة وكانت الرسالة كالآتي: (نحن نسمع إشارتكم ولكنها ضعيفة جدًا، واصلو إرسالكم)، فأرسل ويخمان رسالته بأنهم قد نجحوا فى غارتهم وقد اضطروا للهبوط الاضطرارى بلا ماء وسط الصحراء.

وظل جالسًا لمدة ساعتين إلى جهازه وأصابعه ترتعد. وأخذت القاعدة فى أجدابية تقول: (نحن لا نسمعك، أعد الرسالة)، وأعاد ويخمان رسالته حتى عرفوا كل شئ عنهم هناك، ولم يفكر أحد منهم فى النوم فى تلك الليلة وكان السؤال الذى يشغل أذهانهم هل سيستطيع الإيطاليون العثور عليهم؟.

وفى اليوم الثالث السبت فى 23 يناير هبت عاصفة رملية، وغطى المنخفض قناع كثيف بنى من الرمال! وهبت على الطائرة رياح جنوبية غربية شديدة فألهبتها، وقال بوهنساك: (ما من أحد يستطيع أن يطير فى مثل هذا الجو، فالطيور نفسها قد هبطت إلى الأرض). وتوجهوا إلى الطائرة ليحتموا بها، وفى المساء أعاد ويخمان الاتصال وبدأ الإيطاليون فى البحث إلا أنهم حتى ذلك الوقت لم يوفقوا فى بحثهم.

ثم جاء فجر الأحد وهو يومهم الرابع فى الصحراء وقد تشققت شفاههم ويبست أطرافهم، وغطت الرمال ألسنتهم وحلوقهم واضطربت مشاعرهم وسيطر على أفكارهم شئ واحد وهو الماء، وكانوا يعيشون بأمل واحد وهو الحصول على نصيبهم من الماء فى كل صباح وفى الخامسة من كل مساء. فأى حلاوة كانوا يشعرون بها عندما تنزلق قطرات الماء الأولى فى حلوقهم، وقد تمكن ويخمان من أن يبقى نصيبه من الماء ساغة كاملة. وقد أعطاهم بليخ فى ذلك اليوم كوبًا إضافيًا من الماء لأن هذا اليوم كان يوم الأحد، وظلوا ممددين والنعاس يغالبهم والأفكار السوداء تراودهم. وأخذ بليخ يروى الحلم الذى شاهده فى الليلة الماضية فقال: (حلمت أننى قابلت بوهنساك فى أحد البارات الأنيقة فى روما، وطلبنا كوبين كبيرين من البيرة الخفيفة، ولكن الساقى اشمأز من طلبنا وأحضر مدير المحل الذى عرض علينا أحسن ما لديه من النبيذ، إلا أننا رفضنا وصممنا على طلب البيرة، وبيرة خفيفة، فحضر صاحب المحل ومعه قائمة النبيذ وقال: (أيها السادة: إن لدينا أحسن الأنواع من نبيذ الرين والموزل وأحسن أنواع البرندى والبوردو، إلا أننا أصررنا على طلب البيرة الخفيفة، وهز صاحب المحل رأسه وأخذ يهز بشدة أكثر فأكثر حتى أصبح كالطبق الدائر، ثم صحوت من نومى وأنا أشعر بظمأ شديد..)، فضحك الجميع.

وعلمـوا عن طريق اللاسلكى أن الإيطاليين لا يزالـون يبحثـون عنهم، ولكن بدون فائدة وإذا لم يكتشفوا مكانـهم حتى يوم الإثنين أو الثلاثاء فيجب عليهم إرسال إشارة فيـما بين الساعة 4.20 والساعة 4.50 من إحدى طائرات الاستطلاع على مدى خمسين ميـلا من جهاز الإرسال وإلا فلن يمكن سماع إشارتهم. ولحـسن الحظ كان لايزال لديهـم فى خزان وقود الطائرة مـا يكفى لإدارة محـرك واحد حتى يمـكن التقاط الرسـالة على الموجة الطويلة بجـهاز اللاسلكى الخاص بالطائرة.

وحل صبـاح اليوم الخامس وجـاءت معه مفـاجأة فقـد استيـقظوا ليروا الشجـرة الشوكيـة عديمـة الأوراق المجاورة للطائرة وقد غطـيت بزهور زرقاء صغيرة، وكانت الشجرة تبدو قبل ذلك وكـأنها ميتة لأن أغصانها كانت عارية كالزجـاج ولو اصطدم بها شخص لتكـسرت، ونظر جسلر إلى هذه المعـجزة ووثب على قدمـيه وأحضـر فأسًا وبدأ فى الحـفر فى الرمال، وكـانت نظريته مبـنية على أن هذه الشـجرة ازدهرت فـمعنى ذلك أن هناك مـاء، ورفض أن يقتنع بخلاف ذلك، وأخـذ يحفر ويحفر إلا أن الرمال ظلت تنهـال فى الحفر ثانيـة وأخذ يتـصـبب عرقًـا فـألقى بنفـسه تحت جناح الطائـرة وهو يتمـتم "ماء.. ماء".

واقترب النهار على الانتهاء ولم يعـثر الإيطاليون عليهم بعد، وحل يوم الثلاثاء الموافق 28 يناير وهو اليوم السـادس، وقبل الساعـة الرابعة بقليل أدار جسلر المحرك الأيسر للطائرة بالوقود البـاقى وأخذ جهاز اللاسلكى يعمل وهو يرسل موجـاته غير المرئية، فلو كـان الباحثون عنهم فـى مدى خمسيـن ميلا لوجب أن يصلوا على الفور، ووقفوا مسـتعدين بمسدسات الإشارة، وانتظروا خمس دقائق ثم عشراً ثم عشرين وقال بليخ لجسلر: (أوقف المحرك)، إلا أن

الميكانيكى رجاه بأن يتـركه دائرًا لمدة خمس دقائق أخرى، غـير أن بليخ أمره بأن يوقفه، ولكنه كان عنـيدًا وقال: (إنها فرصتنا الأخيـرة يا حضرة النقيب، فدع المحرك يدور حتـى يقف من تلقاء نفسه). فتوجـه بليخ إلى جسلر وأخذ يتكلم مـعه كـما لو كـان طفلا، وقـال له يجب أن نبقى قليـلا من البـترول لإشعال النار.

وخفض جـسلر رأسه وهو يحاول الإنصات ثم توجـه وأوقف المحرك، وسيطر الخوف عليهم، وكانت روحهم المعنوية فى أسوأ حالاتها. وفى الساعة الخامســة وزع بليخ آخر كوب من الماء لكل منهم وشـاهدوا يده وهى ترتعد، أجل إن هذا المستعمر القديم كان يرتجف، وقال بهدوء: (بدون ماء ليس لدى أوامـر لأصدرها بـعد، وعلينـا الآن أن نقرر مـا هو أفـضل شيء نعـمله فى الصباح الباكر). وجلسوا فوق حقائب نومهم تحت أجنحة الطائرة.

وكان على كل رجل منهم أن يقرر ماذا ينوى أن يفعله، وقال بوهنـاك: (إن لكم الخيار فى اختيار نوع الميتة التى تموتون بها).

وحفر جسلـر اسمه على الصخر الأملس، ونظر بوهنساك إليـه ثم قفز على قدميه وقال: (يجب أن يحضروا حتى لا يتركونا نتعفن هنا).

وكما لو كـان قد تفوه بكلمـات سحرية، فقد دوى صـوت يقول: (إنه صوت طائرة)، وأسرعوا إلى مسدسات الإشارة وكانت طائرة استطلاع إيطالية من طراز "الجبـيلى" وكالمجانين أطلقـوا مسدسـاتهم ذات الإشارات البيـضاء والحمراء والخضراء وصاح جسلر: (إنهم قادمون إلينا).

وهبطت الطائرة، ووقف أميـر جالو كمـا لو كان تمثالا منحـوتًا يمسك بمنظاره المكبر على صدره وقـال بلهجة رجل الحرب المحترف مـخاطبًا الطيار: (إنه الملازم "ديورات"). وكـان يعرف رجـاله وقـد أبدى هذه الملاحظة لكى

يخفى التعاسة التى يمكن أن تظهر فى عينيه، وقفز عامل اللاسلكى سكدرزون من الطائرة أولا، وكان يلوح بزجاجتى ماء إيطاليتين وهو يضحك ويسرع الخطى على ساقيه القصيرتين فى اتجاههم، والتفوا حوله ثم ظهر الباقون ديورات ودجاتا وتوليانى، وكانوا يعرفون ما هو المطلوب فكان كل منهم يحمل فى يده صفيحة أو ترمس وكانت تحيات وعناق. وكان الأمر كأنه مأدبة عظيمة فكل رجل رفع زجاجة الماء إلى فمه، أما فيمر كاتى وبليخ فقد أجهزا على صفيحة كاملة من الماء، فالرجل الذى كان يتولى أمر توزيع الماء ويقوم بحساب كل قطرة لمدة ستة أيام ترك الماء يسيل على قميصه وصدره واكتفى بقول "آه" كلما وضع الصفيحة على الأرض.

وترك لهم الإيطاليون البطيخ وكمية ضخمة من الماء، ثم انطلقوا عائدين إلى معسكر "ينو" الذى لا يبعد أكثر من نصف ساعة بالطائرة، على أن يحضروا فى اليوم التالى البترول.

وهكذا أنقذهم عامل اللاسلكى فبواسطته أمكن تحديد مكانهم ولم يستطع الإيطاليون التقاط الإشارات وهم فى الهواء بل هبطوا إلى الأرض وأقاموا ساريتهم لكى يحسبوا المكان بدقة ولهذا السبب تأخروا فى الحضور، وحقيقة كانت هذه هى آخر فرصة لرجال الطائرة لأن بطاريات جهاز الإرسال قد جفت وهبط ليل الصحراء عليهم وبدا لهم الليل ساحرًا وقاموا بطهى وجبة من اللحم والمكرونة وشربوا الشاى وكمية كبيرة من الماء، ثم تدثروا فى حقائب نومهم. وكان الوقت ما زال مظلمًا عندما سمعوا صوت طائرة فوقهم فهبوا على أقدامهم وأطلقوا إشاراتهم، فهل عاد الإيطاليون؟ ووقف بوهنساك وأذناه مرهفتان ثم قال: (كلا! إنها طائرة من طراز يونكرز 52). وكانت تطير فوقهم تمامًا وهبطت فى أول ضوء الفجر، وكانت حقيقة طائرة يونكرز 52،

وقفز منها الملازم بكير من سرب الإنقاذ الصحراوى. وتبادلوا التحيات الحارة والضحك ثم تناولوا الإفطار المكون من القهوة والسجق الذى أحضره بكير.

وكانت الطائرة يونكرز 52 قد أقلعت من أجدابية عند منتصف الليل بدون إذن كما أخبرهم بكير وهو يضحك: (فلقد كنتم مدار الحديث الوحيد لمدة أسبوع كامل فى المطار، وعندما انقطعت أخباركم قلت لنفسى يجب أن أقوم بمحاولة لإنقاذكم، وكان رجالى يبادلوننى هذا الشعور، ثم أقلعوا بادئين مغامرتهم الجريئة مخالفين التعليمات، ولا بد أن عناية الله كانت توجههم).

وقد أحضر بكير معه ثلاث صفائح من البترول أفرغوها فى الحال فى خزان الطائرة الهنيكل 3، وعندما وصلت رسالة الإيطاليين إلى أجدابية بأن الرجال الفدائيين التابعين لبليخ قد عثر عليهم وأنهم سوف يحضرونهم فى صباح اليوم التالى، كانت الطائرة هنيكل 3 قد أقلعت فعلا فى طريقها إلى المعسكر ينو متجهة نحو الشمال. وفى اليوم التاسع من تاريخ بدء رحلتهم كانوا يحلقون فوق واحة هون. وعلى الطريق أسفل منهم كانت توجد قافلة تسير فى طريقها بخطى بطيئة كأنها خطوات الأبد[1].

التعليق على حملة الشتاء:

أ - الغرض من الهجوم الإنجليزى فى الخريف:

كان غرض الهجوم الإنجليزى فى الخريف هو تدمير القوات الألمانية والإيطالية فى الجزء الشرقى من برقة وغزو ليبيا واحتلال ساحل شمال الصحراء العربية بالتعاون مع الفرنسيين الأحرار كقاعدة للهجوم على جنوب أوروبا، ولهذا فإن أغراضه العسكرية كانت ضخمة بعض الشىء.

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 227.

ب – الإخفاء والتمويه والحالة الجوية تحقق المفاجأة الكاملة:

وقد تجمعت قوات الهجوم تحت ستر إخفاء وتمويه جيدين للغاية كما ساعدها على ذلك الحالة الجوية، ونتج عن هذا أنها حققت المفاجأة الكاملة، ولكن بالرغم من المهارة والقدرة التى أجرى بها العدو تحضيره للهجوم، فإن تنفيذه له لم يكن جيداً بنفس الدرجة. ففى البداية كانت أوضاع تشكيلات العدو تؤدى إلى انطلاقها فى محاور متباعدة، وكان الواجب تركيز مجهودها أولا ضد سيدى رزق ثم الانطلاق بعد ذلك فى تشكيل أنساق، والأفضل من هذا أن يهاجموا عكرمة بغرض قطع خطوط إمدادنا.

جـ – تركيز الإمكانيات فى مركز الثقل:

أما فيما يتعلق بجبهة السلوم فلم تحتاج أكثر من قوات بسيطة لمراقبتها ولم يكن هناك أى داع لاستخدام فرقتين كاملتين فى الهجوم عليها، وقد رابطت الفرقة الرابعة الهندية هناك لمدة شهرين كاملين. وفى الواقع تكونت القوة الأساسية للهجوم من فرقة واحدة، وكانت تحوى أغلب العناصر المدرعة، أما الفرقة الثانية فكانت تعمل ستارة للأجناب، وهكذا قام العدو بالضربة الحاسمة، بجزء من القوة الكلية التى استخدمت فى الهجوم. وهذا ينقد المبدأ القائل: **"ليمكن الوصول إلى درجة كافية من القوة فى مركز الثقل يجب تركيز كل الإمكانيات عند هذه النقطة"**.

لذلك نجد أن من قام بالهجوم عبارة عن جزء بسيط من الجيش الثامن وحتى القوة الأساسية للهجوم كانت أضعف من أن تحقق الغرض الطموح للخطة. وقد استخدمت هذه القوات بطريقة أدت إلى دخولها المعركة وهى مبعثرة بدون تركيز ولا حشد.

د - المرونة فى القيادة:

ونتج عن هذا التفوق التكتيكى أن التشكيلات الإنجليزية إما أن تعرضت لخسائر جسيمة أو دمرت بالكامل الواحد تلو الآخر واختفت من مسرح العمليات أثناء المعركة. ولم تنجح القيادة الإنجليزية طوال هذه المعركة فى الدخول فى أى عملية وهى حاشدة لقواتها فى النقطة الحاسمة. وهذا الخطأ الجذرى كان إحدى أسباب عدم انتصارهم، ويضاف إلى هذا أن أسلوبهم الجامد المفتقر للمرونة فى القيادة وإصدارهم لأوامرهم بالتفصيل بكل دقة أدى إلى عدم ترك أى حرية للتصرف أو لروح المبادأة من جانب القادة الأصاغر وعدم تحملهم لظروف المعركة المتغيرة باستمرار. كل هذه العوامل أدت إلى فشل الإنجليز فى تحقيق غرضهم.

هـ - الثبات والجمود يؤديان إلى كارثة:

الثبات والجمود على أسلوب لا يتغير من الأشياء الخطيرة فى الحروب داخل أوروبا أما فى الصحراء فإنها تؤدى إلى كارثة، لأن كل شئ فى الصحراء فى تغيير مستمر فلا توجد أى موانع ولا خطوط ولا مصادر للمياه ولا غابات للاستتار بها وكل شىء مفتوح وغير محدود، ويجب على القائد أن يتأقلم ويعيد توجيه نفسه يوميًا بل وفى كل ساعة مع احتفاظه بحريته فى العمل، فكل شىء فى حركة مستمرة، ويجب عليه أن يكون أكثر يقظة باستمرار ويعتبر نفسه معرضًا للدمار طوال الوقت على يد عدو ذو دهاء أو أكثر يقظة ومهارة. ويجب ألا يكون هناك أى جمود فكرى أو عملى وعدم الاعتماد على السوابق والانتصارات الباهرة السابقة، فالسرعة فى التقدير ثم العمل السريع يؤديان إلى مواقف متغيرة باستمرار ومفاجآت للعدو فلا يستطيع مقابلتها لأنه لم يقم بتحضيرات سابقة لها، وكل هذا يعتبر أساسًا فى تكتيكات الصحراء.

و - مقاييس القائد والجندى فى حرب الصحراء:

ويمكن قياس الجندى فى حـرب الصحراء بقدراته البدنية وذكـائه وخفة حركته وقوة أعصابه وإصراره وعناده وجرأته وقوة احتماله. أما القائد فيحتاج لنفس الصـفات ولكن بدرجـة أكبـر من الجندى ويضـاف إلى هذا أن يمتـاز بالخشونة الفائقة وإخلاصه لرجـاله وقدرته الغريزية على التقدير الجيد للأرض والعدو وسـرعة التصرف والروح المعنوية العـالية. أما بالنسـبة للجنرال روملى فهذه الصفـات قد تحققت بدرجة نادرة الوجود ولم أعـرف ضابطًا آخرًا جمع بينهما وبنفس الطريقة.

وقد قاتل الجندى البريطانى ببسالـة فائقة فى الصحراء بالرغم من أنه قد لا يصل للروح الهجومية التى يتمـتع بها الجندى الألمانى، وقد قاتل ضباطهم بشجاعة خارقة وضحوا بأنفسـهم بطريقة تدعوا للإعجاب. وقد عبر روملى عن إعجـابه الشديد بخصومـه وقال ذات مرة عندما رأى عـددًا من الأسرى "أنه يسره أن يقود مثل هؤلاء الرجال فى معركة".

ز - المدرعات تلعب الدور الحاسم فى حرب الصحراء:

ولم تترك العمليات فى شمال أفريقيا خلال شتاء 41/ 1942 أى شك فى أن الدور الحـاسم فى حرب الصـحـراء تلعبـه الدبابة وخـاصة لا يوجـد فى الصحـراء أى قيود على قدرتهـا على الحركة، وعليـه فيمكن قيـاس مدى أى نصر أو هزيـمة بعدد الدبابات المدمـرة، ولكن ليس عدد الدبـابات هو وحده الذى يهم، فأهم من هذا صـفاتها الفنيـة وقدرتها على المناورة ومدى وعـيار المدفع، لأن المبـدأ الأساسى فى الصحـراء المفتـوحة هو الضرب عـلى العدو بنيـران مؤثرة وتدمـيره قـبل أن يتمكن من الرد على الضـرب أى أن المهم أن تكون "أبعـد من العـدو ولكن فى مـتنـاولك"، أو بمعنى آخـر أن يكون فى

استطاعتك تدميره بدون أن يتمكن من إصابتك، مثل الملاكم الذى يمتاز بطول الذراعين على خصمه. ولمدة طويلة ظلت الدبابة الإنجليزية من طراز ماتيلدا خصمًا يخشى بأسه لأن دروعها القوية جعلت من الصعب تدميرها. ولكنها كانت بطيئة وكان مدفعها قصيرًا وصغير العيار، وفى نهاية 1941 كانت الدبابات الألمانية بانزر ماركة 3، 4 متفوقة على العدو من حيث مدى وعيار المدفع وفى بعض الأحيان فى القدرة على المناورة، وقد استمر هذا التفوق حتى مايو 1942 عندما وجد خصومنا الجواب فى الدبابات الأمريكية من طراز "جرانت ولى" وفيما بعد الشيرمان، وانتصارات الألمان فى الشتاء يمكن إرجاع أغلبها لتفوق دباباتهم.

ح - المدفعية المتعددة الواجبات:

ونفس المبادئ التى طبقت على مدافع الدبابات يمكن تطبيقها أيضًا على المدفعية، والسلاح الطويل يكون حاسمًا فى المعركة (الماسورة الطويلة)، وهنا كان التفوق فى جانب الإنجليز، فلم يكن من المستحب التعرض لنيران مدافعهم عيار 25 رطلاً حتى على أقصى مدى لأنه لا يمكن الرد عليها، ولكن كان لدى الألمان سلاحًا واحدًا خطيرًا هو المدفع 88 مم المتعدد الواجبات (مضاد للدبابات ومضاد للطائرات)، وكان العدو دائمًا يحسدنا على مرونة استخدام هذا المدفع وظل متفوقًا بدون نزاع حتى النهاية. وهذا المدفع كان يعتبره الإنجليز كما قال لى أسراهم: (سلاحًا غير عادل فى الصراع مع الدبابات)، وقد ساهم بدرجة كبيرة فى الانتصارات الألمانية ولم تلعب المشاة فى أى مكان عدا جبهة السلوم.

ن - لا يمكن تعويض الافتقار للقوة الجوية والشؤون الإدارية:

ولو تساوى الجانبان فى القيادة والتدريب والشؤون الإدارية والقوة الجوية فإن العامل الحاسم فى حرب الصحراء يكون فى عـدد الدبابات وخفة حركتها وقدرتها علـى المناورة ومدى مدافعهـا، ثم يجئ فى المرتبة الثانيـة عدد مدافع الميدان ومداها، وأخيرًا عدد المدافع المضادة للدبابات ومداها وأعيرتها.

ولو كان أحد الجانبين أضـعف فى هذه الأسلحة فيجب أن يعوض هذا النقص بقيادة وبراعة جنوده. ولكن لا يمكن تعويـض الافتقار للقوة الجوية أو العجز فى الشؤون الإدارية[1].

كتب رومل لزوجته يوم 4 فبراير 1942.

(لا نزال نتابع سيرنا على الطرقات منذ يوم 2 شباط - فبراير - استعدنا برقة، وقد انطلقت بسيرى كسـرعة البرق. ولى أمل الآن بأن أحضر لطرفكم خلال عشـرة أيام، وأن أحصل على إجازة جيدة، ولكن لا زال أمامى كـثير من الأعمال التى يجب إنجازها هنا).

وتضمنت رسالة أخرى بتاريخ 7 فبراير ما يلى:

عاد كل شىء هادئًا على جبهتنا التى امتدت مسافة 480 كيلو مترًا ما بين جناحيهـا الأيسر والأيمن. وإنه لأمر ممتع حـقًا استعادة السـيطرة على برقة. وأرجو أن يستقـر الموقف بدرجة كافية خلال الأسابيـع القادمة حتى أتمكن من الغياب عن مـسرح العمليات - ولو لفتـرة قصيرة - لقد تلقيت اليـوم وسامًا جـديدًا (نجمـة على الصدر تعلق علـى الوسام الذى حـصلت عليه والمحـيط بالعنق).

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص168.

وفى رسالة يوم 10 فبراير 1941.

ضقت ذرعًا بموقف روما، إنهم لا يوافقون على طريقتى فى القيادة، وسيكونون أسعد حالا إذا ما رأونا وقد أخرجنا من برقة مرة أخرى.

وجاء فى رسالة 23 فبراير 1941.

سحب الإيطاليون فيلقًا من قيادتى لأنى ابتعدت كثيرًا فى تقدمى، ولم أبق فى الخلف كما يريدون - إنهم سيندمون.

روميل يحضر مؤتمرًا فى قيادة هتلر:

ولم يكن لدى روميل الذى أمضى سنة كاملة فى الصحراء حتى ذلك الحين الوقت الكافى لكى يتبادل الرأى مع القيادة الألمانية العليا، فقرر السفر فى شباط 1942 ليحضر مؤتمرًا فى مقر قيادة هتلر.

وأرسل يطلب من هتلر السماح له بذلك وكان الرد الذى أرسله هتلر باللاسلكى غريبًا: (يستطيع روميل الحضور إذا كان الموقف فى الصحراء آمنًا إلى حد أن غيابه المؤقت عن مسرح العمليات يمكن المجازفة به)[1].

ورد روميل على هذه البرقية بقوله: (لو لم يكن الموقف فى الصحراء آمنًا لما اقترحت السفر إلى أوروبا). غير أن القيادة الألمانية العليا لم تكن مقتنعة بعد، وأرسلت برقية ثانية تقول: (نرجو أن تعلن لنا عن ميعاد وصولك إلى روما، وسوف تجد التعليمات هناك تحدد لك ميعاد سفرك إلى بروسيا الشرقية).

وهكذا كانت المعاملة التى يتلقاها روميل من الجالسين على الموائد الخضراء فى راستنبرغ، وهو الرجل الذى أمكنه أن يعيد الأمور إلى نصابها فى

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص173.

شمال أفريقيا بالرغم من الموقف الميئوس منه فى هذا المسرح، فلقد كان هذا الألمانى من إقليم سوانيا ذو الرأى الصلب الذى حصل على النصر فى معارك كانت القيادة الألمانية العليا تتوقع فيها الهزيمة غير محبوب من رجال هذه القيادة.

وفى الخامس عشر من فبراير 1942 فى السابعة صباحًا طار رومل ومعه رئيس أركان حربه "ويستفال" من مطار مسراته فى طرابلس إلى روما. وكانت أول مرة يطيران فيها فى طيارة هنيكل 3، وما زال طيار رومل الخاص الملازم "هيرمان جيسن" يتذكر هذا اليوم جيدًا، فلقد أصدر "هتلر" أوامره بأن لا يطير قادة الجيوش إلا على طائرات ذات محركين على الأقل إلا أن الطائرة يونكرز 52 ذات الثلاثة محركات بطيئة بالنسبة لأفريقيا، أما الطائرة الكوندور أو بونكرز 9 وهى ذات أربعة محركات، فكان من الميسور الحصول عليها. إلا أن مخابرات الأعداء كان من السهل عليها أن تكشف بسرعة أن استخدام مثل هذه الطائرة الممتازة لا يكون إلا لمهام خاصة. ومن ثم فإن رومل حصل على إذن خاص باستخدام الطائرة هينكل 3 لأنها ليست ملفتة للنظر، وكانت مجهزة بثلاثة مقاعد مريحة، ومنضدة للخرائط ودولاب للمرطبات إلا أنها لا تحمل سوى التسليح العادى. وقد وصف لى الجنرال ويستفال الرحلة فقال: (كان استقبال موسولينى لرومل فى قصر البندقية بروما كالمعتاد حسنًا وديًا. ولم يتناقش فى المسائل العسكرية. فالدوتشى كان قد امتنع منذ مدة عن التدخل فى سير الحرب، رغم أنه كان من الناحية الشكلية القائد الأعلى للبحر المتوسط).

وفى السادس عشر من فبراير طار رومل إلى بلدته (ويتار نستارت) لزيارة عائلته وفى اليوم التالى هبط فى مطار راستنبرغ القريب من مقر قيادة هتلر المسمى بـ(وكر الذئب).

وقد توقع رومل ورئيس أركان حربه أن يظهر الزعيم اهتمامًا خاصا بالأحداث فى شمال أفريقيا، غير أنهما كانا مخطئين تمامًا. فلقد كان مشغولا بالحملة الروسية والصعاب التى صادفته أمام موسكو. وكان يستمع بدون اهتمام إلى تقرير رومل الطويل عن الهجوم البريطانى الشتوى، والهجوم الألمانى المضاد والموقف الحالى فى الصحراء العربية.

وعندما سأل رومل هتلر قائلا: (يا زعيمى ما هى خطط القيادة الألمانية العليا بالنسبة لسير الحرب فى المستقبل لشمال أفريقيا والبحر المتوسط خلال 1942). تجنب هتلر الإجابة كما تجاهل اقتراح رومل بالاستيلاء على جزيرة مالطة، وكان كل ما قاله: (لو قررنا أن نقوم بهجوم فى منطقة البحر المتوسط فلن ندخر جهدًا لوضع الأمور فى نصابها على أساس سليم). ولم يمكنه الحصول على أكثر من هذا. ولم يتضح كذلك الموقف عندما قابل ويستفال فى مساء 17 فبراير الكولونيل جنرال جودل رئيس العمليات فى القيادة العليا. فكانت القيادة الألمانية العليا تحت تأثير الأحداث فى الجبهة الشرقية وكانت تعتبر أفريقيا مسرحًا ثانويًا للحرب، ولم تقدر أهمية الصراع مع البريطانيين فى الصحراء العربية. ولم تدر أنه من الممكن هزيمة بريطانيا العظمى فى مصر، وهى أهم النقط المكشوفة فى إمبراطوريتها. ففى أفريقيا قامر تشرشل بكل شئ على ورقة واحدة، فقد رأى أن جبهة بريطانيا الحاسمة هناك، غير أن هتلر والقيادة الألمانية العليا فشلا فى إدراك ذلك. وغادر رومل ورئيس أركان حربه بروسيا الشرقية، وروحهم المعنوية فى غاية السوء.

فلقد كان هتلر فى هذا المؤتمر منحرف المزاج من الصعوبات التى يلاقيها فى حملة الشتاء على روسيا، ونتيجة لذلك لم يهتم بمسرح العمليات فى الصحراء العربية. وتأكيدًا لذلك فإنه قبل هذه المقابلة بإثنى عشر يومًا،

وبالضبط يوم 5 شباط أثناء محادثة هتلر مع الجنرال (نهرنغ) كان واسع الصدر بالنسبة للمشكلة الأفريقية، فقد استقبل نهرنغ وهو في طريقه إلى أفريقيا عائدًا من الجبهة الشرقية وتحدث معه فترة خمسين دقيقة بحضور الجنرال "جودل" والجنرال "بوهل". وبالنسبة لموضوع أفريقيا أمر هتلر بأن من المهم التقدم إلى الأمام بقدر الإمكان وإيقاف البريطانيين هناك. ومن المستحسن الاستيلاء على طبرق وحبذا فكرة وضع نطاق من الألغام عبر البحر المتوسط في أضيق نقط العبور بين إيطاليا والشاطئ في ليبيا لكي يحمى طريق الإمداد والتموين. إلا أن البحرية عارضته في هذه الخطة وأوجدت صعوبات عديدة. وقد أثنى هتلر على أعمال جيش البانزر الأفريقي وقال: (بلغوا الكولونيل جنرال روmel بأنني شديد الإعجاب به).

وبعد أربعة عشر يومًا من ذلك الحديث لم يلاحظ روميل شيئًا من هذا الإعجاب عند مقابلة هتلر، وفي رحلة العودة إلى أفريقيا أجرى روميل حديثًا آخر مع الدوتشي وحاول أن يكسبه ليؤيده في خططه. وقام بشرح أفكاره بجلاء، وكان أولها الاستيلاء على مالطة لمنع ذلك التهديد الدائم لخطوط المواصلات والإمداد وثانيًا القيام بهجوم جديد على طبرق للاستيلاء عليها.

وحيث إن الإمدادات للاستيلاء على مالطة تقتضي وقتًا طويلا فقد اقترح روميل الاستيلاء على طبرق أولا إلا أن موسوليني كان متحفظًا، ولم يستطع روميل أن يكسب إلى صفة قيادة هتلر وتأييد القيادة العليا الألمانية إلا في أواخر أبريل 1942، وكانت مبرراته القوية أن البريطانيين أعادوا تنظيم وتسليح قواتهم من أجل هجوم صيفي وأنه من الضروري أن يسبق أوكلنك ويقوم بالهجوم[1].

---

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 232.

أدى القصف الشديد والمتواصل لجزيرة مالطة إلى تحسين موقف إدامة تشكيلات المحور عبر البحر الأبيض المتوسط. لكن بقاء الجزيرة تحت سيطرة الإنجليز يجعلها شوكة فى جنب المحور ومصدر خطر يهدد مواصلاتهم. وقد فكر الإيطاليون بضرورة تجنب المرور قرب مالطة والتحول من ميناء طرابلس إلى ميناء تونس.

عندئذ كتب موسولينى إلى هتلر بتاريخ 30 ديسمبر 1941 أخبره فيها بأن الفرنسيين إذا لم يوافقوا على استخدام الطليان لميناء تونس فسيأمر فرقه باحتلال تونس واستغلال مينائها لمجهوده الحربى. ولما تعثرت الحملة الألمانية على روسيا تزايد قلق هتلر من تفاقم خطر أعدائه الغربيين وصار أكثر توددًا نحو فرنسا لأنه كان يسعى لاستمالة الفرنسيين وإبعادهم عن التعاون مع بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية أو تنظيم حركة المقاومة الفرنسية المناوئة للألمان. وقد أدرك هتلر أن فى التوفيق بين طلب الإيطاليين وتعنت الفرنسيين عندما اتفق الطرفان على قيام السفن الإيطالية بإرسال حمولاتها من مختلف مواد الإدامة (عدا السلاح والعتاد) إلى ميناء تونس، وبذلك خفف الإيطاليون من الزخم الشديد على ميناء طرابلس وقللوا من خطر إتلاف مواد التموين المرسلة إلى فيالقهم المقاتلة فى شمال الصحراء العربية دون اضطرارهم على احتلال مالطة.

كان من رأى المشير الطيار "كسيلرنغ" أن مالطة يمكن احتلالها بصولة جريئة مدبرة يستحضر لها بالتدريب والمعدات الضرورية. وقد أيد الإيطاليون وجهة نظره هذه لكنهم كانوا يفتقرون إلى المظليين والقطعات المدربة على النقل جوًا، كما لم تتيسر لديهم طائرات لنقل القطعات ولا طائرات مقاتلة كافية لمرافقتها. ولذلك فقد وعدوا الألمان فى أواسط مارس 1942 بأنهم

سينجزون استحضاراتهم لاحتلال مالطة فى أواخر يوليو 1942 لكن كسيلرنغ استعجلهم أكثر فشكلوا هيئة ركن خاصة فى أوائل أبريل 1942 لإنجاز الاستحضارات الضرورية وساعدهم بتخصيص عدد من المدربين الألمان لتدريب المظليين المكلفين بتنفيذ المهمة.

فى هذه الأثناء واصلت الطائرات الألمانية والإيطالية قصف المطارات والموانئ والمنشآت العسكرية الأخرى فى جزيرة مالطة بلا هوادة فدمرت كل المنشآت الحيوية وأغرقت عددًا من السفن الإنجليزية فى مدخل الميناء حتى جعلت قاعدة مالطة البحرية غير صالحة للاستخدام، وأردف الألمان فعاليتهم هذه ببث الألغام البحرية بإلقائها من الطائرات أو بزرعها بالزوارق السريعة، وعندئذ قرر الإنجليز الاستفادة من مالطة كقاعدة جوية فقط واضطروا على تموين طائراتهم بالوقود المرسل بالغواصات لفترة طويلة.

وأصبح تموين الجزيرة عن طريق البحر محفوفًا بالمخاطر. ولما ازدادت الحاجة الملحة لتموين الجزيرة بأعتدة مدفعية مقاومة الطائرات وبمواد أخرى ضرورية قرر الإنجليز إرسال قافلة بحرية إلى مالطة تحرسها أربع سفن حربية فى أواخر مارس 1942 إلا أن الطائرات الألمانية هاجمت سفن القافلة الإنجليزية وأغرقتها قبل تفريغ المعدات المنقولة إلى مالطة.

عندئذ بذل الإنجليز جهودهم لإثبات وجود قوتهم الجوية فى جزيرة مالطة فأرسلوا فى بداية أبريل 1942 من إحدى حاملات الطائرات 47 طائرة من طراز سبيتفاير للعمل فى غرب البحر الأبيض المتوسط. ثم رفعوا هذا العدد حتى أصبح عدد الطائرات البريطانية فى مالطة 50 طائرة ولما أسقط الألمان 30 طائرة منها خلال أيام قلائل عززوا موجودهم من الطائرات فى مطلع يونيو 1942 بإرسال 60 طائرة أخرى إلى جزيرة مالطة.

أما الإيطاليون فإنهم لم يحركوا ساكنًا إزاء مالطة ولم يشاركوا بالهجمات الألمانية على الجزيرة رغم أن القائد الألمانى المشير كيسلرنغ طالبهم مرة أخرى فى أبريل 1942 بغزوها خلال ثلاثة أسابيع، لكن الإيطاليين لم تتجاوز فعاليتهم مهاجمة القوافل البحرية الإنجليزية بأسطولهم الكبير بعد أن حصلوا من ألمانيا على مقادير وفيرة من الوقود الذى كانوا يفتقرون إليه. وفى هذه الأثناء كان روميل يتهيأ لشن تعرض واسع جديد[1].

وعمل روميل فى شبه حمى لوضع خطة الهجوم المنتظر، وكانت شكواه الدائمة من الإمدادات إلا أنه فى بداية أبريل كانت الأمور سيئة فمالطة كانت عبارة عن عنكبوت ضخم يلتهم السفن والرجال والأسلحة والمعدات. وفى آذار لم يصل إلى الصحراء العربية سوى 18 ألف طن من 60 ألف طن كانت ضرورية جدًا للجيش ويحتاجها بشدة.

غير أن كسلرينغ كان يقذف جزيرة القديس جورج "مالطة" بالقنابل بواسطة أسطوله الجوى الثانى، فكان عليه أن يحطم دفاعاتها قبل القيام بالهجوم عليها واحتلالها بواسطة جنود المظلات، وإذا أمكن ذلك قبل قيام روميل بهجومه. ومن أجل هذا الغرض أرسلت الفرقة الثانية من جنود المظلات إلى إيطاليا وسرعان ما ظهر أن الإيطاليين لن يكونوا مستعدين لغزو مالطة قبل نهاية شهر يونيو. ولذلك عدل روميل جدوله الزمنى للهجوم وقرر القيام بالهجوم للاستيلاء على طبرق ثم يتبع ذلك غزو مالطة. ونشأ عن هذا التغيير للجدول تطور حاسم ولم يشك أحد فى أن هذا سوف يؤدى إلى مأساة. وهاجمت الطائرات المنقضة من طراز ستوكا التابعة لكسلرينغ الجزيرة وقذفت الميناء وحطمت الأرصفة والاستحكامات مما أجبر الأميرال "كاننغهام"

---

(1) اللواء الركن فاروق الحريرى - المرجع السابق ص 139.

على الهرب بأسطوله من هذا السيل المنهمر من القنابل، ولم تستطع طائرات السلاح الجوى الملكى البريطانى الإقلاع من الجزيرة. ومرت قوافل الإمداد المرسلة إلى روما سالمة، ولم تغرق إلا سفينة واحدة للمحور فى المدة ما بين أبريل ومنتصف مايو 1942. وكان هذا مبرراً قوياً وواضحاً على أهمية الاستيلاء على مالطة، ولكن كما ظهر بمرور الوقت لم يدرك موسولينى وهتلر هذا المنطق وهذه الأدلة الواضحة. وكان البريطانيون يعلمون أن مالطة لا يمكنها الصمود إلى أمد طويل كما كانوا يعلمون أيضاً أنهم بدون مالطة لا يستطيعون المحافظة على مصر، غير أن القيادة العليا فى راستنبرغ لم تر ذلك أو لم تكن تريد أن تعترف به.

أما طيارو القاذفات من طراز ستوكا التابعين للأسطول الجوى الثانى فى صقلية فكانوا يجهلون الأخطاء التى ارتكبها هيئة أركان الحرب العامة، فلقد قذفوا مالطة وجعلوا هجوم رومل ممكناً، ولمدة شهرين تمتع طيار السلاح الجوى الألمانى بالسيادة الكاملة على البحر المتوسط، غير أن هذا انتهى عندما أسقطت المقاتلات البريطانية ثمانى أو تسع طائرات من طراز يونكرز 52 آتية من كريت من مجموع الطائرات البالغ عددها ثلاث عشرة طائرة، ووصلت القوافل المحورية إلى ميناء بنغازى وهى تحمل الدبابات الثقيلة والمدافع من عيار 88 ملم وأفرغت حمولتها من القذائف على أرصفة ميناء طرابلس، وبذلك وصلت الإمدادات أخيراً.

وأقبل الصيف وأصبحت الصحراء كأنها فرن متقد، فإلى ساعة متأخرة من الليل تبقى الأحجار والرمال ساخنة سخونة القهوة فى أوانى الألمونيوم. ووصلت درجة الحرارة إلى 120 درجة فهرنهيت. والكتب تقول أنه فى مثل هذه الحرارة لا يمكن للرجل الأبيض أن يعمل، فما بالك وهو يحارب؟،

وكان الجلوس داخل الدبابة أمرًا مستحيلا غير أن المستحيل لم يكن موجودا في حرب الصحراء.

فقد قاتل في هذه الحرارة القاتلة البريطانيون والألمان والإيطاليون في دباباتهم المتقدة التى حشدت بالمئات. وأخذ رجال المدفعية المضادة للطائرات وجنود المشاة يشيدون المواقع، وقام المهندسون برص الألغام في هذه الحرارة الشديدة، ودبغت جلود الرجال بالسمرة الشديدة وسببت نحافة أجسادهم. غير أن أعصابهم أصبحت مشدودة وجلودهم قوية، وعذبهم الذباب، وتسلل إلى جواربهم وملابسهم الداخلية. وأخذت تلدغهم البراغيث بعنف، وانتشرت بينهم الدوزنتاريا غير أنهم جميعًا صبروا لأنهم كانوا يستعدون للدخول فى معركة جديدة كان الغرض منها الوصول إلى قناة السويس، وكان يمكن حفر قنوات مثل قناة السويس بواسطة المجهود المضنى الذى بذله الرجال والنشاط الذى أظهروه والتضحيات التى قدموها استعداداً للمعركة. وكانت الغاية من كل هذا المجهود الاستيلاء على قناة سويس واحدة. وكان روميل يعلم أن البريطانيين يعدون العدة للهجوم، كما أن البريطانيين يعلمون أن لدى روميل الفكرة نفسها، إذن فمن الذى سيكسب السباق الزمنى؟؟.

وتساءل الجنود الألمان هل سيسبقنا البريطانيون فى هذه المرة؟.

وتساءل البريطانيون هل سيهزمنا روميل مرة أخرى؟، وكانوا يقاتلون روميل وليس الألمان لأنه كان الشخصية المسيطرة على مسرح الأحداث وهو فى نظرهم الشجاعة والهجوم الخاطف والمطاردة العنيفة عبر الصحراء، هذا الألمانى الذى أصبح اسمه أسطورة عنوانها الذكاء والجرأة. وكان هذا خطرًا على الروح المعنوية فى القوات البريطانية، وانتشرت الإشاعات "أن روميل قادم" وكانت القيادة البريطانية العليا تعلم تأثير هذا على الناحية النفسية

للقوات. ولذا أصدر الجنرال أوكلنك أمرًا يوميًا مثيرًا للاهتمام وهو يعد وثيقة غريبة، فقد جاء في الأمر ما يلي[1]:

(إلى جميع كبار الضباط ورؤساء الفروع بالقيادة العامة وقوات الشرق الأوسط

إن هناك خطرًا حقيقيًا في أن يصبح اسم صديقنا "روميل" بعبعًا ترتعد منه جنودنا، وذلك لأنه حقيقة يتردد اسمه كثيرًا ومهما تكن كفاءة روميل وقدرته فإنه ليس سوى بشر، وحتى لو كان متفوقًا فمن الخطأ أن يخلع عليه جنودنا صفات وخصائص فوق مستوى البشر. وإني أرجو منكم أن تبذلوا كل ما بوسعكم لتحطيم هذه الأسطورة. وروميل ما هو إلا قائد ألماني عادي، ويجب أن نمنع ذكر اسم روميل في الحديث عن الأعداء في ليبيا. ويجب أن نقول: الألمان أو قوات المحور أو العدو ولا يسمح أبدًا أن يذكر اسم روميل.

وإنني أطلب منكم أن تتأكدوا من تنفيذ هذا الأمر مع إصدار التعليمات اللازمة إلى صغار القادة لأن للموضوع أهمية بالغة من الناحية النفسية).

التوقيع

ك. أ. أوكلنك

القائد العام لقوات الشرق الأوسط

ملحوظة: " أنا لا أحسد روميل ".

وهذه الملحوظة التي ذيل بها أوكلنك أمره توضح لنا الناحية الشخصية التي تظهر في الأوامر اليومية التي يصدرها القادة البريطانيون وهي عادة لا يوجد لها مثيل في الجيش الألماني.

---

(1) بول كارل - نفس المرجع ص 235.

وبدأ البارومتـر يسجل هبوط درجات البريطانيين فى برقـة، وفضلا عن ذلك، أخذت الرياح تهب من الشرق الأقصى أيضًا فهنالك نسمات تدل على وقوع كارثة كبـرى، فاليابانيون يخترقون بسرعـة هائلة "الأحراش المنيعة" فى الملايو، وحتى قلعة سنغـافورة أصبحت هى الأخرى على وشك أن يهـاجمها اليابانيون من ذلك الجانب الذى لا يمـكن أن تهاجم منه. وفى بورما أرغمت فرقتان على الانسحاب إن وجدتا إلى ذلك سبيلا!.

وهنا أخذت القيادة الألمانية العليا تختبر مدى ما لمالطة من مناعة وأهمية إستراتيجية فى البـحر المتوسط. فالغارات الجوية لا تكف ولا تنقطع عن هذه الجزيرة، وكانت نتـيجة ذلك أن روميل لم يفقد طنًا واحـدًا من إمداداته خلال شهر يناير. وتمكنت الطائرات والغواصات الألمانية من سد المنطقة الوسطى من البحر الأبيض المتوسط فى وجه قوافلنا. كما تكبد الأسطول البريطانى خسائر جسيمة، فلم يتبق للأميرال كننغهام إلا بوارج ثلاث وإلا بعض المدمرات. أما سفينة الأميرال فقد استقرت فى قعر البحر عند الإسكندرية!.

هذه الحوادث كان لها رد فعل طويل.

فكما أن الجنرال "ويفل" طلـب إليه أن يساهم فى الحـملة على اليونان وأن يأخذ من قواته فى حرب الصحراء، وبذلك يضـعف موقفه أمام المحور، كـذلك حيل بين الجنرال أوكلنك وبـين تقوية جـيشـه، فطلب إليه أن يقـدم معاونات لشد أزر البريطانيـين فى الشرق الأقصى. ففى كانون الأول وقبل أن يطرد روميل من الغـزالة سحـبت الفـرقة الثـامنة عـشرة من الشـرق الأوسط للترحل إلى مـلايو، فوصلت إلى سنغافورة قـبل استلامهـا فدخل لواءان من ألويتها إلى المعسكرات اليابـانية دون إطلاق رصاصة واحدة، وأوقف على أثر

ذلك ترحيل الفرقة الهندية السابعة عشرة وتكبدنا خسائر كبيرة فى الدبابات والمقاتلات والمدافع .

ولما كان من المؤكد بأن مالطة ستسقط فى أيدى الألمان ما لم نؤمن مطاراتنا فى برقة الغربية ونغطى الجزيرة ونحمى قوافلنا إليها بأسراب من الطائرات فإن الوزارة البريطانية قد أصرت أشد الإصرار على القيام بهجوم فى أسرع وقت ممكن، فما هو إذن أسرع وقت ممكن ؟. ولقد كانت وجهة نظر رئيس الوزراء أن الهجوم "يجب أن يبدأ اليوم لا غدًا " ولكن الجنرال أوكلنك كان يرى أن هذا الهجوم يجب أن يبدأ حينما توجد فرصة لنجاحه. ذلك أن الهجوم المبتسر قد يفضى إلى تحطيم القوات التى تحاوله تحطيمًا كبيرًا منظمًا، وحينئذ تكون أية محاولة لإنقاذ مالطة مؤدية إلى ضياع مصر والشرق الأوسط، فكل يوم يمر على مالطة دون أن نتدخل فى أعمال نقل الإمدادات إلى روميل يضعف فرص نجاح الهجوم على روميل وبذلك تتم الدائرة المفرغة! .

وفى فبراير وصلت إلى طرابلس قافلة تحمل عددًا من الدبابات إلى روميل.

وطال النقاش بين أوكلنك وبين لندن، فاضطر السير "ستافورد كريبس" والجنرال "ناى" إلى المجئ إلى القاهرة ما دام الجنرال أوكلنك غير قادر على أن يترك الشرق الأوسط ويسافر إلى لندن. وأفلح الجنرال أوكلنك فى أن يقنعهما بأن قواته فى الدبابات والطائرات أضعف بكثير من أن تقوم بأى هجوم عاجل ناجح.

ولكن تم الاتفاق على أن يكون الهجوم فى شهر مايو، وفى أثناء ذلك وصلت إلى روميل دبابات كثيرة حتى لأصبح من المشكوك فيه أن نفوقه نحن

فى عدد الدبابات. وعلى أية حال كانت الوزارة البريطانية قد اعتزمت إنقاذ مالطة، ولو أدى ذلك إلى ضياع مصر. وصدرت الأوامر إلى الجنرال أوكلنك بألا يتأخر فى هجومه عن منتصف يونيو، ولكن روميل بدأ الهجوم فى 27 مايو بدبابات تكاد تماثلنا فى عددها وإن كانت تفوقنا فى قوتها ومتانتها، وحتى ذلك الحين لم يستول الألمان على مطاراتنا فى برقة الغربية ولم تسقط مالطة. ذلك لأن هتلر قد أرجأ غزوها من الجو، ولكننا كدنا أن نفقد مصر إلى حدٍ بعيد..[1].

الجنود يجددون قواهم:

وقف العريف "غوستاف غروسمان" أمام الموقد وهو يتصبب عرقًا فى واحة أم الرزم بالقرب من درنة وسط الصحراء المحرقة. وكانت عربات المطبخ تحمل إشارة عبارة عن صورة قلب أخضر، وهو شعار إقليم ثورنجيا فى ألمانيا وكان غالبية الخبازين فى السرية من هذا الإقليم وكانوا يقومون بخبز، ليس فقط الخبز الأسود الذى اشتهروا به بل أيضًا الفطائر والكعك. وفى صبيحة يوم 20 مارس 1942 وفى الساعات المبكرة أراد غروسمان أن يثبت للفيلق الألمانى ما الذى يستطيع أن يحققه خباز ماهر فى وسط الصحراء، فقام هو وصديقه رودى فونك من إقليم هيليخبستان يعمل فطيرة من القشدة والشيكولاتة، ووقف حوله زملاؤه ليشاهدوا كيف ستكون النتيجة؟.

وقام الجنود بإهداء هذه الفطيرة إلى الجنرال كروويل الذى حضر من مركز رئاسة الجيش ليحتفل مع رجال الفيلق الأفريقى بعيد ميلاده، وكان الجنرال كروويل يقود جيش البانزر الأفريقى نيابة عن روميل ابتداء من أول مارس، وقدمت الفطيرة له كهدية فى عيد ميلاده الخمسين.

---

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص130.

وكان يقود الفيلق الأفريقى الجنرال نهرنغ خلال تلك الفترة.

ووضع الطهاة الفطيرة وسط المنضدة وكانت مغطاة وبجوارها زجاجة من الشمبانيا الفرنسية المستولى عليها وأقيم الحفل تحت ظل النخيل وشجرة صبار ضخمة، فأية قلوب بورجوازية يحملها هؤلاء الجنود؟ فى الحقيقة أن الجنود الألمان القادمين من أقاليم ألمانيا المختلفة كانوا بلا شك يفضلون خبز الفطائر على قتل إخوانهم من بنى الإنسان. ومما لاشك فيه أنهم كانوا يفضلون تناول القهوة مع الجنود القادمين من "لندن" و"ويلز" و"منشستر" وأدنبره بدلا من قتلهم.

أما بالنسبة للجنرال كرورويل فإن هذا الاحتفال كان أول احتفال له منذ عدة سنوات، فلقد كان الألمان يستمتعون براحة يستحقونها بعد المجهود الكبير الذى بذلوه فى دفع البريطانيين إلى خطط الغزالة فى نهاية شهر يناير وإعادة احتلالهم لبرقة، وكان كلا الجانبين منهمكًا فلقد حاربا إلى حد الإرهاق. والآن سادت فترة التوقف ريثما يعيدوا تسليح أنفسهم لجولة أخرى فى المقامرة الكبرى من أجل مصر والسويس والشرق الأدنى.

جدد الجنود قواهم بعد هذه الراحة كما يقولون فى الجيش، وعاد ضباط الصف والجنود من المستشفيات والإجازات التى منحوها. فمثلا كتيبة المشاة الميكانيكية الخامسة عشرة أصبحت مرة أخرى وحدة مقاتلة خفيفة الحركة قوتها أربع سرايا كاملة. وفى الخامس عشر من آذار اصطفت فى أحد الميادين من أجل الصلاة الدينية وكان الرابع من أبريل هو ذكرى وصولهم إلى الصحراء العربية وقد احتفلوا بهذه الذكرى مع الفرقة المدرعة الحادية والعشرين لأن المشاة الميكانيكية قد انضمت إلى الفرقة تحت اسم الكتيبة الثالثة من الفوج 104 تحت قيادة الجنرال فون بسمارك، وقد انضموا إلى الفرقة ومعهم مطابخ الميدان

ومخازن الإمدادات الإدارية وثوران وخمسة براميل من النبيذ الحمر وعربة فولس واجن محملة بالبيرة. وكذلك انضمت هذه الكتيبة المحنكة التى زادتها الحرب خبرة إلى الفرقة. أما الفوج 104 فقد أعيد تشكيله تمامًا من جديد بعد المعارك الدامية فى ممر حلفاية، فكل ما تبقى من رجال هذا الفوج العظيم القديم شكل منه الكتيبة الثانية، أما الكتيبة الأولى فقد تشكلت من أفراد الكتيبة الثامنة مدافع ماكينة السابقة.

وكذلك كان الحال بالنسبة للفوج 200، أما الفوج 54 والفوج 105 من الفرقة التسعين الخفيفة. أما فيما يختص بالمدفعية المضادة للطائرات وأسراب سلاح الطيران والمهندسين وسرايا الواحات فإنها بعد المعارك المضنية فى الشتاء وهجوم يناير 1942 أعيد تنظيمها علاوة على فوجى البانزر الخامس والثامن.

ومع وصول الجنود الجدد والأسلحة الجديدة حلت فى الصحراء العربية حضارة خلاقة جديدة، فقد تلقت مجموعة قتال رومل دورة مياه ميدانية متنقلة جديدة كانت الوحيدة من نوعها فى جبهة شمال الصحراء العربية. وكانت فتحتها المصنوعة على قلب فى بابها موضع حسد الجنود الذين ظلوا يستخدمون الطراز القديم من دورات المياه. وكذلك كان البريطانيون يعيدون تسليح قواتهم وتنظيمها للمعارك القادمة وأبلغت دوريات الاستطلاع الألمانية عن أعمال دفاعية أرضية كبيرة تتم فى موقع الغزالة. وكانت الإمدادات والتعزيزات البريطانية تنقل من مصر على الطريق الساحلى المرصوف إلى طبرق، وأبلغت المخابرات الألمانية عن وجود تحصينات ميدانية غريبة مما يدل على وجود تكتيك جديد سوف يتبعه أوكلنك وريتشى[1].

(1) بول كارل - المرجع السابق ص129.

انصرف روميل لإعادة النظر في مخططاته للمستقبل. ثم كتب لزوجته لوسي يوم 21 مارس 1942.

اشتركت في الاحتفال الذى أقيم بالأمس بمناسبة عيد ميلاد كروويل - رئيس هيئة أركان روميل - وكان احتفالا ممتعًا، ثم غادرنا بإجازة لبضعة أيام، وقد يمضى فترة فى العلاج والنقاهة، وأملى أن يعود إذ ليس من السهل العثور على من يضطلع بعمله هنا. . لقد اكتست برقة حاليًا حلة خضراء حتى فى المناطق الصحراوية التى عادة ما تكون قفرًا والتى اختفت الآن تحت بساط أخضر، والمناخ إلى جوار البحر هو مناخ دافئ وممتع. ولو أن الرياح لازالت قوية. أما حيث نقيم نحن - على ارتفاع 750 مترًا - فالمناخ بارد، ولدى الكثير مما يجب عمله رغم أن مواقعنا تتمتع بدرجة كافية من الأمن والحماية.

وكتب روميل رسالة يوم 26 مارس جاء فيها:

لا شيء يستحق الذكر، غير أن صعوبات الإمداد بصورة خاصة هنا فى المرتفعات تسبب لى القلق المستمر. لقد وصل رئيس هيئة الأركان الجديد وأعطى إلى غامبارا قيادة فى إيطاليا، وقد ذهب غير مأسوف عليه، أما بديله فقد ترك انطباعًا حسنًا.

وعاد فكتب يوم 29 مارس 1942.

يجب أن يكون هذا اليوم هو يوم الأحد، وها قد مضت عشرة أيام على عودتى إلى مقر قيادتى، إننى أقوم بجولات كثيرة، وأذهب إلى كل مكان لأستيقن من تنفيذ الواجبات الملحة بصورة جيدة. وقد نزلت بى نهار الأمس ضربة شمس قوية غير أننى أصبحت على ما يرام.

وكتب يوم 31 مارس 1942.

لم أتمكن من الكتابة بالأمس لأننا عـملنا على الانتقال ونشعـر بالسعادة لتغيير مركز القيادة الذى جعلنا أكـثر قربًا من الجبهة مما يجعلنا أكثر قدرة على كسب الوقت، كما أن المناظر فى الموقع الجديد أكثر جمالا، والأزهار فى أوج تفتحهـا فى كل مكان، وقمت بتصوير المناظر بفيلم ملوّن سأبعـثه لكم قريبًا. وأتوقع أن يكتسى كل شيء عندنا باللون الأخضر قـريبًا. وأحب أن أشير إلى المنزل الذى أقمت فـيه، قد شـغله الإنجليز من قبل وكـتبوا على جـداره قبل مغادرتهم له: (احفظوه نظيفًا، فسنعود إليه عما قريب). وسنرى[1].

9 أبريل 1942

وقد زارنا كـسلرينج بالأمس. وأخباره فـيما يتـعلق بحلفائنا غيـر سارة فالبـيروقراطيـة تسيطر على كل شىء هناك. وفـوق كل هذا يفتقـرون تمامًا لجميع مـستلزمات الحرب الحـديثة. فسرعـة العمل فى جهازهـم الإدارى غير مرضية وذلك بالرغم من أننا أوقفنا لهم مالطة ولن تتعرض لهم من الآن[2].

أما فيما يتعلق بنا فنحن بخير إلا بعض الخسائر التى تعرض لها تشكيل إيطالى، وستكون الأسابيع الثلاثة القادمة مليئة بالعمل.

10 أبريل 1942

أنا فى انتظار زائرًا آخرًا من الرايخ يوم الأحد وهو أميـر بحر من القيادة العليا للجيش الألمانى. وسيكون شىء جميل أن يـحضر عددًا أكبر من السادة

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص276.

(2) كانت مالطة هى القاعدة التى تخرج منها الغـواصات الإنجليزية وزوارق الطوربيد لمهاجمة القوافل البحرية الإيطالية المتجه إلى طرابلس وبنى غازى.

وكان الفـضل للمارشـال كسلرينج القـائد الأعلى الجوى الألمانـى فى إيطاليا والصـحراء العربية لإيقاف نشاط مالطة.

المواطنين لزيارتنا. وقد وصلت طرود كثيرة بهدايا عيد الفصح. كما تتجمع الرسائل الغرامية من نساء كثيرة. وقد دخلت شاظية قنبلة من النافذة واستقرت فوق معدتي بعد أن مزقت المعطف والسترة وكل ما فعلته أنها تركت جرحًا سطحيًا متعدد الألوان بحجم الطبق المستدير، أوقفتها ملابسي الداخلية، وهو حظ الشيطان.

25 أبريل 1942

سطر أخير قبل أن نتحرك جنوبًا عبر المناظر الجميلة. ولنفجر جمال غير طبيعي في هذه المنطقة ذات قمم الجبال المسطحة. والحرارة قريبة من الصفر ولكن الدفء سينبعث بعد ساعات.

وبالأمس اشتركت في مؤتمرين عنيفين مع وايخولد والجنرال بارباسيتي الذي خلف جامبارا. وقد قيل لي أن جامبارا قد نقل لأنه قال في حضور عدد من الضباط أن كل ما يطمع فيه أن يعيش حتى اليوم الذي يسمح له فيه بقيادة جيش إيطالي ضدنا. يا للمجنون!

وسلامي...

12 - رومل يفضل الإمدادات لقواته عن الوسام:

27 أبريل 1942

سوف يصل كسلرينج عصر هذا اليوم. وأنا متلهف للغاية لسماع أخباره. وسيصل باستيكوباكر ليقلدني وسامًا إيطاليًا آخرا. وأنا غير سعيد بهذا، لو أنهم أرسلوا إليّ قوات إضافية فهذا أفضل بكثير من هذا الوسام.

28 أبريل 1942

لم أتمكن من الكتابة اليوم حتى المساء. وصل كسلرينج صباح اليوم ولا يوجد جديد. تقوم روما بوضع خطط كثيرة ولكن أشك أنها ستؤدى إلى أى شيء، وقد تكلمت بهذا الخصوص بكل صراحة فى مقر قيادة الفوهرر. وقد مرت مقابلتى مع باستيكو فى جو من الصداقة والود. وقد قلدنى اسم الملك وسام المستعمرات الجديد وهو عبارة عن نجمة فضية ضخمة أكبر بكثير من النجمة السابقة ومعها شريط أحمر بقاعدة صغيرة.

14 مايو 1942

لا يوجد ما يستحق الذكر. الجو حار ومشحون بالغبار. والطريق الرئيسى يغص بحركة المرور المتحركة عليه.

ويوجد هناك شيء من العصبية فى جبهتنا. فالإنجليز يتوقعون هجومنا عليهم ونحن نتوقع هجومهم علينا - وذات يوم ستقوم القوتين بالتبارى لإظهار الأقوى. وستقرئين عن كل هذا فى حينه من الجرائد.

ونحن جميعًا نأمل أن نتمكن من إنهاء الحرب هذا العام. وبعد قليل سيكون قد مر على إشعال نار الحرب ثلاثة أعوام كاملة[1].

(1) مذكرات روميل - المرجع السابق ص 172.

الفصل الثالث

معركة الغزالة

- معركة الغزالة 5/26 إلى 1942/6/15.
- استسلام اللواء « 150 » البريطاني 1942/6/1.

معركة الغزالة:

يقول اللواء إدموندز يونغ عن روميل ما يلى:

ومضى روميل فأفاض فى الحديث عن المعارك التى دارت فى فصل الربيع والصيف فى عام 1942. وليس من السهل أن نقتفو آثاره وهو يتحدث بالتفصيل عن هذه المواقع الحربية، ويبدى آراءه السديدة فيها، ذلك لأن روميل ينطلق على سجيته فى النقد والتعليق.

على أننا نورد بعض مقتطفات من هذا الحديث، ففيها ما يلقى الضوء على تفكير روميل من الناحية العسكرية، وعلى علاقته بالقيادة الألمانية العليا، كما أنها تكشف لنا عن بعض الأحكام الدقيقة التى أصدرها على خصومه من القواد العسكريين، وعن خططه التى رفضها هتلر وأهملها تمامًا، دون أن يتبين مدى صحتها إلا بعد أن فات الأوان، وانتهت الحرب فى شمال الصحراء العربية. ولقد كان روميل يهدف من وراء خططه تلك، إلى تفادى الطامة الكبرى التى كادت أن تحيق بقوات المحور، وتنظيم عملياتها العسكرية كلها هناك.

و"العملية الحربية" فى اللغة الألمانية العسكرية لها معنى خاص لا مثيل له فى لغة أخرى فالعمليات التى يتحدث عنها روميل هى "الحركات الديناميكية العامة لكل القوات الآلية" ومن هنا يمكن أن يقال: أن كلاً من روميل ومونتغمرى كان يقوم بعمليات حربية فى شمال الصحراء العربية، فى حين كان كل من ويفل وأوكنلك، يخصصان الجانب الأكبر من عنايتها للإستراتيجية.

ويبدأ روميل هذا الجانب من اليوميات بقوله:

"بعد نهاية هجومنا المضاد، الذى أدى فى بداية عام 1942 إلى الاستيلاء على برقة برزت أمامنا عقبات كثيرة كلها تتعلق بالإمدادات والمؤن.

وكان السبب الأول لهذه العقبات، هو أن القيادة الألمانية العليا لم تكن تبدى اهتمامًا يذكر بميدان الصحراء العربية، والمعارك الدائرة فيه. كما أن الإيطاليين لم يكونوا متحمسين تمامًا للقتال فى البحر، بينما كان الأسطول البريطانى بالغ النشاط، فضلاً عما كبدنا سلاح الطيران البريطانى من خسائر فادحة.

وقد واصلت القيادة الألمانية العليا التى كنت خاضعًا لها، تجاهلها أهمية ميدان الصحراء العربية. فلم يدرك رجالها أننا فى الشرق الأدنى قادون على أن نحرز بوسائل قليلة نسبيًا، عددًا من الانتصارات لها أهميتها وقيمتها من الناحيتين: الإستراتيجية والاقتصادية وفاتهم أن أمامنا فى الصحراء العربية والشرق الأوسط، ثروات هائلة من المواد الخام، كفيلة بأن تحررنا من كل ما يساورنا من قلق بسبب نقص البترول.

وهكذا ضنت القيادة الألمانية العليا، ببضع فرق ميكانيكية تعزز بها جيشى، فيصبح قادراً على أن يوقع بالقوات البريطانية هزيمة ساحقة فى الشرق الأدنى. وكانت حجة هتلر وهيئة أركان حربه، هى: أن الجبهة الشرقية تحتاج إلى كميات هائلة من وسائل النقل، وأن إنتاج وحدات ميكانيكية أخرى للجبهة فى الصحراء العربية، مرهق لطاقة ألمانيا الإنتاجية. كما أن الكثير من رجال القيادة الألمانية العليا كانوا ينظرون إلى المعركة فى الصحراء العربية منذ عام 1941، على أنها معركة خاسرة، وأن إرسال إمدادات جديدة إلى الصحراء العربية لا يجدى نفعًا أبدًا وتلك نظرة قاصرة طائشة تبعث على الأسى والأسف[1].

(1) الواضح أن ألمانيا العسكرية كانت، منذ اللحظة الأولى التى أشعلت فيها نيران الحرب العالمية الثانية، تستهدف تدمير روسيا السوفياتية والقضاء على الشرعية فيها، وأن احتلال الألمان لأوروبا الغربية كان مقدمه ليس إلا للهدف الرئيسى وهو تحطيم الشيوعية فى عقر دارها، أى فى روسيا السوفياتية.

إن مصاعب التسموين التى تزعم القيادة الألمانية مشكلة صعبة لا يمكن التغلب عليها، لم تكن كذلك. فالواقع أن أول ما كنا فى حاجة إليه هو أن تكون هناك فى روما شخصية قديرة تخول حرية التصرف لحل تلك المشاكل كلها، ولا أهمية لما قد يؤدى إليه هذا من بعض التشاحن مع بعض الدوائر الإيطالية. ولكن سياسة حكومتنا إزاء الحكومة الإيطالية قد فسدت القضية الألمانية الإيطالية فى شمال أفريقيا.

صحيح أن موارد الثروة الألمانية تنوء بمطالب الجبهة الشرقية، وهذه مسألة لا يمكن الاستهانة بها، وخاصة بعد ما فقدناه من عتاد منذ شتاء 1941 1942، ولكن هذا كله لا ينفى - حسب اعتقادى الثابت - بأن الإمكانيات الهائلة التى يتيحها لنا تعزيز قواتنا فى شمال أفريقيا، تجعل هذا الميدان أهم كثيراً من بعض القطاعات الثانوية فى الجبهة الأوروبية، حيث يمكن الاستغناء عن بعض من فرقها الميكانيكية وإرسالها إلى الصحراء العربية.

قد يكون هذا التصرف الخاطئ من القيادة الألمانية العليا، نتيجة سوء الفهم والعجز عن إدراك الحقائق. على أننى لا أشك أيضًا فى أن حسن النية ليس متوافراً هناك. ولقد استطعنا أن نصمد للبريطانيين قرابة عام ونصف عام، وإن نكبدهم خسائر فادحة، كل ذلك بثلاث فرق ضعيفة إلى حد يبعث على الضحك، حتى عجزت آخر الأمر، أمام ازدياد قوة البريطانيين فى العلمين، لقد أجبرنا، بعد ضياع الجبهة المصرية الليبية، على أن نعد فرقاً عديدة كيما نقف بوجه القوات البريطانية والأمريكية. حتى إذا قذفنا فى الأخير بسبعين فرقة فى معارك إيطاليا وفرنسا، ولو أننا أعطينا ستًا أو سبعًا من الفرق الألمانية الميكانيكية فى صيف عام 1942، لقضينا نهائيًا على البريطانيين، ولا نمحى ذلك الخطر الذى يتهددنا فى جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط لمدة طويلة، ولو توفرت سلامة النية، لأمكن إمداد هذه

التشكيلات وتنظيم تموينها تموينًا كافيًا. غير أن القيادة لم تنتبه إلى هذه الناحية بعد فوات الأوان، لأننا كنا آنذاك غـارقين إلى آذاننا، في المشاكل التى أثارها بوجهنا ميدان البحر الأبيض المتوسط.

وبعد مرور فتـرة قصيرة تم إيصال ثمانيـة عشر ألف طن من الإمدادات إلى الصحراء العربية، من أصل ستين ألف طن كان مقررًا إرسالها، نقول بعد هذه الفترة تغير الموقف فجأة وكان ذلك بفضل المبادأة التى أخذ الفيلد مارشال كسلرنغ بزمـامها، حـيث استطاع سـلاحنا الجوى فى ربيع 1942، أن يضمن السيادة الجوية فى القطاع الرئيسى من البحر المتوسط.

وقد عـززت الغارات الألمانيـة والإيطالية الواسـعة على جزيـرة مالطة، الحـقيـقيـة الطائلة بأن تهـديد خطوط المواصلات الـبحـرية، يكون فى بعض الأحيان ذا نتائج طيبة، كما لو أن تلك الخطوط قد استئصلت برمتها!

فعن طريق تحديد خطـوط مواصلات العدو فى البحـر المتوسط حسب، يمكن زيادة إمداداتنا المتدفقة على طرابلس وبنغازى ودرنة[1].

ثم عـرض رومل بعد ذلك لما قـامت به الحكومة البـريطانية من تقـوية الجيش الثامن وتموينه بكل ما يقع فى يدها، على نحو أسرع مما قام به الألمان. وأشـار إلى قوافل الأسـطول البريطانى الـتى أخذت تصل تبـاعًـا إلى الموانئ المصرية، تحمل العتاد من إنجلترا وأمريكا عبر طريق رأس الرجاء الصالح الذى يبلغ طوله اثنى عشر ألف ميل، ولا تستطيع وسائل النقل البريطانية أن تقطعه إلا مـرتين فى العـام. ورغم هذا، ورغـم النشـاط الكبيـر الذى بذله سـلاح الغواصـات الألمانية لعـرقلة وصول ذلك العـتاد، استـطاع البريطانيـون تعزيز قواتهم فى الشرق الأدنى علـى نحو يستحق الإعجـاب والتقدير، وبشكل لم نستطع نحن أن نضـارعهم فيـه. وفضلاً عن ذلك فـقد كان البـترول متـوفرًا

---

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السـابق ص301.

للقوات البريطانية، حيث تزخر به معامل التكرير في الشرق الأدنى. أما موانئ التموين البريطانية فقد كانت هدفًا للغارات الألمانية، غير أن تلك الغارات لم تكن عنيفة إلا نادرًا.

ومن هذه الموانئ كان البريطانيون يجلبون إمداداتهم إلى الجبهة بواسطة ثلاثة طرق هي:

1 - الخط الحديدى القوى الممتاز الذى يمتد من السويس حتى ضواحى طبرق.

2 - نظم الأسطول البريطانى خط شحن ساحلى بطريقة مدهشة حقًا. وقد كانت طبرق، وهى من أحسن الموانئ الموجودة فى أفريقيا الشمالية، إحدى نقاط ذلك الخط البحرى.

3 - الطريق البرى الذى أنشئ بصورة جيدة، وكان من السعة بحيث سهل على قوافل سيارات الإمدادات لاستعماله. وكان هذا الطريق يمتد فى الصحراء الغربية بين الإسكندرية وطبرق.

وفضلاً عن هذا فقد وقفت إلى جانب الإنجليز، شعوب ذات نفوذ عظيم، فكانت تلك الشعوب تعمل كل ما فى طاقتها لتنظيم مصلحة تموين الحلفاء وفق أحسن الخطط المعروفة آنذاك.

لقد استفاد أعداؤنا من حقيقة أن شمال الصحراء العربية هو الميدان الرئيسى للحرب التى تخوضها الإمبراطورية البريطانية، ومن هنا عنيت بريطانيا العناية كلها، بأن يكون لها أسطول جبار ومن الدرجة الأولى فى القوة والضخامة، بينما كنا نحن نعتمد على أسطول حلفائنا الإيطاليين، ذلك الأسطول الذى لا يعول عليه.

لقد أصبح واضحًا لنا بأن البريطانيين سيحاولون بكل ما أوتوا من قوة

وحيلة، تدمير جيوشنا في اللحظة التي يشعرون فيها أنهم أصبحوا من القوة بحيث يستطيعون المبادأة بالهجوم. فقد كان جناحنا الجنوبي ينتشر في ساحة مكشوفة، وعما قريب سيكون لدى الجنرال ريتشي عدد كبير من العمليات المختارة. وعلى هذا فستصبح خطوط تموينا مهددة تمامًا، فإذا ما اضطررنا إلى الانسحاب نتيجة الخطر الذي نتعرض له، فإننا سنقع في مصاعب جدية، ذلك لأن معظم فرقي الإيطالية غير مزودة بالآليات، غير أن ريتشي لم يكن له من الوقت ما يعينه على استغلال الفرص العديدة التي سنحت له، لأنني صممت على أن أسبقه في هجومه.

كانت خطة البريطانيين الأساسية في الدفاع عن مرمريكا، تتميز بالجهود التي يبذلونها كيما يخدعوا المهاجم بنوع من الحرب تلائم القيادة البريطانية أكثر من حركات المناورة في الصحراء المكشوفة. والحقيقة أن تنفيذ هذه الخطة كان، من الوجهة الفنية، ممتاز جدًا، غير أن البريطانيين تناولوا حل المعضلة عن طريق مقدمات فاشلة سلفًا. إذ إن التمسك بنظام الدفاع الجامد في ميدان مثل الصحراء العربية، وبوجود جناح جنوبي مكشوف، من شأنه أن يؤدي إلى الكارثة. ففي مثل هذه الأحوال لا يمكن نجاح المعركة الدفاعية، إلا إذا حولت تلك المعركة إلى حركة ديناميكية عامة تشترك فيها القوات الآلية.

وطبيعي أن تكون للمواضع المحصنة قيمتها المهمة إذا ما استطاعت تلك المواضع حرمان العدو فرصة القيام بأية عمليات حربية خاصة. على أنه من الضروري أن لا تكون هذه المواضع مشغولة بالقوة المخصصة للدفاع الديناميكي أي المتنقل.

أما الخطة التي اتبعتها أنا وأركان حربي، فقد هيأت لنا إمكانية اتخاذ القرارات الحاسمة في أكثر الظروف ملاءمة. غير أن مصير جيشي لم يكن ليعتمد – في أي حال من الأحوال– على النجاح في هذا الرأي وحده.

ولقد وضعت تجاربي المعتادة التالية حسبما قدرته من البداية، على قاعدة أن الأمور لا يمكن أن تسير وفق خطة معينة، فكلما أدرك المحارب الحالة عند ابتداء المعركة، كلما استطاع تجنب الخسارة والكارثة.

فنحن دخلنا المعـركـة يغـمرنا الإيمـان بالنصـر، لأننا كنا نعـول على جنودنا، وعلى تدريبهم التكتيكي الممتاز وتجاربهم في المباداة[1].

بقيـت مشكلة تأمـين الإمدادات هي المشكلة الأولى التي أعـاقت رومل عن تحقـيق أهدافه. وبقي مسـرح الصحراء العـربية يحتل المرتبـة الثانوية في مخططات القيادة الألمانية العليا. ومقـابل ذلك، فقد استطاع البريطانيون تأمين إمـداداتهم رغم طول الطريق لإرسـال هذه الإمدادات، إذ كـان يتم إرسالهـا مسـافة 17 ألف كيلومـتراً، حول رأس الرجـاء الصالح. وأعطى البـريطانيون مسـرح العمليات الصحـراء العربية الأهمـية الأولى على مسـتوى سياسـتهم الإستراتيجـية. وبذلك توافر للجيش البريطاني الثـامن، المدافع عن مصر في صيف عام 1942، زهاء 900 دبابة منها 200 دبابة أمريكية (غرانت)، بينما لم يكن لدى رومل إلا ثلاثمائة دبابة (320 بانزر و240 إيطالية).

كانت القوات البريطانية قد نظمت دفاعها عن مصر، بإقامة خط دفاعي حصين ما بين (الغزالة وبير حكيم) كلـفت بالدفاع عنه الفرقة البريطانية (50) وفرقة جنوب أفريقية، وأحيط هذا الخط الدفاعي بحقل ألغام احتوى ما يقارب المليون لغم. وجهز كل موقع بالمدفعية. وأطلق على الخط الدفاعي اسم (خط مارماريك)[2].

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص303.

(2) بسام العسيلي- المرجع السابق ص180.

مرحلة الاستعدادات:

انتهى الهجوم المضاد فى أوائل 1942 باستعادة برقة وبعدها ظهرت مصاعب جسيمة بالنسبة للإمداد والتموين وهنا يبدأ روميل الكلام مرة أخرى بعد أن انتهى كلام الجنرال بايرلاين.

وكان الخطأ فى هذا يرجع إلى عاملين أولهما عدم اهتمام القيادة العليا الألمانية بالعمليات فى أفريقيا، لفشلها فى إدراك أهميتها العظمى، وثانيهما: الأسلوب الضعيف الذى اتبعته البحرية الإيطالية فى قتالها ضد الأسطول البريطانى بينما كانت البحرية البريطانية على العكس من هذا فكانت نشطة للغاية فى الفترة الأولى من عام 1942 كما أن السلاح الجوى البريطانى كان يرهقنا باستمرار.

وقد ظلت القيادة الألمانية على جهلها بأهمية مسرح العمليات فى الصحراء العربية ولم تدرك أنه لو استخدمنا وسائل محدودة نسبيًا لأمكننا إحراز انتصارات فى الشرق تفوق فى أهميتها الإستراتيجية والاقتصادية أى انتصارات قد نحرزها فى منحنى نهر الدون (فى جنوب روسيا)، لأن أمامنا توجد مناطق تحوى ثروة هائلة من المواد الأولية، كما يمكننا فى أفريقيا والشرق الأوسط مثلاً أن ننهى كل متاعبنا بالنسبة للبترول. وكان يمكننا أيضًا سحق كل القوات البريطانية فى الشرق الأدنى (لو أرسل إلينا بعض الفرق مع ضمان إمدادها).

ولكن لم يكن هذا مقدراً له الحدوث، فقد رفضت طلباتنا الخاصة بإرسال تشكيلات إلينا فى الصحراء العربية، وذلك نظرًا للمطالب الضخمة التى فرضتها حملتنا فى روسيا على إمكانيات ألمانيا المحدودة فى مجال النقل البرى، ولذلك كان إرسال وحدات ميكانيكية جديدة للصحراء العربية أمرًا غير ممكن.

وكان من الواضح أن رأى القيادة العليا لم يتغير مما كان عليه فى عام 1941، وهو أن ميدان الصحراء العربية يعتبر "قضية خاسرة" وأن أى توسع فى إرسال القوات والعتاد إلى هذا المسرح لن يؤدى إلى أى ربح. وهو طبعًا رأى قصير النظر وغير سليم ومحزن !! لأن من الناحية العملية كانت مصاعب الإمداد التى يصفونها بأنها "غير ممكنة الحل" لم تكن كذلك على الإطلاق.

وكل الذى كنا نحتاجه هو شخصية قوية فى روما تتمتع بالسلطة والحماس اللازمين للقضاء على المشاكل الناجمة هناك. ولا شك أن هذا كان سيؤدى للاحتكاك مع بعض الدوائر الإيطالية، ولكن كان يمكن التغلب على هذه المشكلة بواسطة سلطة لا تعرقلها واجبات سياسية أخرى، وقد أدت سياسة حكومتنا الضعيفة اتجاه إيطاليا لإساءة الموقف فى الصحراء العربية للغاية.

وبالطبع لا يمكننا أن نقلل من ثقل التبعات التى كان يفرضها المسرح الشرقى فى روسيا على إمكانيات ألمانيا المادية، وخاصة بعد أن فقد جيشنا الشرقى (فى شتاء 1941 -1942) الجزء الأكبر من عتاده. ومع هذا فأنا مقتنع تمامًا بأنه نظرًا للآفاق الرحيبة المتفتحة فى الصحراء العربية، كان من الممكن العثور على بعض القطاعات الأقل أهمية واستدعاء بعض الفرق الميكانيكية منها وإرسالها إلينا.

ولكن لم يكن هناك أى تقدير للموضوع من أساسه مما أدى إلى عدم وجود رغبة فى المساعدة، وكانت العواقب وخيمة للغاية. فقد قاتلنا الجيش الإنجليزى فى أفريقيا ثمانية عشر شهرًا بكاملها بثلاث فرق ألمانية فقط، وكانت أحيانًا تصغر لدرجة تدعو للسخرية، ورغم ذلك فقد ألحقنا بالجيش عدة هزائم نكراء إلى أن فرغ المصدر الأساسى لقوتنا فى العلمين. وبعد خسارة

الصحراء العربية أخذنا نستخدم عدداً متزايداً من الفرق الألمانية ضد الإنجليز والأمريكيين وفى النهاية ألقينا ضدهم بـ 70 فرقة فى فرنسا وإيطاليا، بينما لو أعطونى فى صيف 1942 ست فرق ميكانيكية لاستطعت تحطيم الإنجليز والقضاء على الخطر الموجه من الجنوب لوقت طويل. وليس هناك شك فى أن الإمداد اللازم لهذه التشكيلات كان يمكن تنظيمه لو وجدت الرغبة. وفى تونس فيما بعد عندما أصبح الوقت بالطبع متأخراً أمكن بسهولة مضاعفة إمداداتنا عندما شعر الجميع بالخطورة (حتى فى ألمانيا نفسها).

فى مارس 1942 وصل 18000 طن فقط من مستلزمات الإمداد لجيش بانزر أفريقيا البالغة 60000 طن شهريًا ولكن بعدها تغير الموقف بسبب مجهود الفيلد مارشال كسلرينج الذى استطاع سلاحه الجوى الحصول على السيطرة الجوية فوق البحر المتوسط فى ربيع هذا العام.

وقد كانت غارات المحور الجوية العنيفة ضد مالطة بالذات ممتازة التأثير لأنها أمنت طرق مواصلاتنا البحرية، ومكننا هذا المجهود من زيادة كمية شحنات العتاد المرسلة إلى طرابلس وبنى غازى ودرنة، وبعدها بدأ تدعيم وتسليح القوات الألمانية والإيطالية بأقصى سرعة[1].

ومع كل هذا فقد كان واضحًا أن الجيش الثامن البريطانى يتلقى المدد أسرع منا، لأن الحكومة البريطانية كانت تبذل جهوداً جبارة لتزويده بكل العتاد التى يمكن أن تضع يديها عليه. وكانت القوافل الكبيرة تصل تباعًا من انجلترا وأمريكا حول رأس الرجاء الصالح إلى الموانئ المصرية حاملة العتاد الحربى. وبالطبع كانت هذه الرحلة يبلغ طورها 12000 ميل وهى مسافة يمكن لسفن الشحن البريطانية أن تقطعها مرة أو (على أقصى تقدير) مرتين سنويًا وكان هذا يفرض مجهوداً ضخمًا على هيئة الإمداد والتموين المعادية، لأنه كان

(1) ب. هـ. ليدل هارت- المرجع السابق.

عليها بالإضافة للعقبات الطبيعية أن تتخلص من خطر غواصاتنا. وبالرغم من كل هذا استطاع الأسطول البريطانى مع البحرية التجارية المحافظة على سبيل الإمداد إلى الشرق الأدنى وبدرجة أعظم بكثير من أى مدى يمكننا الوصول إليه بالرغم من هذه المسافات الشاسعة، ويضاف إلى هذا أن الإنجليز كان يمكنهم الحصول على كل البترول الذى يحتاجونه من معامل التكرير فى الشرق الأدنى.

ولم تهتم القاذفات الألمانية بموانئ التموين الإنجليزية إلا فى القليل النادر وكان العدو يستطيع إرسال إمداداته إلى الجبهة من هذه الموانئ عبر ثلاثة طرق مختلفة.

1 - بواسطة خط حديدى جيد يمتد من السويس إلى المحيط الخارجى لميناء طبرق.

2 - بواسطة البحر، وكانت البحرية البريطانية قد نظمت هيئة ممتازة للنقل الساحلى، وكانت تستخدم طبرق (وهى من أحسن الموانئ، فى شمال الصحراء العربية).

3 - برا، حيث كانوا يسيطرون على الطريق الساحلى الرئيسى، وكان بحوزتهم حملة ميكانيكية ضخمة:

وأهم من هذا كله كان يوجد فى الجانب الإنجليزى شخصيات قوية ذات نفوذ ضخم وذكاء باهر وكانت تعمل كل ما بوسعها لتنظيم عمليات الإمداد والتموين بأكفأ أسلوب ممكن. وكان خصومنا يمتازون فى هذا الصدد بعدة عوامل:

1 - كانوا يعتبرون مسرح شمال الصحراء العربية مسرح العمليات الرئيسى بالنسبة للإمبراطورية البريطانية.

2 - كانت الحكومة البريطانية تنظر للقتال فى ليبيا على أنه ذو أثر حاسم بالنسبة للحرب.

3 - كان للبريطانيون فى البحر المتوسط أسطولاً قويًا للغاية وقوة جوية كبيرة تابعة لهم، بينما كان علينا أن نعتمد على البحرية الإيطالية العديمة القيمة.

4 - كانت وحدات الجيش الثامن محملة بالكامل.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"لم تكن تشكيلات المشاة البريطانية العادية محملة "بالكامل" بالمعنى الصحيح فلم تحمل دوامًا فى حملتها التابعة لها مباشرة، وإنما كانت أغلب القوات "تحمل" من مكان لآخر عندما تتوفر الحملة لها من مراكز تجميع سرايا خدمة الجيش. ومن الناحية التكتيكية لم تكن هذه التشكيلات خفيفة الحركة. لأنها كانت تحمل بالدور بدلاً من تحركها كلها فى وقت واحد، وهذا يعتبر مانعًا بالنسبة لخفة حركتها الإستراتيجية".

ويتابع رومل مذكراته فيقول:

وكان من الواضح لنا أن الإنجليز كانوا يحاولون تدمير جيشنا بكل الوسائل المتيسرة لهم بمجرد شعورهم بأنهم أصبحوا على درجة من القوة تكفى لهذا وكان جناحنا الأيمن فى الجنوب مفتوحًا للغاية ومعرضًا للتطوير وكان أمامهم مجالاً كبيراً لاختيار خطوط العمليات الممكنة[1].

(1) لقد قل احتمال التطويق لقوات رومل بسبب تفوق الدبابات الألمانية فى تسليحها علاوة على التفوق فى قيادة وتدريب التشكيلات الألمانية المدرعة، وقد اعترف أوكنلك بذلك صراحة فى مذكراته بتاريخ 21/3/1942.

عــلاوة على هذا التهــديد الدائم الموجــه إلى خطوط مواصــلاتنا، وإذا اضطررنا إلى الانســحاب ستتعــرض لخطر التطويق علامــة على أنه سيــصبح صعبًا للغاية. لأن أغلب فرقي الإيطالية كانت غير محملة. ولكن لم يكن من المتــوقع أن يستــغل الإنجليــز هذه الفــرص كلها، لذلك قــررت أن أســبقــهم بالهجوم. وكــانت خطة الدفاع البريطانية عن القطاع الشرقي من برقــة متأثرة برغبة قيــادتهم في فرض أسلوب معين في القتال يلائمهم، أكثــر من ملاءمته للعمليــات السريعة في الصــحراء المفتــوحة، ولكن التقليــد الفني للخطة كان ممتازًا[1].

ولكن النقط الرئيسية في خطتهم كانت خاطئة. لأن أي موقع دفاعي في شمال الصحراء العربية نجد أن الجناح الجنوبي له مكشوفًا باستمرار، فأي خطة دفاعــية جامــدة ستؤدي إلى كــارثة، ولذلك يجب تنفيــذ الدفاع الهــجومي لو أرادوا النجــاح. وبالطبع الخطوط القوية لهــا قيــمة عظيــمة في منع العــدو من القيــام بعمليات مــعينة، ولكن احتلال هــذه الخطوط يجب ألا يكون بأي حال على حساب حجم القوات المستخدمة في الدفاع الخفيف الحركة.

وكان الموقف البريطاني في برقة كما يلي:

جهزوا خطًا دفــاعيًا وبثوا أمــامه حقول ألغــام عميقة تمتــد من الساحل بالقرب من الغزالة نحــو الجنوب وتحمله الفرقة الأولى جنوب أفريقــيا والفرق 50 البريطانية وامتد من الحافة الجنوبية لهذا الخط حقل عميق من الألغام جنوبًا إلى بير حكيم الذي يمثل الطرف الجنوبي لجبهــة البريطانيين في الغزالة، وكان مجهــزًا كحصن ومواقــعه الدفاعيــة محاطة من جمــيع الجهات بحقــول ألغام عميقة ويحتله اللواء الأول فرنسيين أحرار.

(1) مذكرات روميل - نفس المرجع ص 341.

وقد بنى الخط بالكامل بمهارة كبيرة. وكانت هذه هى المرة الأولى التى حاولوا فيها إقامة خط من هذا النوع بعيداً فى قلب الصحراء. وكان عدد الألغام حول هذا الخط وحده حوالى خمسمائة ألف. وكان يوجد على بعد عدة أميال شرقى منتصف خط الغزالة تقاطع للمدقات أنشىء عليه نقطة قوية سميت بجسر الفرسان[1]. ويحتلها اللواء (201 حرس البريطانى) كما تم تحصين المنطقة حول تبة الحيطان وتبة البطرونة لستر طرق الاقتراب الجنوبية لطبرق.

أما "مستعمرة" العضم كما سميت، فكانت تحتل بوحدات من الفرقة الخامسة الهندية.

وكانت طبرق نفسها تعتبر القاعدة الإدارية والتدعيم الثابت لخط الغزالة بالكامل واستمر البريطانيون منذ عام 1941 فى تحسين الدفاعات حول طبرق[2] وخاصة بث حقول ألغام واسعة النطاق حول كل المنطقة الدفاعية. وكانت تحتلها الفرقة الثانية جنوب أفريقيا مع تدعيماتها. وكانت كل النقط القوية مزودة بعناصر كبيرة من المدفعية والمشاة ووحدات السيارات المدرعة وكميات كبيرة من الإمدادات. وكان الخط بأكمله يعتبر نموذجاً مثالياً من حيث المهارة فى إقامة التحصينات فكانت كل المواقع الدفاعية والنقط القوية تتلاءم مع أحدث مستلزمات الحرب فقد صار بث أعداد لا حصر لها من الألغام، خلال المواقع البريطانية فى برقة وقد زادت عن المليون. وفيما بعد أزالت قواتى عدداً

(1) نلاحظ أن رومل استخدم نفس الاسم الذى أطلقه البريطانيون على هذه النقطة التى تعتبر محور دفاعاتهم.

(2) لم يحدث أى تقويات لدفاعات طبرق بالمعنى المفهوم منذ رفع الحصار عنها فى ديسمبر 1941 وقد أوقف كل عمل فى هذه الدفاعات قبل منتصف صيف 1942.

من الألغام وصل إلى 150000 لغم من المناطق الخلفية للبريطانيين وأعتقد أنهم كانوا ينوون زيادة نطاق التلغيم عن هذا الحد.

وكان لـدى البريطانيـين (بالإضافـة إلى القوات المحـملة التى ذكرتـها) احتيـاطى خفيف الحركة خلف الخط الدفاعى الـرئيسى ويتكون من تشكيلات ميكانيكية ومدرعـة قوية (وهى الفرقة السابعة المدرعـة والفرقة الأولى المدرعة وعددًا كبيرًا من اللواءات المدرعة المستقلة وكتائب الدبابات).

وكانت خطة الدفاع البريطانية أحسن ما يمكن اتباعه من جانبهم، وذلك لأن كل وحداتهم كانت محملة علاوة على التحصين القوى لمواقعهم الدفاعية فكل ذلك جعل من خطوطهم عقبة يصعب التغلب عليها[1].

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"كان العـيب الأساسى فى موقف البـريطانيين أن مـواقعم كانت مـبنية أساسًا للعمل الهجومى (وذلك تحت ضـغط الحكومة البريطانية) ولهذا كانت المواقع تصلح كقـاعدة وطيدة للانطلاق بهـجوم نحو الغـرب أكثر منهـا درعًا لمواجهـة هجوم رومل. ويـضاف إلى هذا أن الحشـد الضخم لـلإمدادات فى القاعدة الأمامية فى بلحامد (التى تقع شمالى سيدى رزق مباشرة) كانت تؤثر باستمـرار على تفكير القادة البريـطانيين الذين كانوا يخشـون اتخاذ أى إجراء يؤدى إلى كشف هذه القاعدة لمدرعات العدو فيقوم رومل بتدميرها".

ميزان القوى:

فى بداية المعركة كـان جيش البانزر الألمانى الإيطالى يتكون من فـرقتين ألمانيتين مدرعتين وفرقة مدرعة إيطالية بالإضافة إلى فرقتين محملتين إحداهما

(1) مذكرات رومل - نفس المرجع ص 343.

ألمانية والأخرى إيطالية. ويضاف إلى هذا 4 فرق مشاة إيطالية غير محملة ولواء بنادق ألماني غير محمل تحت القيادة المباشرة للقيادة العليا الألمانية والإيطالية. وأثناء المعركة نفسها أرسلت لنا القيادة العليا الإيطالية فرقة مدرعة أخرى وهي الليتوريو فأصبحت قوتي عبارة عن ثلاث فرق ألمانية ولواء ألماني واحد وسبع فرق إيطالية (يوجد ثلاثة منها محملة فقط) أو بمعنى آخر لها قيمة في العمليات الخفيفة الحركة.

وكانت أغلب القوات الألمانية وكل القوات الإيطالية غير كاملة المرتب. فمثلاً دخلات الفرقة 90 الخفيفة المعركة وقوة كل سرية حوالي 50 مقاتلاً فقط. وكانت هذه النقطة بالذات خطيرة مع الإيطاليين لدرجة أني كنت أعتبر أي فرقة محملة إيطالية تساوي لواءً واحدًا وأي فرقة مشاة تساوي ألالاي واحد فقط(1).

وفي بداية المعركة كان يوجد تحت قيادة البريطانيين أربع فرق مشاة محملة وفرقتين مدرعتين وأربعة لواءات ميكانيكية مستقلة. ويضاف إلى أنه في منتصف يوليو وصلهم أربع فرق أخرى عددًا من الوحدات المدرعة المستقلة. وكل هذه القوات كانت محملة وكاملة المرتب. وكانت الفرق المدرعة البريطانية (على العكس من فرقنا) كاملة المرتب، وفي الحقيقة تتكون من تشكيلات مدرعة بالفعل، وكانت النسبة في بداية المعركة بين قواتنا وقواتهم 6 إلى 9 لصالحهم.

(1) في الجيش الألماني والفرنسي والأمريكي نجد تعبير "إلاي مشاة" وهذا بخلاف ما تعودنا عليه في تنظيم الجيش البريطاني، فنجد أن هذا التعبير يستخدم في أسلحة المدفعية والمدرعات فقط.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"هذا غير صحيح فإن تنظيم الفرقة المدرعة البريطانية كان قد تغير أخيرا وأصبحت تتكون من لواء مدرع واحد وهو يتكون من ثلاث كتائب دبابات وكتيبة مشاة محملة، ثم لواء مشاة محمل فى لوارى (تابعة لخدمة الجيش) ويتكون من ثلاث كتائب، ولكن يجب أن نضع فى اعتبارنا أنه قد يلحق بها أحيانًا لواء مدرع إضافى".

ويتابع رومل مذكراته فيقول[1]:

لقد دخلنا المعركة بـ 320 دبابة ألمانية و 240 إيطالية. أما البريطانيين فقد دخلوا المعركة بـ 900 دبابة. علاوة على ذلك فكان المدد من المدرعات الذى تلقاه العدو أثنا المعركة يزيد كثيراً على النجدات التى وصلتنا، فلم يكن هناك وجه للمقارنة العددية.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"القوات البريطانية التى اشتركت فى المعركة عند ابتدائها هى:

الفرق المشاة: الفرقة 50 البريطانية والفرقة الأولى والثانية جنوب أفريقيا والفرقة 5 الهندية.

مجموعات لواءات: مجموعة اللواء الهندى المحمل ومجموعة اللواء الأول الفرنسى أحراراً.

الفرق المدرعة: الفرقة الأولى (وبها اللواء 2 المدرع + اللواء 22 المدرع + اللواء 201 حرس المحمل).

الفرقة السابعة وبها: (اللواء 4 المدرع + اللواء 7 محمل).

---

(1) مذكرات رومل - نفس المرجع ص345.

لواءات دبابات مستقلة: اللواء الأول واللواء 32 (دبابات مشاة).

ويضاف إلى هذا أن اللواء الأول المدرع الذى تم إعادة تسليحه أخيرا كان قد وصل وكان المفروض أنه سيلحق بالفرقة السابعة حتى يصبح بكل من الفرقتين المدرعتين لواءين مدرعين. وهذا سيؤدى إلى تفوق كبير لأن الفرق البانزر الألمانية لم تكن تضم سواء لواء واحدًا مدرعًا. ولكن اللواء الأول المدرع لم يكن مستعدًا بالفعل للقتال عندما بدأت المعركة، ولذلك استخدمت دباباته كاحتياطى لسد الخسائر التى تصاب بها اللواءات المدرعة الثلاثة الأخرى.

وعليه فيلاحظ أن رومل يقلل من عدد التشكيلات المدرعة التى كانت تواجهه كما أن استخدامه الشائع لتعبير "محمل" لا يوضح الفرق بين أنواع التشكيلات التى أمامه[1] وأخيرًا فإن تقديره لعدد الدبابات البريطانية بـ 900 يقارب الحقيقة وذلك إذا ما حسبنا الاحتياطى الذى استخدم أثناء المعركة لتعويض الخسائر. وفى المرحلة الأولى لم يكن التفوق العددى البريطانى كبيرًا للغاية، ولكن الدبابات ماركة جرانت التى كان عددها يقارب 200 كانت أقوى من أى دبابة ألمانية، وفى نفس الوقت كانت كل دبابات رومل الإيطالية (240 دبابة) والبانزر ماركة 2 الألمانية (50 دبابة) تكاد تكون عديمة القيمة فى أى معركة تصادمية.

---

(1) توجد ثلاثة أنواع من تشكيلات المشاة:

أ - ميكانيكية: محملة فى مركبات ضمن قوة الوحدات وهذه المركبات يمكنها عبور جميع أنواع الأراضى.

ب - محملة: محملة فى لوريات ضمن قوة الوحدات ولكنها تلتزم بالطرق والمدقات الجيدة.

جـ - مشاة مترجلة: تتحرك على أقدامها أو تحمل أحيانًا فى سرايا خدمة الجيش إذا ما وجدت.

وكان فى جانب روميل أهم عنصر للتفوق فى مقابلة كل العوامل المذكورة وهو مدفعية عيار 88 مم ولكن كان لديه منها 48 مدفعًا فقط. وحتى فى العلمين فى أكتوبر لم يكن عدد هذه المدافع يزيد عن 70.

ويتابع روميل مذكراته:

وفى مايو 1942 كانت دباباتنا على وجه العموم متفوقة من ناحية النوع على الأنواع البريطانية المواجهة لها. ولكن فى هذه المرة تغير الأمر أو على الأصح أن هذا التفوق لم يصبح بنفس الدرجة السابقة، لأن الدبابات الأمريكية الصنع من ماركة "جرانت" والتى قد ظهرت لأول مرة فى معارك الصيف كانت توازى فى قدرتها التدميرية دباباتنا البانزر ماركة 4 "ذات المدفع الطويل"، ولكن لم يكن لدينا الذخيرة اللازمة لها مما أدى فى الواقع إلى عدم اشتراكها نهائيًا فى المعركة. أما البانزر 4 "ذات الدفع المدفع القصير" فكانت مفوقة أيضًا على الجرانت من حيث السرعة والقدرة على المناورة، ومع هذا فإن الجرانت كانت تتمتع بقدرتها على تدمير البانزر 4 ذات المدفع القصير على مسافة لا تستطيع قذيفة الأخيرة من اختراق الدروع الثقيلة للدبابة الأمريكية. وكان لدينا 40 دبابة بانزر 4 فى مواجهة 160 دبابة جرانت فى جانب البريطانيين.

وكان التسليح الأساسى لتشكيلاتنا المدرعة هو الدبابة البانزر ماركة 3 والتى بالطبع لا تستطيع مواجهة الجرانت بمدفعها عيار 50 مم والتى كان أغلبها من النوع القصيرة وأما الدبابات البريطانية التى كانت ماتزال مسلحة بمدفع عيار 40 مم لم تكن فى قوة البانزر 3 ولكن كان هناك عدد من الدبابات البريطانية قد أعيد تسليحها بمدفع 75 مم - أما الدبابات الإيطالية فلم تكن تستطيع مواجهة أى دبابة بريطانية وكانت القوات تسميها "القبور المتحركة".

وكان موقف المدفعية مشابهًا لموقف الدبابات، فالبريطانيين كانوا يتمتعون بتفوق بلغ 8 إلى 5 لصالحهم[1].

أما عن القوة الجوية (إذا ما غضضنا النظر عن بعض الحوادث المتفرقة) فمن السليم أن نقول بأن القوة الجوية الألمانية الإيطالية كانت متعادلة مع السلاح الجوى البريطانى فى أول المعركة، ولكن الأمر تغير تمامًا فيما بعد[2].

ومن كل هذا نخرج بأن جيش البانزر كان يواجه قوات بريطانية أقوى منه عمومًا وبدرجة كبيرة. ومع أننا لو قارنا بين هذه القوات والقوات التى استخدمت فيما بعد (أثناء الهجوم البريطانى الشتوى فى 1942- 1943) لوجدنا أن نسبة التفوق مقبولة للغاية، ولكن يجب أن نضع فى حسابنا أنه لا يوجد سوى ثلاث فرق ألمانية وثلاث فرق إيطالية يمكن استخدامها بطريقة فعالة فى الهجوم، بينما كانت بقية الفرق ستظل فى الخط الثانى وباستمرار، لعدم قدرتها على الحركة السريعة. والعامل الأخير الذى يجب أن نضعه فى تقديرنا هو أنه نظرًا لضعف تسليح الفرقتين الإيطاليتين المحملتين فيجب علينا استخدامها وباستمرار تحت حماية تشكيلات ألمانية.

قواعد حرب الصحراء:

(1) تطبيق مبادئ الحرب الميكانيكية والمدرعة فى الصحراء:

لقد اتخذت الحرب أحدث مظاهرها فى مسارح العمليات وخاصة فى مسرح أفريقيا لأن القوات المقاتلة من الجانبين مثلتها تشكيلات محملة بالكامل

(1) مذكرات رومل - نفس المرجع ص347.

(2) كانت قوة الخط الأول للقوة الجوية البريطانية 604 طائرة بينما كانت قوة الألمان والإيطاليين 542 طائرة فقط. ولكن 120 طائرة (من 351 مقاتلة محورية) كانت من طراز مستر شميت وكانت متفوقة على المقاتلات البريطانية من طراز هاريكين وكيتى هوك.

علاوة على أنها حاربت فى الصحراء المنبسطة وليس بها موانع طبيعية، لذلك لم تفرض على استخدامها أى قيود فأدى هذا إلى فتح آفاق خيالية لإمكانيات استخدامها. وقد كان هذا المسرح الوحيد الذى أمكن فيه تطبيق مبادئ الحرب الميكانيكية والمدرعة التى درست نصوصها نظريًا قبل الحرب وأمكن تطويرها، وقد دارت فيه معارك مدرعة فقط اشتركت فيها تشكيلات كبرى للجانبين، وبالرغم من أن القتال تجمد أحيانًا فى صراع على جهات ثابتة إلا أنه ظل المسرح الوحيد الذى دارت فيه العمليات على أساس خفة الحركة الكاملة وبالذات فى أهم فترات القتال (أثناء هجوم كننجهام- ريتشى فى 41 - 42) وفى معركة الغزالة فى عام 1942 والاستيلاء على طبرق).

(2) المشاة المترجلة تؤدى إلى الجمود التكتيكى:

كنا نحارب فى بولندا وغرب أوروبا خصومًا دخلوا كل العمليات بعدد كبير من المشاة وبذا قيدوا أنفسهم نتيجة للجمود التكتيكى الذى فرض عليهم، مما أدى بهم إلى كارثة وخاصة فى عمليات الانسحاب فقد اضطروا أحيانًا للدخول فى عمليات لا تتصل بغرضهم الأساسى وذلك لإيقاف تقدمنا فقط ولكن بعد اختراقنا لخطوط العدو فى فرنسا اجتحنا فرق مشاة العدو وطوقناها بكل بساطة بقواتنا المحملة وبهذا لم يعد أمامهم أى مجال للاختيار سوى إلقاء احتياطيهم الإستراتيجى لتسحقه مجموعاتنا المدرعة، وكثيرًا ما اضطروا لمواجهتنا فى مواقع غير مناسبة تكتيكيًا محاولين كسب الوقت اللازم لتغطية انسحاب المشاة.

والمشاة المترجلة تصبح لا قيمة لها فى مواجهة عدو محمل أو مدرع إلا إذا احتلت مواقع مجهزة. ولو حدث اختراق أو تطويق لهذه المواقع ستؤدى

إلى صعوبة انسحابها أمام هذا العدو المحمل وسيصبح أمامها فقط التشبث بمواقعها لآخر طلقة وآخر رجل.

(3) المدرعات يجب أن تستر انسحاب القوات المترجلة:

وهذه التشكيلات سوف تسبب مصاعب كبيرة فى أى انسحاب عام لأنه كما سبق أن بينت أن القائد سيضطر لإلقاء تشكيلاته المحملة لمجرد كسب الوقت اللازم لها. وقد اضطررت أنا شخصيًا لمثل هذا الإجراء أثناء انسحاب المحور من برقة فى شتاء 41 - 1942 عندما كانت المشاة الإيطالية كلها وجانب كبير من المشاة الألمانية بما فيها أغلب الفرقة 90 الخفيفة بدون حملة إطلاقًا وكان علينا إما أن تنقلها بالدور بعدد عرباتنا المحدود أو أن نحركها مترجلة ولم تتمكن المشاة الألمانية والإيطالية من الإنسحاب إلا بشجاعة مدرعاتى الفائقة التى غطت هذا الانسحاب لأن عدونا المحمل كان يطاردنا بأقصى سرعته. ويمكن إرجاع فشل جرازيانى أساسًا لأن الجزء الأكبر من الجيش الإيطالى كان مكتوف الأيدى وعديم الحيلة فى الصحراء المفتوحة لأنه كان مترجلاً، بينما كان فى مواجهته تشكيلات بريطانية أضعف بكثير ولكنها محملة بالكامل، ونتج عن هذا أن القوات المحملة الإيطالية قد اضطرت (بالرغم من عدم قدرتها على مواجهة العدو بنجاح لضعفها العددى أن تدخل معه فى معركة غير متكافئة، وبالفعل سحقت وهى تحاول الدفاع عن مشاتها المترجلة.

وقد كانت القوات البريطانية على النقيض من قواتنا تتمتع بخفة حركة كاملة لتحميلها الكامل وقد دارت كل معارك أفريقيا الحاسمة تقريبًا بين قوات خفيفة الحركة وخرجنا من هذه الحركة الميكانيكية البحتة بعدة مبادئ تختلف

جذريًا عن المبادئ التى يمكن تطبيقها فى مسارح العمليات الأخرى وستصبح هذه المبادئ أساسًا لحرب المستقبل التى ستسودها التشكيلات الميكانيكية[1].

(4) مبادئ استخدام التشكيلات الميكانيكية فى المستقبل:

إذا تم حصار عدو محمل بالكامل فى أرض منبسطة وصالحة لمرور جميع أنواع الحملات فى الصحراء سيؤدى للنتائج الآتية:

أ - إذا كان التشكيل محملاً بالكامل فالحصار سوف يصبح أسوأ موقف تكتيكى يمكن تخيله لأن النيران المعادية ستنصب عليه من جميع الجهات بل حتى الحصار من ثلاث جهات فقط يصبح موقفًا تكتيكيًا سيئًا للغاية.

ب - سيضطر العدو (بسبب الموقف التكتيكى السيء الذى وضعته فيه عملية الحصار) للتخلى عن المنطقة التى يحتلها.

وحصار العدو وتدميره فى الجيب الناشئ من ذلك يكون عادة غرضًا مباشرًا لأى عملية، وإنما فى أغلب الأحيان يكون غرضًا غير مباشر لأن أى قوة محملة بالكامل (أو ميكانيكية) وسيظل بناؤها التنظيمى سليمًا تستطيع فى العادة (فى أى أرض مناسبة) أن تخترق (حسب اختيارها السليم) أى حلقة حصار مقامة حولها بسرعة. فنظرًا للتحميل الكامل يستطيع قائد القوة التى تم حصارها أن يركز ثقله فجأة ضد أى نقطة منتخبة من حلقة الحصار ويخترقها وهذا الكلام تكرر مرارًا وأمكن تطبيقه فى الصحراء.

وينتج من هذا أنه عند محاصرة العدو يمكن تدميره إذا ما توفر الآتى:

(1) مذكرات روميل - نفس المرجع ص 350.

أ - عندما يكون غير محمل أو أصبح ثابتًا بسبب افتقاره للوقود أو عندما تشمل قواته عناصر غير محملة (يجب وضعها في الاعتبار وعدم التخلي عنها).

ب - عندما تكون قيادة العدو غير ماهرة أو عندما تقرر قيادته التضحية بتشكيل معين لإنقاذ قوات أخرى.

جـ - عندما تكون قوة العدو المقاتلة قد تحطمت بالفعل وسادت صفوفه الفوضى والتفكك.

وفيما عدا الشروط الواردة في البنود أ، ب السابقة والتي تكررت مرارًا في مسارح العمليات المختلفة في الحرب فحصار العدو وتدميره في الجيب الناشئ لا يجوز تنفيذه إلا بعد أن يتلقى العدو ضربات قاصمة في معارك متحركة بحيث يؤدي هذا لتدمير التنظيم الرئيسي لقواته وأنا سأسمي كل العمليات التي غرضها تحطيم قوة العدو وقدرته على المقاومة (بمعارك التعرية). وفي الحرب الميكانيكية فإن التعرية المادية للجيش المعادي وتدمير الهيكل التنظيمي له يجب أن يكون الهدف المباشر لكل الخطط.

ومن الناحية التكتيكية فإن معارك التعرية يخاض غمارها بأكبر قدرة ممكنة من خفة الحركة والعناصر الآتية يجب وضعها دوامًا نصب أعين كل من يقوم بالتخطيط لمثل هذه المعارك:

(5) معارك التعرية:

أ - يجب أن يتم تركيز المجهود لحشد قواتنا مكانًا وزمانًا، وفي نفس الوقت نحاول تقسيم قوات العدو مكانًا للقضاء عليها في أزمنة مختلفة.

ب - أن خطوط المواصلات على وجه الخصوص حاسمة للغاية لأن كل الوقود والذخيرة (وهى المستلزمات الضرورية لأى معركة) يجب أن تمر عبرها وعليه فيجب العمل على حماية خطوط مواصلاتنا مع إزعاج الحركة على خطوط مواصلات العدو والأحسن من هذا طبعًا قطعها لو أمكن، وأن أى عمليات فى منطقة إمداد العدو ستؤدى على الفور لانسحابه من المعركة فى مكان آخر لأن الإمداد هو العنصر الأساسى للمعركة ويجب إعطاؤه أكبر قدر ممكن من الحماية.

جـ - المدرعات هى نواة الجيش الميكانيكى. وكلها تدور فى فلكها والتشكيلات الأخرى ما هى إلا مجرد أسلحة معاونة. ولذلك فإن حرب التعرية ضد مدرعات العدو يجب خوض غمارها باستخدام وحدات تدمير الدبابات. أما دباباتنا فتستخدم فقط فى توجيه الضربة الحاسمة.

د - يجب أن تبلغ تقارير الاستطلاع للقائد فى أقصر وقت ممكن ليتخذ قراراته فوراً وليقوم بتنفيذها بأسرع ما يمكنه. وأن سرعة رد الفعل تحسم مصير المعركة. ولذا فعلى قادة القوات الميكانيكية أن يكونوا قريبين لأقصى درجة من قواتهم ويجب أن يكونوا على اتصال لاسلكى بها وثيق للغاية.

هـ - ومن العوامل الحاسمة سرعة الحركة والترابط التنظيمى للقوات وهذا يتطلب اهتمامًا شديدًا . وأى مظهر للتفكك يجب التعامل معه بأسرع ما يمكن بإعادة التنظيم.

و - إخفاء النية مهمًا للغاية بغـرض تحقيق المفاجأة لعملياتنا وبذا نضيع استغلال الوقت الـلازم لتتخذ إجراء مضاد لشيء لم يـكن نتوقعه. ويجب استخدام كل وسائل الخداع وتشجـيعها لجعل القائد المعادى مرتبكًا مترددًا ولا يتصرف بسرعة.

ز - بعد أن توجه للعدو ضربات قاصمة يستغل النجاح لاجتياح وتدمير أجزاء كبرى من تشكيلاته المفككة. وهنا مـرة أخرى نجد أن السرعة هى كل شيء. ويجب عدم إعطاء العدو أى فرصة زمنية لكى يعيد تنظيم قواته. ويجب إعـادة التجمع كالبـرق للمطاردة وإعادة تنظيم الشئون الإدارية للقوات المطاردة وهى عوامل حيوية للغاية.

(6) استخدام المدرعات والمدفعية والمشاة:

وفيـما يختص بالنواحى الفنيـة والتنظيميـة فى حرب الصحراء فـيجب الاهتمام على وجه الخصوص بالنواحى التالية[1]:

أ - أهم صفات الدبابة هى قدرتها على المناورة وسرعتها ومدفعها البعيد المدى لأن الجانب الحائز للمدفـع الأكبر كالملاكم ذى الذراع الأطول يستطيـع أن يسبق عدوه فى الضـربات، وثقل الدروع لا يمكن أن نستعيض بها عن قوة المدفع، ويضاف إلى هذا أن ثقل الدروع دائمًا لا يمكن الاستـغناء عنها لتحقـيق خفة الحركـة والسرعة وكليـهما متطلبات تكتيكية.

ب - يجب أن تكون المدفعية بعيدة المدى ويجب أن تكون قبل كل شيء خفيفة الحـركة وأن تكون قادرة على حمل كمية كبـيرة من الذخيرة معها.

(1) مذكرات روميل - نفس المرجع ص353.

جـ - يجب أن نستخـدم المشاة فقط فى احتلال المواقع الدفاعـية بغرض منع العدو من القيام بعمليات معـينة أو لإرغامه على عمليات معينة وبمجرد الوصول إلى هذا الغـرض يجب أن تكون المشاة قادرة على الهرب بسـرعة لاستـخدامها فى مـكان آخر. ولذا يجب أن تكون خفـيفة الحركـة وأن تكون مزودة بعتـاد يمكنها من احتـلال مواقع دفاعيـة بسرعة ومقامـة فى أرض مفتوحة عنـد النقط ذات الأهمية التكتيكية فى ميدان المعركة.

(7) القرارات الجريئة تؤدى إلى النصر:

ومن واقع خـبـرتى وجـدت أن القـرارات الجـريئـة تؤدى إلى أحـسن احتمالات النصر ولكن يجب على المرء أن يكون قادرًا على التميز بين الجرأة (التكتيكية أو الإستراتيجية) والمقامـرة العسكرية. والعملية الجريئة هى العملية التى لا يكون نجـاحهـا مؤكـدًا وإنما إذا فشلت تتـرك للقائد القـوات الكافـية لمواجهة أى موقف قد ينتج عن هذا الفشل. أمـا المقامرة فهى عملية قد تؤدى للنصـر أو للدمار الكامل للـقوات. وأحـيانًا تنجم مـواقف تبرر اللجـوء إلى المقامرة بالفعل كما يحدث عندما نتأكد أن الهزيمة ستتم حسب سير الأحداث الطبيعى وأن العملية عملية وقت، وينتج عن هذا أن كسب الوقت أصبح غير ذى موضوع وعليـه فلابد من اللجوء إلى عمـلية تنطوى على مخاطرة كـبيرة كحل أو للحد من الموقف الميئوس منه.

والفرصة الوحيدة التى يمكن للقائد أن يقرر مقدمًا سير المعركة معها هى عندما تكون قواته متفوقة لدرجة أن النصر يصبح مفروغًا منه، ومن ثم تصبح المسألة ليست مـسألة "الأسلوب" وإنما مسألة "الإمكانيـات" ولكن حتى هذا الموقف أظن أنه من الأفضل فـيه العمل على تحقيق الأغـراض الكبرى وليس

التحرك ببطء فى ميدان المعركة بطريقة حذرة مع تأمين كل حركة ضد أى عمل معادى.

(8) اختيار اللحظة المناسبة:

وفى العادة لا يوجد حل مثالى للعمليات العسكرية. فكل خطة لها مميزاتها وعيوبها. ويجب اختيار الخطة التى تعتبر أحسن الحلول الممكنة ثم اتباعها بكل تصميم مع قبول جميع النتائج التى تترتب عليها ولو كانت سيئة.

وقررت تحليل الخطة التى وضعتها مع أركان حربى فى ضوء كل هذه الاعتبارات التى ذكرتها مع النظر إليها على أنها أفضل حل ممكن تحت أحسن الظروف.

4 - الخطة الهجومية لمعركة الغزالة:

ولم يكن مصير جيشى متوقفًا بأى حال من الأحوال على نجاح هذه الخطة بالذات لأنى تابعت نظرياتى وقدرت باستمرار أنه قد لا تسير الأمور وفقًا لما يراه ولكن لو حدث هذا فإن الموقف فى بداية المعركة (بقدر ما أمكن تقديره) لم يكن سيئًا . ولذلك فقد انتظرنا بدء المعركة بكل تفاؤل ونحن واثقين من قواتنا وتدريبها التكتيكى الرائع وخبراتها فى الابتكار.

وكانت العملية الافتتاحية للهجوم هى هجوم بالمواجهة بواسطة فرق المشاة الإيطالية فى خط الغزالة ضد الفرقة 50 البريطانية والفرقة الأولى جنوب أفريقيًا وقد خصصنا قوة كبيرة من المدفعية لمساندة هذا الهجوم . وكان المقرر أن تتحرك المدرعات والعربات خلف الجبهة نهارًا وليلاً لتوهم العدد بأننا نحشد دباباتنا فى هذه المواجهة.

وكان المفروض أن يؤدى هذا إلى أن تتوقع القيادة البريطانية أن يوجه هجومنا الأساسى إلى شمال ووسط خط الغزالة. وكنا نأمل أن نتمكن من إغرائهم بتجميع مدرعاتهم خلف مواقع مشاتهم فى هذا القطاع. ولم تكن فكرة قيام هجوم ألمانى بالمواجهة على مواقع الغزالة ستبدو خيالية للقيادة البريطانية لأنه كان من المعقول أن نفضل هذا الإجراء على حركة الالتفاف البعيدة المدى جنوب بير حكيم. ولو فشلنا فى إغراء البريطانيين بحشد دباباتهم كلها فى هذا القطاع فإننا كنا نأمل فى إرسال ولو جزء من هذه المدرعات إلى هذه المنطقة وبذلك نقسم قوتهم الضاربة. وقد كتب أوكنلك خطابًا لريتشى فى 20 مايو (قبل بدء المعركة بحوالى أسبوع) ضمنه أنه ظن أن رومل سيحاول إجراء عملية اختراق فى منتصف الخط ولكنه وضع فى تقديره أيضًا الاحتمالين الآخرين . ويضاف إلى هذا أن الخطاب حث ريتشى على الاحتفاظ بالفرقتين المدرعتين سويًا بكامل قوتهما مع وضعه على مدق كابتزو لتكون مستعدة للقيام بهجوم مركز مضاد من الجنب ضد مدرعات رومل عندما يظهر اتجاه هجومها، ولكن ريتشى وضع الفرقة الأولى المدرعة جنوبى مدق كابتزو مباشرة ووضع الفرقة السابعة المدرعة (وهى أضعف الاثنين) إلى الجنوب منها بعشرة أميال فى الجانب الصحراوى المعرض الذى جاءت ضربة رومل منه بالفعل وهذا التوزيع للمدرعات أدى لنتيجة سيئة ففى صباح اليوم الأول (27 مايو) أجتيحت الفرقة السابعة المدرعة وعزلت عن زميلتها وحطمت وقد أرسل أحد اللواءين المدرعين التابعين للفرقة الأولى المدرعة فى وقت متأخر لتدعيم الفرقة السابعة ولكنه اشتبك هو الآخر فى معركة مستقلة وتكبد خسائر فادحة.

وأثناء النهار توجه جميع تحركات قواتى الميكانيكية اتجاه الهجوم الإيطالى وبعد حلـول الليل يتم تحريكهـا إلى مناطق تجمعـها الفـعلية. وكـانت القوة الضاربة تتكون من فيلق أفريقـيا (الفرقتين 15، 21 بانزر)، والفيلق العشرين المحمل الإيطالى (فرق تريستا وآريتى) والفرقة 90 الخفيفة مع تدعـيمها بثلاث آليات استطلاع، وقد حددت سعت (2200) لبدء التحرك للالتـفاف حول بير حكيم ومن بير حكيم يتـقدم فيلق أفريقـيا والفيلق 20 المحمل الإيطالى عـبر عكرمة للوصول إلى الساحل لعزل وتدمـير الفرق البريطانية الموجودة فى خط الغزالة والوحدات المدرعة الموجودة خلفها.

أما واجب الفرقة 90 الخفيفة والثلاث آليـات استطلاع التقدم إلى المنطقة الممتدة من العـضم إلى بلحامد لمنع انسحـاب حامية طبـرق وتحرك أى نجدات إلى منطقة عكرمة ويضـاف إلى هذا أنها كلفت بعزل البريطانيـين عن مخازن إمدادهم الضخمة التى أنشأوها فى المنطقة الواقعة شرقى طبرق؛ ولكى تتمكن الفرقة 90 الخفـيفة من الإيحـاء بوجود حشـود من المدرعات فى المنطقة فـقد أعطيت مثيرات للغـبار (وهى عبارة عن عربات تحمل محـركات طائرات تثير سحبًا كثيفة للغبـار مما يوحى باقتراب قوات مدرعة كبيرة). وكنا نأمل فى منع القوات البريطانية الموجودة فى هذه المنطقـة من التدخل فى معركة عكرمة طالما كانت قواتنا المدرعة تحاول حسم الأمر هناك.

وقررت (بعـد تدمير القوات البـريطانية الموجودة فى الجـزء الشرقى من برقة) الاستـيلاء على طبرق بسـرعة، ولكن الدوتشى قيد طريقـتى فى العمل بالمنطقة التى تحدها الحدود المصرية الغربية.

وكان المفروض قبل بدء الهجوم أن تقوم قوات المظلات الألمانية والإيطالية بالاستيلاء على مالطة ومعها قوات محملة جواً ولكن لسبب لا أعلمه تخلت القيادة العليا عن هذه العملية ولذلك رفض طلبي في الربيع السابق لقيام قواتي بهذه العملية.

بعد أن وضعت الخطة بالفعل لهذه العملية وكان اسمها الكودى "عملية هرقل" سافر موسيلينى فى نهاية أبريل إلى ختسجادن لحضور مؤتمر مع هتلر. وهناك اتفقا أن الهجوم على مالطة سيتم فى أوائل يولية بعد هجوم رومل فى أفريقيا والذى كان سيتوقف عندئذ لكى تتحول القوة الجوية الألمانية للعمل بتركيز ضد مالطة. ولكن بعد هذا الاتفاق بوقت قصير تجددت مخاوف هتلر وأبدى اعتراضاته عليها فى مناقشاته مع هيئة أركان حربه وهى أن الإيطاليين لا يمكن ائتمانهم على أى سر حربى علاوة على أنهم يفتقرون للروح المقاتلة اللازمة لمثل هذه العملية الصعبة وأنهم لم يحافظوا على توقيتات وصولهم لمساندة قوات المظلات الألمانية وأن بحريتهم لا تستطيع مواجهة الأسطول البريطانى وهذا يؤدى إلى ترك القوات الألمانية منعزلة بدون أى إمداد.

وعليه ففى 21 مايو قرر الاستمرار فى الاستعدادات على الورق فقط والتخلى عن العملية نهائياً (حتى ولو نجح رومل فى الاستيلاء على طبرق). لأنه استند في قراره هذا إلي أن سفن الإمداد يمكن إرسالها إلى طبرق عن طريق كريت مع التفافها حول مالطة. وبالرغم من أن هذا الكلام ثبت خطأه إلا أن شكوكه فى البحرية الإيطالية ثبت صحتها بالحذر الشديد الذى أظهرته الأخيرة فى الشهور التالية.

واضطررنا أخيرًا (للزيادة المضطردة فى قوة الجيش البريطانى) أن أحدد يوم الهجوم فى 26 مايو 1942م.

5 - الصراع للحصول على المبادأة: (26 مايو إلى 15 يونية 1942)

اتخذت معركة التعرية خلال الأسابيع الثلاثة الأولى مظهرًا عنيفًا للغاية وقد بدأت بداية سيئة بالنسبة لنا ولكننا نجحنا فى القتال المائع الذى تلا هذا بتحطيم التشكيلات البريطانية الواحد تلو الآخر وذلك باتباع أسلوب الهجوم على أغراض محدودة وأحيانًا باللجوء للدفاع، ومع هذا فقد أظهر البريطانيون شجاعة فائقة فى قتالهم.

ونظرًا لتفوق البريطانيين العددى فقد جاء النصر الذى حصلت عليه قواتى الألمانية الإيطالية مفاجأة مذهلة للرأى العالمى كله كما أن كل تصرفات ريتشى تعرضت لانتقادات قاسية. ولكن هل كانت هزيمة البريطانيين بالفعل سببها أخطاء قائدهم؟.

وقد حدث بعد المعركة أن عثرت على مقال كتبه الناقد العسكرى البريطانى ليدل هارت وعلل فيه أخطاء القيادة البريطانية أثناء حملة أفريقيا إلى الارتباط الوثيق الذى يربط الجنرالات البريطانيين بحرب المشاة. وكونت عندى بالفعل نفس الفكرة فالقيادة البريطانية لم تصل للدروس المستفادة من هزيمتهم فى أعوام 1941-1942م.

والشعور المعادى لأى شيء مستحدث، هو وضع طبيعى بالنسبة لضباط أى جيش نما نموًا على أساليب تقليدية ثابتة. وقد كان هذا هو وضع الجيش البروسى الذى هزمه نابليون. وهذا الموقف كان واضحًا أيضًا فى الدوائر

العسكرية الألمانية والإنجليزية العتيقة التى فقدت فيها القادة إمكان الوصول للواقع نظرًا لتشبثهم الفكرى بالنظريات المعقدة. فقد صار تجهيز عقيدة تكتيكية بكل تفاصيلها وقد أصبحت قمة الحكمة العسكرية والتفكير الوحيد المقبول لدى هؤلاء هو ذلك التفكير المبنى على الأسس التقليدية وكل شىء خارج عن هذه القواعد يعتبر مغامرة ولو حتى أدت للنجاح فإنها ستعتبر نتيجة الحظ أو المصادفة. وهذا الجمود الفكرى يخلق أفكارًا ثابتة لا تتغير، وعواقب مثل هذا الأسلوب فى الحرب تكون وخيمة.

وحتى قواعد الحرب نفسها تتعرض للتقدم الفنى وتتأثر به. وما كان يسرى منها فى 1914 لا يسرى فى يومنا هذا إلا عندما تكون أغلب التشكيلات المشتركة من الجانبين أو من الجانب المدافع على الأقل من وحدات مشاة غير محملة. وعندما يكون الحال هكذا فإن المدرعات تحل محل الخيالة فى واجباتهم بفرض سبق المشاة ثم عزلها ولكن هذا الكلام لا ينطبق على الإطلاق فى معركة يكون طرفاها ميكانيكيين وكاملى التحميل (وقد شرحت هذا من قبل).

ومهما كانت المحافظة على التقاليد مطلوبة فى مجال السلوك العسكرى فإنه يجب مقاومتها فى مجال القيادة العسكرية (فى ميدان المعركة بالطبع) فاليوم ليس واجب القيادة أن يبتكروا أساليب جديدة تقضى على القديم فحسب بل عليهم أن يدركوا تمامًا أن مجالات الحرب تتغير باستمرار التقدم الفنى. ولهذا يجب على قائد الجيش الحديث أن يحرر نفسه من الأساليب الروتينية وأن يظهر تفهمه للأمور الفنية لأنه يجب أن يكون قادرًا على الدوام،

التمييز بين أفكاره عن الحرب والأمر الواقع والاحتمالات الممكنة فى اللحظة التى يفكر فيها ولو أن الظروف تطلبت أن يقوم القائد بقلب أفكاره رأسا على عقب لوجب عليه أن يكون قادرًا على هذا.

وأنا أظن أن خصمى الجنرال ريتشى (مثله فى ذلك أغلب جنرالات المدرسة القديمة) لم يكن قد أدرك تمامًا النتائج المترتبة على تحميل القوات بالكامل واستخدام التشكيلات الميكانيكية وطبيعة الأرض المفتوحة فى الصحراء. وبالرغم من التحضير التفصيلى الجيد لخططه فإنها كانت غير صحيحة لأنها لم تكن سوى حلاً وسطًا فى أساسها[1].

وهذا ولا شك شيء جديد من الناحية العسكرية. ذلك لأن هجومنا فى بولندا وفى الغرب، كان ضد أعداء اعتمدوا دائمًا فى عملياتهم العسكرية على فرق المشاة غير الآلية، كما أن حريتهم فى حسم الأمور كانت محدودة جدًا، ولا سيما فيما يتصل بالانسحاب. ولقد كان أعداؤنا فى بولندا وفى الغرب، يضطرون فى كثير من الأحيان - لاهتمامهم بقوات المشاة غير الآلية- إلى اتخاذ خطوات لا تجدى إطلاقًا فى إعاقة تقدمنا. فبعد أن اقتحمنا فرنسا، كانت فرق مشاة العدو واقفة تحت رحمتنا، نلاحقها ونطاردها ونطوقها بقواتنا الآلية. وفى أثناء ذلك كان احتياطى العدو مكرهًا على أن يلقى بنفسه إلى الهلاك بأيدى قواتنا المهاجمة، محاولاً بذلك أن يكسب الوقت، لتتمكن قوات المشاة من الانسحاب، قبل أن يتم تطويقها وإبادتها. وطبيعى أن العدو كان يلجأ إلى ذلك حين يكون فى مراكز غير ملائمة له من الناحية التكتيكية.

(1) مذكرات روميل - نفس المرجع ص 359.

إن فرق المشاة غير الآلية لا تبدو قيمتها ضد قوات العدو الآلية أو المدرعة، إلا إذا كانت فى مراكز قد أعدت من قبل. فإذا حدث أن اخترقت هذه المراكز، أو طوقت وأكره الجنود على الانسحاب، فإنهم يكونون فرائس سائغة لقوات العدو الآلية وفى الحالات البالغة الدقة والحرج لا يستطيعون إلا أن يتشبثوا بمراكزهم حتى آخر جولة، لأن الانسحاب يحدث ارتباكًا هائلا، نظرًا إلى ضرورة استخدام التشكيلات الآلية لكسب الوقت، ولحماية مؤخرة الانسحاب!

لقد عانيت أنا نفسى هذه المحنة خلال تقهقر قوات المحور من برقة فى شتاء كل من سنتى 1941-1942 وذلك لأن كل الجيش الإيطالى فى الصحراء، وجانبًا كبيراً من الألمان المشاة، ومنهم الغالبية العظمى من الجنود الذين ستتألف منهم الفرقة التسعون الخفيفة، لم تكن لديهم وسائل للنقل والحركة، فى حين كان لابد من نقل جانب من قواتنا على ناقلات تروح وتجيء هنا وهناك بينما كان على جانب آخر من قواتنا أن ينسحب أفرادها ماشيين!

على أنه أمكن، بفضل بساطة تشيكلاتنا المدرعة، تغطية انسحاب قواتنا أمام القوات البريطانية الآلية التى كانت تلاحقنا بعنف!

ويمكن أن يعزى فشل غرازيانى، أولاً وقبل كل شيء إلى أن الجيش الإيطالى، أو الجانب الأعظم منه، لم يكن مسلحًا بقوات آلية. فكان ضعيف الحيلة أمام القوات البريطانية الآلية كلها وإن كانت هذه ضعيفة هى الأخرى. فكان على الجيش الإيطالى، على الرغم من وهنه وعجزه عن مواجهة البريطانيين وفقده الأمل فى إحراز أى نصر، أن يرضخ للمعركة وأن يتحطم من أجل حماية قواته من المشاة.

ولقد أدت هذه العمليات الآلية الصرفة فى حرب صحراء ليبيا، وفى الأراضى المصرية، إلى ظهور قوانين جديدة مختلفة تمام الاختلاف عن تلك القوات العسكرية، والقواعد التكتيكية التى تستخدم فى ميادين القتال الأخرى. وهذه القواعد أو القوانين الجديدة، ستكون أساسًا لكل حرب مقبلة. فالحرب فى المستقبل لن تقوم إلا على أساس واحد، هو التشكيلات الآلية.

إن تطويق عدو مزود بآليات تزويدًا تامًا، وفى منطقة صحراوية صالحة لحركة وسائل النقل الآلية، من شأنه أن يفضى إلى النتائج التالية[1]:

(أ) أن العدو سيكون فى أرحب وضع تكتيكى يتصوره العقل، إذا ما وجهت النيران ضده من جميع الجهات. وحتى عندما يكون العدو معرضًا للنيران من ثلاث جهات، فإن موضعه سيكون غير حصين من وجهة تكتيكية.

(ب) عندما يتم تطويق العدو يجد هذا نفسه - من وجهة تكتيكية - مجبرًا على إخلاء المنطقة التى يحتلها.

إن تطويق العدو، والمباشرة بتحطيمه تدريجيًا، عن طريق عزله إلى جيوب، لايمكن أن يعد الهدف الأول لأية حركة عسكرية، وإنما يعتبر - على العادة هدفًا غير مباشر. ذلك لأن القوة التى لم يمس كيانها التنظيمى بأذى، والمزودة بالآليات الوافية، إن مثل هذه القوة سيكون فى مقدورها فك الحصار

(1) اللواء إدموندز يونغ- المرجع السابق ص 291.

فى أى وقت كان، وذلك عن طريق تكوين حلقة دفاعية معززة، ويتم هذا بسهولة إذا كان ميدان المعركة ملائمًا لها.

وبفضل الاستعانة بالآليات سيكون قائد القوة المحاصرة فى وضع يستطيع معه أن يركز جهده الرئيسى ضد نقطة معينة، ليشق طريق نجاته منها. وقد طبقت هذه القاعدة فى حرب الصحراء الغربية عدة مرات.

ومن ثم فإن القوات المطوقة لا يمكن تحطيمها إلا عن طريق القيام بهذه العمليات الثلاث:

(أ) عندما تكون القوة المحاصرة غير مزودة بالآليات، أو إذا تعطلت تلك الآليات من الحركة بسبب نقص البترول، أو عندما تضم تلك القوة عناصر غير متحركة لا تستطيع الاستغناء عنها.

يشرح ويعلق اللواء إدموندز عن إستراتيجية وفن القيادة والحرب لدى رومل حيث كتب يقول:

يستهل الفيلد مارشال أرفين رومل يومياته بقوله: "ربما كان ميدان شمال أفريقيا، أول ميدان شهد الحرب الحديثة، من حيث الأسلحة وأساليب القتال. فقد كنا فى الصحراء الغربية نواجه تشكيلات آلية كاملة. وكانت هذه الصحراء المترامية الأطراف، الخالية من العقبات الطبيعية تفتح أمامنا أبوابًا لا حصر لها فى الهجوم والدفاع والحركة.

ففى الصحراء وحدها يمكن تطبيق قواعد الحرب الآلية، وحرب الدبابات تطبيقًا تامًا، سواء فى ذلك القواعد التى تعلمناها قبل عام 1939، أم القواعد التى جدت، أو التى يمكن اتخاذها. ذلك لأن ميدان الصحراء الغربية كان فى الوقت نفسه حقلاً للتجارب. فهناك فى الصحراء وحدها وقت بحق

معارك الدبابات، والتشكيلات الكبيرة المدرعة. وحتى فى الحالات التى كان النضال فيها بالغ القسوة، وحتى فى الحالات التى بدت الحرب خلالها جامدة ساكنة، كما رأينا ذلك من أهم مراحلها إبان الهجوم الذى شنه كننغهام وريتشى فيما بين سنتى 1941 و 1942، وفى صيف سنة 1942 حتى الاستيلاء على طبرق، حتى ذلك الوقت ظلت الحرب هناك تعتمد أولاً وقبل كل شىء على سرعة الحركة!

(ب) عندما تكون قيادة تلك القوات رديئة، أو عندما تتكبد خسائر فى سبيل إنقاذ تشكيلات أخرى.

(ج) عندما تكون قوتها الحربية قد تحطمت سلفًا، وأصبحت علائم الخور بادية عليها بوضوح.

فباستثناء الحالتين أ و ب اللتين تحدثان على الدوام فى ميادين أخرى من ميادين الحرب لا يمكن أن يشرع فى تطويق العدو وتحطيمه فيما بعد على شكل جيوب، إلا إذا أرهق حرب مكشوفة تجعله يفقد صفة التماسك المنظم بين وحداته.

فالمعارك التى تهدف إلى تخطى مقاومة العدو، ينبغى أن ينظر إليها على أنها معارك إبادة ليس إلا. أما المعارك التى تشترك فيها الوحدات الآلية، فإن الهدف المباشر من الخطة التى يضعها القائد، يجب أن يكون إبادة الجيش المقاوم عن طريق ضرب التماسك بين وحداته وتمزيقها.

وتتطلب معارك الإبادة، من الوجهة التكتيكية، أن يكون القتال على أوسع مدى ممكن من قابلية الحركة وسرعة التنقل والتغيير.

وتتطلب النقاط التالية اهتمامًا خاصًا وهى:

(أ) يجب أن يسعى القائد جهده إلى تركيز قواته آخذا بنظر الاعتبار الوقت والمكان المناسبين، على أن يبحث فى الوقت ذاته عن الفرصة الملائمة التى يستطيع خلالها مفاجأة القوات المعادية بالهجوم وتدميرها فى أوقات مختلفة.

(ب) تكون طرق إمداداته بصفة خاصة معرضة للهجوم، حيث يجب أن تمر عبرها الذخائر والوقود وكل المتطلبات الضرورية للمعركة. ولذلك ينبغى الاهتمام بحماية هذه الطرق بمختلف الوسائل الممكنة، والعمل فى الوقت نفسه على تحطيم خطوط مواصلات العدو، وقطع الإمدادات عنه. فالعمليات الحربية التى تقع فى منطقة تموين القوى المضادة، ستؤدى إلى تحطيم العدو وخسران المعركة حالاً. وكما رأينا من قبل، فإن الإمدادات هى القاعدة الأساسية للمعركة، ولهذا ينبغى أن تكون حمايتها وصيانتها مقدمة على كل شىء آخر.

(ج) إن قوى الدبابات هى العمود الفقرى للجيش الآلى. فكل شىء يعتمد على الدبابات. أما التشكيلات الأخرى فهى مجرد قوات ثانوية، وعلى هذا يجب أن ننجز حرب الإبادة ضد وحدات الدبابات المعادية فى أسرع وقت ممكن، وعن طريق وحدات دبابات مهاجمة. كما ينبغى أن يستعمل دباباته حتى آخر هجوم مستطاع.

(د) يجب أن تصل نتائج الاستطلاع إلى القائد فى أسرع وقت مستطاع، وأن على القائد بعد هذا أن يتخذ القرارات المباشرة، ويعمل على تنفيذها بالسرعة الممكنة. ذلك لأن سرعة حسم القيادة للأمور هى التى تقرر مصير المعركة. وعلى هذا فمن الضرورى

لقادة القوات الآلية، أن يكونوا قريبين من قواتهم قدر الإمكان، وأن تكون طرق الاتصال مع تلك القوات سالمة مضمونة.

(هـ) إن سرعة الحركة، وتحقيق التماسك بين وحدات القوى المحاربة، هي العوامل الحاسمة في كل معركة، وهي لذلك تتطلب الاهتمام الزائد. فكل إشارة تدل على وجود الارتباك في صفوف القوات المحاربة، يجب تلافيها بأقصى سرعة مستطاعة، عن طريق إعادة تنظيم تلك القوات، وتحقيق التماسك بين وحداتها.

(و) إن إخفاء القائد نواياه ومقاصده له أهميته العظمى، لأنه بذلك يستطيع إعداد الأحوال الملائمة للمباغتة التي من شأنها أن تعينه على الاستفادة من الوقت الذي يحتاجه القائد المعادي في معاودة هجومه. ويجب أن تشجع وسائل المخادعة والتضليل على اختلاف أنواعها، لكي تجعل القائد المعادي غير متيقن من وقت الهجوم ومكانه، وبذلك يضطر إلى أن يتحرك بتردد واحتراس.

(ز) وإلى أن يكون العدو قد ضرب واضطربت صفوفه، فإن على القائد المهاجم أن يحاول الاستفادة من هذا الظفر الذي ناله، وذلك بأن يكر على العدو مجدداً، ويدمر أكبر جزء ممكن من قواه المبعثرة، وهنا أيضًا تكون السرعة كل شيء في الموضوع. فيجب أن لا تعطى للعدو أية فرصة لإعادة تنظيم صفوفه، وكما أن تعقيب العدو يتوقف على سرعة إعادة تجميع القوات المطاردة له، فإن السرعة في إعادة تنظيم وسائل الإمدادات والتموين، من الأمور الجوهرية للقوات المهاجمة.

أما بالنسبة لميادين التكتيك والتنظيم فإن النقاط التالية يجب أن يعنى بها عناية خاصة فى معارك الصحراء:

(أ) يجب أن تكون وحدة الدبابات ذات قابلية كبيرة للمناورة قبل كل شيء، وأن يتزود القائد إلى جانب هذا بمدافع سريعة الإطلاق ومن ذوات المرمى البعيد، ذلك لأن الفريق الذى يملك مدافع قوية، يكون سلاحه أكثر استدامة، ويستطيع أن يفاجئ العدو قبل أن يفاجأه ذاك.

إن المدرعات مع أهميتها، لا تكفى لأن تعوض عن قوة المدفعية، مادام ذلك التعويض سيكون على حساب قابلية المناورة والسرعة، وكلتيهما من المتطلبات التكتيكية التى لا غنى عنها.

(ب) ويجب أن تكون المدفعية هى الأخرى من النوع الممتاز، وذات قابلية كبيرة للحركة، فضلاً عن ضرورة تهيئة كميات وفيرة من العتاد اللازم لها.

(ج) أما المشاة فيمكن استخدامهم فحسب، فى احتلال وضبط المراكز التى أعدت للحيلولة دون قيام العدو بمعارك خاصة، أو لإرغامه على دخول مثل تلك المعارك. وعندما يتم تحقيق هذا الغرض، فيجب أن يكون فى استطاعة قوات المشاة أن تتحرك بسرعة، فتثير تلك المعارك أينما شاءت، ومن ثم فإن على تلك القوات أن تكون متنقلة ومزودة بالتجهيزات التى تعينها على أخذ مواضع دفاعية بأقصى سرعة ممكنة، وفى النقاط التى لها أهميتها التكتيكية من ميادين المعركة.

لقد دلتنى تجاربى العسكرية على أن اتخاذ القرارات بصورة سريعة حاسمة، أو حسم الأمور حسمًا جريئًا، وبين المقامرة الحربية. صحيح أن العملية الجريئة ليس أمامها أكثر من فرصة واحدة للنجاح. ولكنها إذا لم يواتها التوفيق، تترك القائد ولديه قوات كافية تمكنه من معالجة أى موقف. أما المقامرة الحربية فهى عملية قد تكلل النجاح، أو قد تقضى إلى الهزيمة وتحطيم كل ما لدى القائد من قوات!.

"إن الوقت الوحيد الذى يستطيع فيه القائد أن يحسب سلفًا حساب سير المعركة، هو الوقت الذى يكون فيه متفوقًا على العدو. ففى هذه الحالة يتضح له طريق النصر على عدوه منذ البداية. وعلى ذلك لا تكون المشكلة بماذا يحارب؟. بل تكون هى: "كيف يحارب؟". على أنى - حتى فى مثل هذا الموقف - أرى أن من الأفضل أن يقوم القائد بعمليات عسكرية على أوسع نطاق، بدلاً من أن يتخبط قلقًا فى الميدان، كما يجب عليه أن يتخذ الحيطة الممكنة لكل ما يخطر بباله، من عمليات العدو الممكنة والمستحينة معًا.

وليس من شك فى أن لكل أسلوب من الأساليب العسكرية الفنية عيوبه، كما أن له مزاياه، والقائد الحق هو الذى يختار الأحسن من مختلف وجهات النظر، ثم يمضى بعد ذلك فى تنفيذ ما اختاره متقبلاً النتيجة كيفما كانت. أما أنصاف الحلول فهى أسوأ من الفشل!.

ويعود روميل فيدون تجاربه التى تبلورت فى عبارات واضحة قوية فيقول: "إن من أول الدروس، التى استخلصتها من تجاربى فى الحرب الآلية، هى أن السرعة فى العمليات، والسرعة فى حسم القيادة العليا للأمور، من العوامل الحاسمة فى القتال. فالجنود يجب أن يمكنوا من العمل بأقصى سرعة، وفى تناسق تام. والإنسان يجب ألا يقتنع بالمستوى العادى لأى شىء،

وإنما يجب أن ينشد المثل الأعلى. وذلك لأن الجانب الذى يبذل أعظم الجهد، هو الأسرع عادة والنصر للأسرع، ويجب على الضباط جميعًا أن يدربوا جنودهم، وأن يثبتوا فى أذهانهم هذه الفكرة".

وقد تحدث رومل فى يومياته عن مهام القائد كما ينبغى أن تكون، وكما طبقها على نفسه، فقال: "إن واجب القائد الأعلى ليس مقصورًا على العناية الدقيقة بكل ما تعرضه عليه هيئة أركان حربه، فإن من واجبه كذلك أن يعنى بكل كبيرة وصغيرة من شئون المعركة، وأن يجعل الخطوط الأمامية نصب عينيه دائمًا، وذلك للأسباب الآتية[1]:

(أ) أن التنفيذ الدقيق لخطط القائد الأعلى وهيئة أركان حربه، هو الشرط الأول لنجاح هذه الخطط. ومن هنا فلم يكن بد من أن يوليه القائد الأعلى أعظم جانب من عنايته، كما أن من الخطأ الركون إلى أن كل قائد من القواد المحليين سينفذ ما يراد منه تنفيذه حسبما تتطلبه الحالة، ذلك لأن بين هؤلاء القادة من قد يؤثر الراحة والدعة فى بعض الأحيان، على مواجهة المخاطر الكبرى، والدقة فى تنفيذ الخطط المرسومة، مما يسهل عليهم انتحال الأعذار والأسباب فى أى وقت يشاؤون، ولذلك فإن على القائد الأعلى أن يكون على اتصال شخصى دائم بهؤلاء القواد، ليجعلهم يشعرون بسلطته ويعملون على تنفيذ أوامره على الوجه الأكمل. فالقائد الأعلى ينبغى أن يكون المحرك الذى يدير آلة المعركة، ويوجهها من أقرب سبيل وأصلحه، إلى الهدف المنشود.

(1) اللواء إدموندز يونغ - نفس المرجع ص295.

(ب) ويجب على القائد الأعلى أن يسعى باستمرار لأن يجعل قواته ملمة بأحدث الخطط التكتيكية والتجارب الحربية، وأن يتأكد من سلامة تطبيقها لتلك الخطط والتجارب. فينبغى عليه أن يتحقق بأن مرؤوسيه قد دربوا وفق آخر التطورات المستحدثة، ذلك لأن أحسن "رخاء" للقوات المحاربة هو التدريب الفائق الذى ينقذ الجيش من إصابات لا مبرر لها البتة.

(ج) وينبغى على القائد الأعلى أيضًا- وهذا لا يفصله شيء آخر فى الأهمية والفائدة- أن يلم بأحوال الجبهة، وما يجرى فيها إلماما تامًا، وأن يطلع على ما يجد من المشاكل والعقبات أمام مرؤوسيه. فهو بهذه الطريقة وحدها يستطيع أن يحتفظ بجدة آرائه، ومطابقتها مع التطورات العسكرية الحديثة، وتطبيقها بالنسبة لظروف كل مناسبة من المناسبات. أما إذا كان من ناحية ثانية، قد سلك فى المعركة سلوك لاعب الشطرنج، فإن نظراته ستظل جامدة حتمًا.

إن أحسن النتائج يستطيع القائد استخلاصها، إذا هو جعل آراءه تتطور بحرية وفق الظرف المحيطة به، وإذا استطاع تفادى الوقوع فى غمرة الأمثلة الجامدة.

(د) يجب أن يكون القائد الأعلى على اتصال قوى بجنوده، فيجب أن يفكر فى شؤونهم ويشعر بشعورهم، كيما يكون للجند ثقتهم فيه. وفى مثل هذا الاتصال توجد قاعدة رئيسية ينبغى أن تتذكرها دائمًا، وهى: يجب أن لا يتظاهر القائد أمام الجنود بالشعور الذى لا يحس به فى الواقع. ذلك لأن الجندى العادى قد أصبح من الوعى أنه يستطيع أن يفرق حقائق الأمور وغيرها، عن الادعاءات والتضليلات.

ولقد عرف روميل المخاطر التى تعرضت لها قوات المحور، من جراء تعاظم قوة السلاح الجوى البريطانى، فكتب بعد معركة علم الخلفاء يقول:

"سيثير العدو معركة الإبادة من الجو. وستكون قنابله ذات أثر فعال قوى فى قواتنا الآلية التى تقف مجردة من أية وقاية فى الصحراء. وستصبح سياراتنا ودباباتنا ومدافعنا، خير هدف للمقنبلات المعادية، وطائراته التى تطير على ارتفاع واطئ، سواء كانت قواتنا فى ميدان المعركة، أو فى طريقها إليه، أو مشتبكة بالهجوم. وبمضى الوقت سيصبح العدو قادراً على إرباك قواتنا، وشلها عن الحركة، دون أن يتكبد هو أية خسائر تستحق الذكر. فمن وجهة نظر القيادة سيحصل العدو على الفوائد التالية:

(أ) تأمين حصوله على تقارير استكشاف جوى كاملة.

(ب) ستكون له القدرة على العمل بحرية وعزم، مادام سلاحه الجوى سيصبح قادراً على إحباط أى هجوم مضاد وذلك بعرقلة محاولاتنا فى الهجوم، وضرب مراكز احتشاداتنا أو إعاقة حركاتنا، ريثما يتم له اتخاذ التدابير المقابلة لذلك.

(ج) إن كل بطء يحدثه العدو فى حركاتنا، سيؤدى إلى سرعة حركاته هو، الأمر الذى يعد من أهم عوامل النجاح فى الصحراء، حيث يصبح من السهل توقع مثل هذا التطور فى الموقف.

يضاف إلى ذلك، أن العدو يسيطر على الجو، يكون فى مركز يسمح له بأن يكبد عدوه خسائر هائلة فى أرتال إمداداته، فلا يمضى وقت طويل حتى تشل حركة هذه الأرتال، نتيجة لنقص الإمدادات، بسبب توقف نقلها إلا فى ساعات محدودة تحت جنح الظلام خشية الرقابة الجوية المعادية المضروبة على كل الطرقات. وفى ذلك ما فيه من جعل الوقت فى صالح العدو.

ثم يقول روملِ: "إن أى جيش، مهما تكن قـوة أسلحته وكثرة عدده، إذا قدر له أن يقاتل عـدوًا له مثل هذا التفوق التام فى الجـو. فإن مثله يكون كمثل عـصابة من الرجال البدائيين، تحارب جنودًا أوروبيـين مزودين بأحدث المعدات!"

فنحن نحـاول هنا (فى الهـجوم على العلمـين) أن نجـعل دفاعنا ضـد الهجـوم البريطانى المتـوقع بشكل نستطيع معـه أن نضعف من تأثيـر السلاح الجوى البريطانى جهد الإمكان. ذلك لأن الخطر الحقيقى الوحيد الذى يتهددنا هو خطر السلاح الجوى البـريطانى. وكنتيجة لذلك ليس باسـتطاعتنا أن نلقى العبء الرئيسى فى الدفاع على تشكيلاتنا الآليـة، ما دامت هذه التشكيلات - كمـا شاهدنا فعلاً- مـعرضة لهجـوم فى الجو. فبـدلاً من هذا علينا أن نقاوم العدو فى مواقع ثابتة مـعدة للدفاع، ضد أحدث ما عرفـته الحرب من وسائل الفتك والتدميـر. وأن علينا مع ذلك أن نقر بالحقيقـة الواقعة، وهى أن العدو سيصـبح فى المستقبل قادرًا على إعـاقة حركاتنا، عن طريق الهجـمات الجوية التى يشنها علينا ليلاً ونهارًا، وبمعونة رجال المظلات. وقد علمتنا التجارب أن المرء لا يمكن أن يتـوقع المكوث فى سيـارته، أو ينطلق بهـا عندما تهـاجمـه المقنبلات المعـادية، وأن من العبث أن يحاول ذلك فى أى وقت كان. فـيجب أن تكون مواقعنا من القـوة أنها تستطيع الصمود بحاميـاتها المحلية على شكل مستقل ولمدة طويلة، دون انتـظار أية مساعدة من الاحتياطى المعـد للمعركة، إلى أن يتم وصول النجدات إليـها، بالرغم من التأخير الذى سـيحدث سلاح الجو البريطانى فى إيصال تلك النجدات.

إن تفوق البريطانيين فى الجو، قد بدد كـل قواعد العمليات والتكتيكات التى درجنا عليها من قبل، والتى كنا نستخـدمها حتى ذلك الحين بنجاح. إذ

أن مثل هذه القواعد لم يعد فى الإمكان تطبيقها. فبدون سلاح جوى قوى تحت تصرفنا، لا نستطيع إيجاد أى حل لمشكلة مجابهة تفوق العدو الجوى، ذلك لأن السلاح الجوى البريطانى الأمريكى، سيكون هو العامل الحاسم فى المعارك المقبلة[1].

اجتياح رومل لموضع الغزالة:

أشغل الجيش 8 البريطانى موضع الغزالة الذى تبلغ سعته 60 كيلو مترًا بألوية متساندة وبعمق جيد ثم عزز الموضع بنصب حقول ألغام كثيفة امتدت من الغزالة إلى بير حكيم وقد أتاحت الفترة المحصورة بين 7 فبراير و27 مارس 1942 للطرفين فرصة إعادة تنظيم قواتهما لكن تركيز الضغط الألمانى على مالطة جعل الموقف الإدارى لقوات المحورأفضل بكثير من موقف الإنجليز وقد استثمر الفريق رومل هذه الفترة لإكمال نواقص قطعاته والاستمرار على رصد واستطلاع ترتيبات خصمه الدفاعية ودراسة الأرض مليًا. فلما تحسن موقف إدامة قواته وأنجز استحضاراته شرع باجتياز موضع الغزالة ظهر يوم 26 مارس 1942 عندما هاجم الفيلقان 10، 21 الإيطاليان الجناح الأيمن للموضع الدفاعى ثم أعقب ذلك بالالتفاف من الجناح الأيمن بالساعة 2100 من اليوم المذكور بالفيلق الأفريقى الألمانى وكان تجحفل القوات الألمانية كما يلى[2]:

جحفل كريوفل: (الفيلق 10، الفيلق 21) الإيطاليين

اللواء 15	فرقة زاباتا
فرقة ترينتو	فرقة بريسكبا
فرقة بافيا	

(1) اللواء إدموندز يونغ - نفس المرجع ص297.

(2) اللواء فاروق الحريرى - المرجع السابق - ص140.

جحفل رومل: (الفيلق 20) الإيطالى

فرقة تريست

فرقة أريتى المدرعة

الفيلق الأفريقى

الفرقة المدرعة 15

الفرقة المدرعة 21

الفرق الخفيفة 90

قرر أوكنلك القيام بالهجوم فى منتصف آيار، ولكن وصلت إليه تقارير تفيد بوصول تعزيزات مدرعة قوية لرومل، وعلى هذا قدر القائد العام البريطانى أن تفوقه ليس كافيًا ليبدأ الهجوم، فأجلت وزارة الحرب فى لندن الهجوم حتى منتصف يونيو، وكان هذا قرارًا وخيم العاقبة.

وأدرك رومل أن البريطانيين سيعملون إن عاجلاً أو آجلاً على مباغتته بهجوم كبير. ولم يكن باستطاعته التخلى عن المبادأة، فقرر الانتقال إلى الهجوم. ولكن ضعف قواته دفعه للقيام بمناورات خداعية كثيرة، وتحركات مستمرة، ثم خاض حرب استنزاف، انطلق منها للهجوم على القوات البريطانية. وهو ما أبرزته رسالته يوم 26 مايو وفيها:

"احتدمت حمى حرب الاستنزاف فى الصحراء العربية طوال الأسابيع الثلاثة الماضية. وكانت بداية سيئة للغاية، ولكن يتبع ذلك تحقيق نجاحات سواء فى المحافظة على مواقعنا أو فى الهجمات ضد أهداف محدودة، حيث تمكنا من سحق وحدات بريطانية على التتابع، رغم ما أظهرته هذه الوحدات من صلابة فى القتال. ولقد كان البريطانيون أكثر قوة منا بدرجة كبيرة. ولقد

بوغت العالم بما حققته وحداتنا الألمانية - الإيطالية من انتصارات رائعة. وتعرضت الإجراءات التى اتخذها قائد قوات العدو - الجنرال ريتشى- للانتقاد المرير".

26 مايو عام 1942م

عزيزتى لو

عند وصول هذا الخطاب ستكونى قد سمعتى قبله بوقت طويل عن الأحداث هنا من بلاغات القيادة العليا. فنحن سنقوم اليوم بهجوم حاسم. وسيكون الأمر صعبًا ولكنى واثق تمامًا من أن جيشى سينتصر، فعلى الرغم من كل شىء فرجالى يعرفون ما هى المعركة. وليس هناك ضرورة لإخبارك بطريقة دخولى فيها. وقد قررت أن أجبر نفسى على عمل كل ما أتوقعه من ضباطى وجنودى. وأفكارى، (وخصوصًا فى مثل هذه الساعات الحاسمة) تكون معك.

وكان رومل من ناحية أخرى قد خطط منذ نيسان أن يبدأ هجومه فى 26 مايو. ومرة أخرى أطلق الكرة تتدحرج فى خدعة أملتها عليه طبيعة المواقع الدفاعية البريطانية العجيبة. فجبهة الغزالة حيث وقف البريطانيون كانت تشكل أعجوبة تكتيكية، إذ هى تمتد من الساحل إلى بير حكيم فى قلب الصحراء، وطول المواجهة أربعون ميلاً، ويتكون خط الدفاع من نقط محصنة محاطة بالألغام أطلق عليها اسم الصناديق الدفاعية، وكان كل صندوق منه ذا قطر مسافته ميلان، وكانت هذه الصناديق مجهزة على النحو التالى:

فالأسلاك الشائكة تحيط أولاً بالموقع، يتلوها للداخل حقول ألغام بثت فى عمق وأقيم بينها نقط للتسمع وأوكار للمدافع الرشاشة وممرات تغطيها

نيران المدفعية. وكانت حـامية كل صندوق توازى قوة لواء، وهى مزودة بكل الإمـدادات الكافيـة للدفـاع الطويل المدى. ووراء هذه الصنـاديق كان يوجـد احتياطى للعمليات مؤلف من المدرعـات والوحدات الميكانيكية. وكانت مهمة الصندوق، مراقبة حقول الألغام حـتى لا يستطيع العدو كما حدث فى الماضى أن يفتح ثغرات خلال الحقل. وزيادة على ذلك فإن هذه الصناديق كانت عبارة عن مواقع مـقاومـة من جميع الاتجـاهات وكان يجب على العـدو الذى يريد اختراق الجبهة أن يقضى عليها أولاً حـتى يتجنب خطر الهجوم عليه باستمرار من الخلف أو من الجوانب أو على خطوط مواصلاته. فإذا ركز العدو هجومه على الصناديق نفـسها كـان على المدرعات الموجـودة خلف هذه الصناديق أن توجه ضده للقضاء عليه.

وكان أمام رومل احـتمالان للهجـوم على طبرق فإما أن يقـوم بالهجوم بالمواجهة على المواقع المحـصنة، الاختراق والاستحكامات ثم يـدمر مدرعات العدو/ وإمّـا أن يلتف حول مـوقع الغزالة من الجـنوب وذلك بالاندفاع عـبر الباب الخلفى للصحراء المفتوحة ومنها إلى قلب المواقع الدفاعية؛ ويعزل بذلك القوات البريطانية فى الصناديق الدفـاعية عن المدرعات الموجودة فى الخلف ثم يدمر قوات العدو الضاربة جزءاً جزءاً.

وبالطبع اخـتـار رومل الحـل الثـانى على أن يقـوم بهـجـوم خـداعى بالمواجهة. وكان تحت أمره فـرقتان ألمانيتان وفرقة مدرعة إيـطالية وفرقة ألمانية ميكانيكية وفرقة إيطالية ميكانيكية، وأربع فرق مشاة إيطالية. أما قوات الجنرال ريتشى التى تشكل الجيش الثـامن، فتكون من فرقتين ميكانيكيـتين وفرقة من المشاة فى موقع الغـزالة وفرقتين مدرعتـين كانتا على استعداد للقـيام بالضربة القاضيـة فى الخلف، هذا بالإضافة إلى لواء الحرس ولواء الفرنسـيين الأحرار

والألوية الهندية، وكـانت هذه الألوية تحـتل الصناديق. فكل جيش من كـلا الطرفين المتحاربين كان يضم قرابة عشـر فرق ويبلغ عدد رجال كل منهما مائة ألف رجل. وكان لدى روميل 320 دبابة إيطاليـة خفيـفة و 90 مدفـعًا ذاتى الحركة، أمـا الجنرال ريتشى فكان لديه 631 دبابة ووصله فيـما بعد 250 دبابة أخرى.

وكان هذا أكـبر أسطول من المدرعات شـوهد على أرض المعركـة حتى ذلك الوقت. وصاح العريف روتوبرس قائلاً: "الهجوم فى الساعة الثانية فى وضح النهـار. أنا لا أرتاح لذلك، إن الأمـر تفوح منه رائحـة خـبيـثة أيهـا الفتيان".

والعريف بروتو من السرية الثانية كان دائمًا ينادى رجاله بالفتيان. وكان مشهوراً بين جنود الكتيبة 361 التابعة للفرقة 90 الخفيفة. وكان رجال الكتيبة من محاربى الفرقة الأجنبـية الفرنسية فيما مضـى، وهـم العمود الفقرى لجنود المشاة فى أفريقيا، وهم مجموعة من الرجال المتحمسين والمقاتلين المهرة. وكان من عادة روميل عندما يقـترب من مواقع الأفواج التابعة له، أن يقـول لسائقه هوبر: "اربط العجلات الاحتياطية فنحن نقترب من مواقف الكتيبة 361".

وفى السـادس والعشرين مـن آيار فى وقت غيـر عادى للهـجوم، وهو الساعة الثانية ظهراً، وقفت الكتيبة 361 لتمثل الهجوم الرئيسى بالمواجهة الذى قام به الجنرال كروويل على موقع الغزالة.

وكانت هناك قوات على يمـين الكتيبة إيطالية تابعة للفـيلقين الإيطاليين وخلفها الوحدات الميكانيكية للفيلق الأفريقى ومعها العديد من سيارات النجدة "مثيرات الغـبار"، وهى عبارة عن محركات للطائرات مـركبة على شاحنات

تثير الغبار بكثرة بمراوحها حتى تعتقد وحدات استطلاع العدو بأنها تواجه جيشًا من البانزر بأكمله.

وتلك كانت الخدعة، فقد كان على البريطانيين أن يعتقدوا أن روميل سيقوم بهجومه الرئيسي بالمواجهة بكل قواته على النطاقين الشمالي والأوسط لموقع الغزالة.

وكان هذا المنظر عبارة عن قطعة من الإخراج المسرحي الرائع، فقد بدأت المدفعية تطلق نيرانها وفقًا للتوقيت المحدد لها. وأخذت المدافع الرشاشة تتعقع واهتزت الصحراء كما لو كان هناك زلزال يهزها، وزأرت طائرات الستوكا المنقضة فوق الصناديق. ورفع الملازم فريمان البالغ من العمر تسعة عشر ربيعًا ذراعيه (وكان يقود السرية الثانية من الكتيبة 361) فاندفع الرجال الذين حاربوا في الفرقة الأجنبية الفرنسية إلى الأمام في اتجاه حقل الألغام[1].

يقول رومل في مذكراته:

في سعت (1400) من يوم 26 مايو (وبعد تمهيد عنيف من المدفعية) قامت المشاة الإيطالية تحت قيادة الجنرال كروويل بهجوم بالمواجهة على خط الغزالة لكي أخدع البريطانيين (كما سبق القول) فيظنوا أن هذا هو هجومنا الرئيسي، فيدفعوا مدرعاتهم إلى هناك، ولهذا الغرض ألحقت ألاى بانزر وألاى من الفيلق 20 الإيطالي بكل من التشكيلين القائمين بهذا الهجوم. وكانت هذه الآلايات المدرعة ستعود إلى تشكيلاتها الأصلية في مساء نفس اليوم. ونتيجة لهذا انسحبت الستارات البريطانية ونقطها الخارجية (بعد مقاومة بسيطة) إلى خطوط المقاومة الرئيسية وفي نفس الوقت كان على القوة الضاربة الرئيسية التي تتكون من فيلق أفريقيا لفرقة 90 الخفيفة والفيلق 20 الإيطالي

(1) بول كارل - المرجع السابق 241.

المرحلة الأولى

التجمع فى مناطق تجمعها المحددة. وأثناء المساء يتحرك جزءا من هذه القوة نحو منطقة الهجوم الإيطالى وبعد أن شوهدت كما هو المقصود) بواسطة الاستطلاع الجوى المسائى البريطانى، عادت منطلقة بأقصى سرعتها إلى مناطق تجمعها مرة أخرى[1].

وكان بروتوبروس وزميله أريك هما أول من وصل إلى النقط الأمامية البريطانية، وأمام الصناديق الدفاعية التى تحتلها الفرقة الخمسين البريطانية صاحا: "ارفعوا أيديكم" وكان الجواب وابلاً من نيران المدافع الرشاشة وقد أطلقت بالقرب من أقدامهم من مدفع أحسن تمويهه بواسطة جنود جنوب أفريقيا، وتطايرت حبات الرمال حتى آذانهم فأسرع بروتو بإلقاء نفسه على الأرض وأطلق أريك كل الطلقات الموجودة فى مخزن رشاشه القصير ثم توقف. وكانت توجد بين الصناديق على طول الجبهة ممرات محوطة بالأسلاك الشائكة. وكانت توجد أمام المهاجمين جبهة ممتدة لمسافة أربعين ميلاً من بير حكيم إلى الشاطئ وبها موانع عديدة من الأسلاك وعدد من الألغام يقارب المليون. وسادت الفوضى والاضطراب فى الخطوط البريطانية، كما كان عليه الحال دائمًا فى حالات الهجوم الواسع النطاق فى تلك الأيام. فما هى نوايا العدو؟ وأين سيوجه العدو هجومه الرئيسى؟

ولم تستطع طائرات استطلاع السلاح الجوى الملكى البريطانى الحصول على معلومات دقيقة إلا أنها أكدت وجود تقدم واسع النطاق لوحدات ميكانيكية فى أعقاب المشاة التى تستخدم فى الهجوم بالمواجهة . إذن فرومل قرر اختراق خطوطهم بالمواجهة إلا أن الجنرال ريتشى كان متحفظًافى استنتاجه فهو يعرف جيدًا الثعلب العجوز المدعو رومل.

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص360.

وأضاءت المشاعل أرض المعركة. وقفز حملة النقالات من فوق الأسلاك الشائكة الممزقة يحملون الجرحى، وكانت المدفعية مازالت ترعد والمدافع الرشاشة تقعقع. وخلف الخطوط الألمانية كان يوجد نشاط كبير ولكن لم يكن بسبب الاستعداد لهجوم جديد. ففى كل مساء كانت طائرات الاستطلاع تؤكد أن هناك وحدات ميكانيكية ومدرعات تتقدم إلى الأمام. وفى لمح البصر تبدل الأمر. فقد انسحبت القوات المدرعة والميكانيكية وقامت بحركة التفاف واسعة إلى الجنوب حيث حشدت المدرعات التى خصصت لتوجيه الضربة الرئيسية عبر الصحراء وتقدمت وجاوزت دفاعات بير حكيم. وفى تمام الساعة الثامنة والنصف أصدر رومل كلمته الرمزية: "فينيسيا".

يقول رومل فى مذكراته:

وفى سعت (2030) أمرت ببدء "عملية فينيسيا" وتحركت 10000 مركبة تابعة للقوات الضاربة فى ضوء القمر. وتحركت ومعى هيئة أركان حربى مع القول التابع لفيلق أفريقيا نحو منطقة المعركة المدرعة الكبرى المنتظرة، وكانت المشاعل تضىء السماء ولمسافات كبيرة (على فترات متقطعة) وهى فى الغالب المشاعل التى كانت طائراتنا تلقيها لتحديد مكان بير حكيم.

والتزمت الصمت لأننى كانت متوتراً فى انتظار اليوم التالى بفارغ الصبر. فماذا سيفعل العدو؟ وماذا فعل العدو بالفعل؟ وظلت الأسئلة تطوف بخلدى، ووجدت أنه لن يجيب عليها سوى الصباح وحده. واستمرت تشكيلاتنا فى تحركها وبدون توقف، وأحياناً كان السائقون يلاقون صعوبة فى متابعة المركبة التى أمامهم فى القول[1].

---

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 360.

وقد استفاد رومل من فرقة المشاة الإيطالية لتثبيت جبهة الموضع الإنجليزى من جناحه الأيمن والالتفاف بتشكيلاته المدرعة والآلية حول الجناح الأيسر للموضع.

وفى ليلة 26/ 27 مارس 1942 فقدت فرقة تريست الإيطالية الاتجاه واصطدمت خطأ بموضع اللواء 150 البريطانى ولما انبلج صباح 27 مارس 1942 أطبقت عليها اللواء المدرع 4 الإنجليزى واللواء الآلى 4 الهندى واللواء 7 وأجبرتها على التراجع بعد أن كبدتها خسائر فادحة.

أما الفيلق الأفريقى فقد تخطى مواضع اللواء الآلى 3 الهندى ولواء الفرنسيين الأحرار الذى كان فى بيرحكيم واندفع شمالاً إلى سيدى مفتاح عندئذ هاجمه اللواء المدرع 2 واللواء المدرع 22 وأوقعا به خسائر بلغت ثلث موجوده من الدبابات ولما لاحظ رومل أن الماء والوقود أوشكا على النفاذ حاول شق طريقه للحصول على التموين إلا أنه فوجئ بوجود حقول ألغام كثيفة تحدد حركته فأمر تشكيلاته يوم 30 مارس 1942 بالتجمع فى منطقة سيدى مفتاح التى سرعان ما طوقتها تشكيلات الجيش 8 البريطانى لكنه قضى خلال الأيام الأربعة التى نظم فيها دفاعاته ضمن منطقة الحصار على اللواء 150 البريطانى فأسر من وحدات اللواء المذكور 3000 رجل واستطاع فتح ثغرة فى حقل الألغام ولما شن الإنجليز هجومًا مقابلاً واسعًا ليلة 5/ 6 يونيو 1942 بدون استطلاع كاف تعرض هجومهم لانتكاسة شديدة.

فى ليلة 11/ 12 يونيو 1942 شن رومل هجومًا عنيفًا على موضع بير حكيم وفتك باللواء 1 الفرنسيين الأحرار وفى اليوم التالى خرج الفيلق الأفريقى كله من منطقة الحصار واندفع نحو الجنوب ثم تحول إلى الشرق فاكتسح مواضع الفرقتين المدرعتين 1 و 7 البريطانيتين وباغت مقر الأخيرة

وأسر قائدها وعندئـذ انسحب الجيش 8 البريطانى من مـوضع الغزالة وفى 18 يونيو 1942 عاد الفيلق لتطويق طبرق[1].

وفى ضوء القـمر الساطع تحـرك طابور ضخم من عـشرة آلاف مركـبة تكون قوات الهجوم، وأخذت تشق طريقها، وتقـدمت خمس فرق مستخدمة البوصلة وعدادات سرعة المركبات للتقدم عبر الصحراء، وجلس أمام عجلات قـيادة العـربات الخفـيـفة والثـقيـلة رجال رومل القـدامى التـابعين للقـوات الميكانيكية.

وكان هؤلاء الرجال المسمون بـ "سـادة الطريق" يقودون عربات الإمداد والتموين والشاحنات من حمولة 3 طن. ولم يرد ذلك هؤلاء الرجال أبدًا فى نشرات الجيش الألمانى وأوامره أو فى تاريـخ الحرب، رغم أنهم كانوا يقودون قوافلهم 100 أو 150 أو 300 ميل على الطرق المتـسربة والملتهبـة خلال الليل وأثناء العواصف الرملـية. وكانوا يقـومون بإصلاح أعطال سـياراتهم فى هذه الحرارة المحرقة. وكـان انفجار ثمانية أو عشرة إطارات فى اليوم الواحـد يعتبر حادثًا عاديًا فى حـياتهم فكانت الإطارات تنفجر كالبالونـات وتغوص محاور السيـارات فى الرمال. ولم يكن هناك من يمد لهم يد المسـاعدة أو يعطى لهم الأوامر. فكانوا يصلحون الـعطب وهم غارقون فى عرقهم ويعـودون للقيادة ويتابعـون السيـر بالرغم من الإجهـاد والتعب، وكـانوا معرضـين باستـمرار للمـقاتلات وعـربات اسـتطلاع العدو. وكـان الجنود يحـبون للغـاية هؤلاء السائقين المهرة ورواد الطريق.

وكان يتـحتم على قائد الطابور أن يـكون فى المقدمة دائمًـا حيث يكون الغبار على أشده، ويصيح: "تقدموا، ضموا صفوفكم، استمروا فى الاتصال بعضكم ببعض". أمـا المراقبون فكانوا يستلقون على صـدورهم فوق الرفارف

(1) اللواء فاروق الحريرى - المرجع السابق ص 141.

الأمامية ممسكين بالرادياتيرات لأن الرؤية لم تكن تزيد عن ياردة واحدة. وكان عليهم أن يوجهوا السائقين صائحين "تقدموا، تقدموا"، أو فجأة يطلبون التوقف لتجنب التصادم. إلا أن الذين كانوا أسوأ منهم حالاً هم أفراد الدرجات النارية لان التراب والوحل كان يتطاير فى وجوههم وتغوص دراجاتهم فى الرمال. وكان عليهم أن يقفزوا من فوقها ويدفعوها إلى الأمام حتى يخلصوها من الرمال. وكثيراً ما كان يسمع النداء: "جنود المراسلات إلى الأمام" لأن هؤلاء كانوا يقومون بكل مهمة ويساعدون فى كل شىء، من إحضار الذخيرة وتحريك المدافع المضادة للدبابات وحمل الجرحى إلى محطات الإسعاف.

وفى السرية التاسعة من الفوج 104 من قاذفى القنابل كان يوجد عريف يدعى بورستيل من بلدة شتندال وكان فى حياته المدنية رساماً. وقد اشترك فى المعارك التى دارت فى بولونيا وعندما فقدت سريته 52 رجلاً فى إحدى معارك الغابات في بولونيا قاد دراجته النارية ذات المقعد الجانبى خلال أشجار الصنوبر دون أن يعبأ بالقناصة البولونيين وأحضر الذخيرة وحمل الجرحى إلى الخلف. وقد حارب كذلك فى فرنسا وقاد جنود الاستطلاع على نهر الرون فى جبال الألف بسافواى. ووصل إلى الصحراء العربية فى أول أبريل 1941 واشترك فى كل المعارك، ولكنه أصيب بالدوزنتاريا. والأن أصبح نحيفاً للغاية وعاد إلى دراجته النارية مرة أخرى وكان واحداً من مئات الألوف الذى تحملوا وطأة الحرب. فلماذا لم يهرب؟ لماذا استمر فى القتال وهو يتصبب عرقاً؟ كيف يخرج من الحرب سالماً؟ لماذا حارب؟ هل ليقتل أو يُقتل؟؟[1].

(1) بول كارل - المرجع السابق ص43.

ولو سأل أحدهـم العريف هذه الأسئلة فإنه بلا شك سـينتظر منه جوابًا مقنعًـا، وربما هز كتـفيه وقـال: "إن أى رجل يتنابه الذعـر يهلك، أو بمعنى آخر: كل من يخاف يقـتل" . وكان الجنود يبدون سمـرا كأنهم زنوج. وكانوا يواصلون التقدم نـحو هدفهم وهو الطريق الساحلى غـربى طبرق. وكان هذا يعنى بالنسبـة لجنود المشاة تحمل مـزيد من القذارة ومزيد من السـمرة فى هذه الصحراء المحرقة. أما بالنسـبة لرومل فكان عليه أن يعزل ويقطع الطريق على الجيش الثامن خلف الغزالة، لذلك قام بتقسيم الجيش الثامن إلى قسمين لكى يهـاجم كل قـسم على انفـراد. وهذا هو التكتـيك القديم الذى سـار عليـه نابوليون وعلى أساسه قاتل فردريك الأكـبر، وشن به اليونانيون الحرب. فهل تنجح هذه الضربة؟ إن الأمر يبدو فيه الأمل كبير.

وطلع فجر يوم 27 مايو ونجحت حركة الالتـفاف حول المواقع البريطانية الجنوبية فى بير حكيم. وواصلوا التقدم باتجاه الشمال على الشكل الآتى: كان يوجد على الجناح الأيسر للقوات المتقدمة فرقة مدرعة إيطالية هى فرقة آريتى، وعلى الجناح الأيمن الفرقة 90 الخفيـفة الألمانية ومعهـا وحدات الاستطلاع. وفى الوسط كانت الفرقتان المدرعتان المكونـتان للفيلق الأفريقى، وهما الفرقة 16 على اليمـين والفرقة 21 على اليسـار وكان هدفهم الـوصول إلى الطريق الساحلى بين طبرق وخط الغزالة الأمامى.

وكان الفوج المدرع الثـامن يمثل رأس الحربة فى الهجـوم، وتقدم على رأسه قائده المقدم تيج ومن خلفه بقية الفرقة 15 بانزر، وكانت السرايا الخفيفة فى المقدمة والسرايا الثقيلـة فى المؤخرة، وكان الفوج يحتوى على 180 دبابة. وتقدمت المجموعة الأولى من الدبابات على طول جبـهة عرضها ميل ونصف وعمقها 3 أميال، بينما كان يتبع المجموعة الأولى عن كثب المجموعة الثانية.

ولم تصل التقارير الصباحية من طائرات الاستطلاع. وكان استطلاع الأراضى مستحيلاً لأن وحدة الاستطلاع 33 قد سحبت من الفرقة وأرسلت فى مهمة خاصة ضد طبرق. ولابد أن العدو متربص بمدرعاته فى جهة ما فى الجبهة فى انتظار قوات رومل.

وسمع صوت فى السماعة المعلقة فى أذن النقيب كومبل المعروف باسم "أسد كابوتزو" وسمع النداء التالى: "مدرعات العدو فى اتجاه الساعة 12".

وشاهد البريطانيون الدبابات الثقيلة. وقال أحد الملازمين البريطانيين التابعين لفوج الهوسار الثامن: "يبدو أن الألمان قد أقبلوا ومعهم لواء من المدرعات" قال ذلك وهو يرسل تقريره إلى رئاسة الفوج ولكنه بعد دقيقة صحح تقريره قائلاً: "إن هناك أكثر من لواء، إنه الفيلق الأفريقى الملعون بأكمله، خذوا حذركم وانتبهوا. وهكذا بدأت المعركة[1].

يقول رومل:

وقبل أول ضوء بزمن قصير استرحنا لمدة ساعة على بعد حوالى 10 أو 12 ميلاً جنوب شرق بير حكيم! ثم تحركت القوة الكبيرة مرة أخرى فى سحابة ضخمة من التراب والرمال واندفعت نحو مؤخرة البريطانيين. وقد لاقينا بعض الصعوبات فى التغلب على العوائق مثل حقول ألغام العدو ومواقعه الهيكلية ولكن بعد ساعة أو ساعتين من أول ضوء كانت كل تشكيلاتنا منطلقة بأقصى سرعتها نحو أغراضها. بعد ذلك بقليل أخبرتنى الفرقة 90 الخفيفة بوصولها إلى العضم وفى تمام سعت (1000) استولت على الكثير من مخازن الفيلق 30 البريطانى (لأن هذه المنطقة تعتبر قاعدة للإمداد). وفى حوالى منتصف اليوم حدث رد الفعل البريطانى ونشبت معركة عنيفة.

(1) بول كارل - المرجع السابق ص245.

وفى نفس الوقت اصطدمت وحـدات فيلـق أفريقـيا باللواء البـريطانى الرابع المدرع واللواء الهندى الثالث المحمل على بعد حوالى ستة أميال جنوب شرق بير الهرمات واندلعت نيران معركة مدرعة بين الطرفين.

ولسوء الحظ قامت وحـداتنا المدرعة بالهجوم بدون مساندة من المـدفعية بالرغم من أننى قد حاولت دوامًا وبكل ما أملك من وسائل الإفهام أن أجعل قادة الوحدات يفهمون أنه يجب ألا يهاجموا قبل أن تفتح المدفعية نيرانها.

كما أننا فوجئنا بعنصر جـديد يدخل المعركة هناك فى جانب البريطانيين وهو عنصـر لم يكن فـى صالحـنا (الدبابة الجـديدة من طراز جـرانت) وقـد استـخدمت فى هذه المعـركة لأول مـرة على الأرض الإفريقـية، وقـد دمرت الدبابة تلو الأخرى من الجـانبين بفعـل مدافع الدبابات وأخيـرًا نجحنا فى دفع البريطانـيين للخلف نحو مـدق العبـد ولكن بخسائر فـادحة، ومع هذا فـقد هاجمنا البريطانيين بعدها بقليل مرة أخرى.

وفى منتصف اليوم عندما حاولت أنا وأركـان حربى الوصول إلى الفرقة 90 الخفيـفة فى العضم، قامت الدبابات البـريطانية بمهاجمـة قولنا واضطررنا للعودة من حيث بدأنا وانعـزلت الفرقة 90 الخفيـفة عن فيلق أفريقـيا. وأثناء محـاولتنا العودة نحو فـيلق أفريقيـا وجدنا أنفسنا فـجأة فى مواجـهة بطارية بريطانية كانت قادمـة (فى الغالب من بير حكيم إلى طبرق). وبالرغم من أن هيئة أركان حربى لا تمثل قوة مقاتـلة تستحق الذكر إلا أننا هاجمنا البريطانيين على الفور وأسـرناهم. ويبدوا أنهم فـوجئوا بوجـودنا أمامهـم ولم نترك لهم فرصة للتصرف السريع.

وبعد ظهر هذا اليوم (وعلى بعد خمسة أمـيال شمال شرق بير الهرمات وجنوب مـدق كابـتزو) دار قـتـال عنيف بين الدبابات. واشـتـركت الفرقـة

البريطانية الأولى المدرعة فى القتال، وهاجمت وحداتها المدرعة القوية بصفة أساسية من الشمال الشرقى، وركزت نيرانها على قولات فيلق أفريقيا ومدرعاته مع تدعيم قوى من المدفعية، وكانت وحداتنا ظاهرة من مسافة كبيرة. وتصاعدت النيران والدخان الأسود من العربات والدبابات وتوقف هجومنا. ومرة أخرى تكبدت قواتى خسائر فادحة فى الدبابات وسادت الفوضى بين عدد كبير من قولاتنا التى هربت نحو الجنوب الغربى خارج مرمى المدفعية البريطانية. أما فيلق أفريقيا فقام بالمحافظة على جبهته الدفاعية نحو الشرق وفى نفس الوقت قاتل ليشق طريقه خطوة بخطوة نحو الشمال. ودارت المعركة بكل عنف (فى السهل الذى تغطيه الأشواك) حتى حلول الليل، وفى هذا الوقت كان فيلق أفريقيا قد وصل بأغلب وحداته لنقطة تبعد ثمانية أميال جنوب وغرب عكرمة ولسوء الحظ أن أغلب قواته من العربات الغير مدرعة إنفصلت عن الفرق البانزر، كما أن جزءاً من المشاة لم يستطع متابعة تقدمها السريع. وكان الاتصال مع أركان حربى قد توقف لذلك اندفع المقدم ويستفال (رئيس عمليات) بعدد من عربات الإشارة إلى فيلق أفريقيا بينما ظللت أنا وباقى هيئة أركان حربى حتى حلول الليل عند نقطة تبعد ميلين شرق بير الهرمات[1].

وقد تطورت الأحداث بالنسبة للفوج الثامن الألمانى على النحو التالى: "مدرعات للعدو الساعة 13- اهجم" هكذا أصدر قائد الفوج أمر الهجوم فى الميكرفون المعلق فى عنقه، فوصل إلى سماعات جميع دباباته. وفى البداية لم يروا سوى بضع نقط سوداء على حافة الأفق، لأن القوات الرئيسية لمدرعات العدو قد أحسن تمويهها وإخفاؤها خلف تباب صغيرة وتقدم النقيب كوبل

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 362.

بأقصى سرعة. وتبودلت الطلقات الأولى، وأخذت الدبابات تتقدم إلى الأمام ثم تقف وتطلق نيرانها، ثم تتقدم وتواصل إطلاق النيران. وأصيبت دبابة ثم أخرى. فما هو الموضوع؟ كيف يمكن للبريطانيين أن يصيبوا بنيرانهم من على هذا المدى البعيد الذى يزيد عن مدى دباباتهم التى نعرفها جيدًا، ثم طلقة أخرى وحدوث انفجار وإصابة مباشرة لدبابة ماركة 3؟ إن هذا من عمل الشيطان !!! ورفع قادة الدبابات نظاراتهم المكبرة عن أعينهم فوجدوا أن الأشباح السوداء التى فى الأمام كانت شيئًا جديدًا، ورفعت إحداها فى هذه اللحظة شباك التمويه، فظهر أن هذه الدبابة من نوع جديد تمامًا.

وكانت هذه هى المفاجأة الكبرى الأولى. فقد وصلت الدبابات الأمريكية من طراز غرانت المجهزة بمدفع من عيار 77 ملم وكانت هذه الدبابة متفوقة بكثير على الدبابة الألمانية ماركة 2 بمدفعها عيار 50 ملم ولا يستطيع التغلب عليها سوى الدبابة ماركة 4 إلا أنها هى الأخرى اشتركت فى المعركة بمدفع قصير مما جعل رميها أقصر من الدبابة غرانت، ولم يوجد سوى عدد قليل من الدبابات ماركة 4 المجهزة بمدافع طويلة الماسورة، ولسوء الحظ لم تكن هذه الدبابات مزودة بذخيرة خارقة للدروع.

وكانت معركة عنيفة. وعندما التقط رجال الفوج الثامن المدرع أول جريح بريطانى اكتشفوا أن العدو الموجود فى مواجهتهم هو اللواء الرابع المدرع الذى أعيد تشكيله. إذن فقد عاد جنود اللواء الرابع مرة ثانية، عاد هؤلاء الرجال جنود اللواء الرابع ليأخذوا بثأرهم لما حدث لهم يوم 23 نوفمبر 1941 عندما تمكن الرائد فينسكى من أسر اللواء بأكمله بمعاونة المجموعة الأولى من الفوج الثامن المدرع.

يقول روميل عن معركة يوم 27/ 5/ 1942 :

وعند استرجاعى لسير العمليات فى يومها الأول وضح لى أن خطتى (للتغلب على القوات البريطانية فيما وراء خط الغزالة) لم تنجح. وكان التقدم نحو الساحل قد فشل هو الآخر وبذا لم نتمكن من عزل الفرقة 50 بريطانية والفرقة الأولى جنوب أفريقيا عن باقى الجيش الثامن.

وكان السبب الرئيسى هو تقديرى الخاطئ لقوة الفرقة المدرعة البريطانية وقد أدى عند ظهور الدبابة الأمريكية الجرانت إلى تكبيدنا خسائر فادحة فى دباباتنا، ونتج عن هذا أن أصبحت كل قوتى مشتبكة فى قتال يائس ضد عدو متفوق.

هذا التقدير للموقف الذى ذكره روميل يجب النظر إليه على أنه بيان عملى عن كيفية اختلاف وجهتى النظر عند تغيير الزاوية التى ينظر إلى أى موقف. فتحت تأثير الصدمة المتسببة عن مقابلة الألمان لأول مرة للدبابة "جرانت" لم يستطيعوا تقدير مدى تدميزهم للتشكيلات المدرعة البريطانية ولا الخسائر الفادحة التى كبدوها لها. أثر هذا يبدو على الجانب البريطانى واضحًا فى عدم استغلاله للموقف السيء الذى وجد فيه روميل. وبذا توفرت لروميل فترة زمنية ليعيد فيها سيطرته على تشكيلاته ولإعادة التنظيم ثم تمكن من الاستفادة من مزايا الأسلوب الدفاعى عند إدارته للمعركة بمهارة وهو أساس مكنه فى النهاية من استنزاف قوى البريطانيين والقضاء على تفوقهم العددى.
وقد مهد لضربته الهجومية التالية "بفخاخة" الدفاعية التى نصبها بمهارة فى اليوم التالى والتى مكنته من توجيه ضربات حاسمة قاضية لخصومه، ومثله فى ذلك مثل كل القادة الديناميكيين فكان يحتقر الدفاع ولكن عندما تضطره الظروف للالتجاء إليه كان يظهر سيطرته الغريزية على هذا الأسلوب فى

الحرب ويكمن فى هذا العناصر الأساسية لانتصاراته. وأسلنيبه هذه تتفق وشعار الملاكم الشهير جيم ميس:

"اتركهم يأتون إليك وبذا يقضون على أنفسهم".

وهو شعار شرح بطريقة أكثر وضوحًا بواسطة ملاكم شهير آخر من جيل أحدث وهو كبد ميكس كوى:

"ادفع خصمك للهجوم، وضعه فى موقف تكون فيه يداه مشغولتان ولديك يد واحدة حرة الحركة".

ويتابع روميل قوله عن سير المعركة:

وكنا بكل تأكيد قد كبدنا اللواءات (التى قذف بها البريطانيون ضدنا جنوب بير الهرمات) خسائر فادحة، فاللواء الثالث الهندى المحمل بلغت خسائره مبلغًا لم يتمكن بعدها من الظهور على الإطلاق فى المعركة، كما أن الفرقة السابعة المدرعة كانت بحاجة لوقت طويل لتستطيع التغلب على الخسائر التى أصابتها فى هذا اليوم.

ولكنى لن أنكر أننى كنت فى هذا المساء قلقًا للغاية، لأن خسائرنا الفادحة فى الدبابات لم تكن بداية موفقة للمعركة (فقد خسرنا ما يزيد عن ثلث الدبابات الألمانية فى هذا اليوم وحده). كما أن الفرقة 90 الخفيفة تحت قيادة الجنرال كليمان قد انعزلت عن فيلق أفريقيا وأصبح موقفها خطيرًا للغاية. وكانت القولات المحملة البريطانية تتدفق فى الثغرة بين الاثنين وتطارد قولات التموين التى فقدت اتصالها بالقوة الأساسية. وكانت حياة جيشى ومصيره متوقفة على هذه القولات.

ومع هذا فبالرغم من الموقف الخطير والمصاعب التى تواجهنا فكنت

أحمل في نفسي آمالاً كباراً متوقفة على مصير هذه المعركة، لأن ريتشي قد ألقى بمدرعاته في هذه المعركة وهي متفرقة وبذا أعطانا الفرصة لمواجهتها في كل مرة بقوات تكفي للتغلب عليها، وهذه البعثرة في حشد اللواءات المدرعة البريطانية كانت غير مفهومة. ففي رأيي أن التضحية بالفرقة السابعة المدرعة جنوب بير الهرمات لم تؤد لأي نتيجة إستراتيجية أو تكتيكية لصالح البريطانيين لأن الأمر يستوي بالنسبة لهم من حيث الاشتباك مع مدرعاتي هناك أو على مدق كابتزو لأنني اشتبكت فيما بعد بباقي المدرعات البريطانية. وكان الواجب أن يكون الغرض الرئيسي للبريطانيين هو حشد مدرعاتهم بحيث تشتبك معي بكل قوتها مرة واحدة ولم يكن يصح أن يسمحوا لأنفسهم ببعثرة مدرعاتهم بهذه الكيفية قبل المعركة أو أثناء هجومنا الخداعي على خط الغزالة. وكان تحميل قواتهم الكامل يسمح لهم بالتحرك في ميدان المعركة بسرعة كبيرة أينما تطلب الموقف ذلك، لأن المعركة الصحراوية تتميز بخفة الحركة وتشابه تماماً المعارك البحرية لذلك فمن الخطأ الاشتباك بقوات مبعثرة أو ترك نصف الأسطول في القاعدة أثناء المعركة[1].

وقد اقترن ثأرهم بحسن الحظ بكل ما فيه من معنى، ليس فقط للمفاجأة بالسلاح الجديد الذي كان له تأثير خطير، ولكن لأن المدفعية المعاونة للفوج الثامن قد تأخرت طويلاً. فقد انتشرت البطاريات التابعة للفوج 29 مدفعية مدرعة نتيجة لقوة تأثير نيران العدو. وزيادة على ذلك لم تستطع البطاريات أن تساير الدبابات في تقدمها، فتخلفت عنها كثيراً، هذا بالإضافة إلى أن قادة بطاريات المدفعية الأمامية كانوا يتحركون في دبابات مارك 2 وكانت قد وضعت تحت تصرفهم من قبل الفوج المدرع وقد ثبت خطأ ذلك إذ

(1) مذكرات روميل - المرجع السابق 364.

لم يكن لدى قادة البطاريات خفة الحركة الكافية فى هذه الدبابات وسرعان ما أصبحت كلها عاجزة عن العمل لتعطلها.

وقاتل الفـوج الثامن المدرع بدون مـعاونة من المدفعـية تقريبـا. وكانت خسائره فادحـة وإلى يساره كان يقاتل الفوج المدرع الخامس التـابع للفرقة 21 تحت قيادة العقيد جيرهارد مولر فى الظروف الصعبة نفسها.

وكان يقاتل فى المـقدمة قائد المجمـوعة "مارتن" الذى سرعـان ما قتل بإصابة مباشرة.

وحاولت الدبابات الألمانية فى يأس الاقتـراب من الدبابات البريطانية من طراز غرانت بالرغم من بعد مـرماها، وسرعان ما أدى هجوم الفصـيلة الثانية على الجناح البريطانى إلى نتائج حـاسمة، فقد نجحت التكتيـكات التى اتبعها القـادة الألمان، وتمكن هؤلاء من القـضاء على البـريطانيـين. فاللواء الثـامن الهوسار كاد أن يمحى تمامًا، أما اللواء الثـالث من الدبابات الملكية فقد خسر ست عشرة دبابة غرانت وسارع الماجور جـنرال فيرست (قائد الفرقة 15 بانزر وكان تحت قيـادته الفوج المدرع الثامن) إلى الأمام فى عربتـه المدرعة. وعندما مر على السرية العاشرة التى تشكل مقدمة القوات صاح قائد السرية: "ما هو اتجاهنا؟" وقبل أن يجاوب فيرست صاح أركان حربه قائلاً: "إلى هناك حيث يوجد رومل". وكان الأمر يبدو كـأنه قصة خيالية، غير أنها كـانت الحقيقة، فكان دائمًا القائد العام على رأسهم يقودهم كما هى عادته.

أما الـلواء المدرع الرابع البريطانى الذى كـان يستـر طرق الاقتـراب إلى الجيش الثـامن فلو تمكنت مدرعـات رومل من فتح الطريق خـلاله فسيـصبح الطريق مفـتوحًـا إلى الباب الخلفى. وتمكنت الفـرقة 90 الخفـيفة تحت قـيادة الماجـور جنرال كليمـان ومعـها ثلاث وحـدات استطلاع والفـيلق العـشرون

الإيطالى الميكانيكى من الالتفاف حول مطار العضم وتثبيت قوات حامية طبرق فى مواقعها مـع احتلال مواقع بين القوات البريطانية وبين مسـتودعات تموينها فى الشرق. وهكذا فإن هذا الجزء من خطة روميل كلل بالنجاح.

أما الفرقة 21 بانزر تحت قيادة نهـرنغ فقد واصلت التقدم نحـو الشمال بحذاء موقع الغزالة لتقطع الطريق بين المدرعـات البريطانية وبين قواعد تموينها فتصبح معرضة للتـدمير الواحدة تلو الأخرى. هكذا كانت الخطة. إلا أن هذا الجـــزء من الخطة لم يـنجح. ولم يعلـم الرجـال المـوجـودون فى الـدبابات والشاحنات والعربات يوم 31 آيار شيئًا عن ذلك.

وشقت الفرقة 21 طريقها قـتالاً إلى عكرمة، وكان فى اسـتطاعة جنود المشاة وجنود المدرعـات أن يشاهدوا طريق بالبو أمـامهم، وخلفه كـان يوجد هدفهم من الهجوم وهو البحر.

فهل هزم العدو؟ لم يصدق أحد هذا. غـير أنهم واصلوا التقدم وكانت الروح المعنوية، عالية، إلا أن الاندفاع إلى الأمام ليس معناه دائمًا النصر.

وقد تعـود الملازم بولويكز أحد قادة السـرايا من الكتيبـة الثانية التـابعة للفوج المدرع 104 الاحتفاظ بفكاهاته الخاصة للأيام الحرجة، غير أنه هذه المرة لم يكن بحاجة إلى هذه النكات. وكان هذا اليوم هو يوم عـيد ميلاده. فقبل ساعتين من حلول الظلام شاهـد عربة خفيفة بريطانية فاشتـبك معها، وكانت العربة محملة بعلب البيرة وزجـاجات الويسكى. وكانت تكفى للسرية كلها. وحطم رجال السـرية أعناق الزجاجات على جانب العـربة وشربوا ما فـيها، فالمشروبات لها تأثير نفسى حتى فى أفـريقيا. وكانت المشروبات الكحولية من المؤثرات القـوية إلا أن قادة السـوحدات بالرغم من ذلك لـم يكونوا سعـداء، لأنهم يعلمون أن هدف الفيلق الأفريقى فى هذا اليوم لم يتحقق ولم يستطيعوا

تدميـر قوات العـدو الموجودة فى موقـع الغزالة وطبرق. ولم يحـقق الجنرال ريتشى أمل روملِ بدخـول المعركة بقواته بل تراجع بمدرعـاته فى اتجاه الشرق وأخذ يضـرب الجناح الطويل الممتـد للجيش الزاحف المكون من عـشرة آلاف مركـبة. وهكـذا أنزلت الدبابات التسع من طراز غـرانت خسـائر فادحـة فى المدرعـات الألمانية. وواصل السـلاح الجوى الملكى البـريطانى ضرب طوابـير تموين رومل، وأدت عمليات الهجـوم من داخل الصناديق المحاصرة فى موقع الغزالة وعلى الأخص من بير حكيم إلى خسائر فادحة[1].

يقول اللواء إدموندز يونغ عن رومل:

وعلى الرغم من الحالة الخطرة التى أحـاقت بنا مساء السابع والـعشرين من مايو، وأثارت فى وجـهنا مشاكل معـقدة خطيرة، فقـد كنت كلى آمالاً، عمـا ستتكشف عـنه المعركة فى النهـاية. ذلك لأن الجنرال ريتشى قـد قذف بتشكيلاته المدرعـة فى المعركة على انفراد، وفى أوقات متـباينة، وبهذا منحنا فرصة الإحـاطة بها وتدميرها بما كـان لدينا من دبابات. غير أن هذا التـدمير الذى أوقعناه بالألوية البريطانية المدرعة لم يكن مفهومًا.

ففى اعتقادى أن تضحية البريطانيين بفرقتهم السابعة المدرعة جنوب "بير حرمـات" وجنوبه الشرقى، لم يخدم غـرضنا فى المعركة الديناميـكية. إذ لم يكن هنالك أى فارق فيـما إذا كانت فرقى المدرعة قـد نازلت العدو فى تلك النقطة، أم فى "طريق العـبد" حـيث دخلت بقايا القـوى الإنجليزية المـدرعة المعركة أخيراً.

وكان يبدو أن الهدف الرئيسى الذى سعى البـريطانيون لتحقيقه، هو أن يقـذفوا بكل مـا كان لديهم من التـشكيلات المدرعـة فى المعركـة وفى وقت

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 249.

واحد. فهم لم يسمحوا بالخدعة التى أريد من ورائها تمزيق قواتهم قبل المعركة، أو أثناء الخدعة التى قمنا بها ضد موضع الغزالة.

والواقع أن وحداتهم المزودة تزويدًا فائقًا بالآليات، قد أعانتهم على اجتياز ميدان المعركة بسرعة هائلة كما لو كان هنالك خطر يتهددهم. إن المعارك المتحركة فى الصحراء، يمكن مقارنتها بالمعارك البحرية تمام المقارنة. ذلك كان من الخطأ أن تهاجم جانبًا من السفن، وتترك أخرى غيرها فى الميناء خلال المعركة[1].

ففى هذه المرة لم يكن الحظ فى جانب رومل ولم تكن الدبابات الجديدة من طراز غرانت فقط هى المفاجأة الوحيدة غير السارة وأنها بقيت خافية كل الخفاء عن المخابرات الألمانية، ولكن البريطانيين أحضروا مدفعًا جديدًا مضادًا للدبابات وهو المدفع 6 أرطال وهو يعادل تقريبًا المدفع الألمانى عيار 75 ملم وقد أمكنه اختراق الدبابات الألمانية بسهولة. فقد تعلم البريطانيون من التجارب السابقة، كما أخذت تظهر المساعدات الأمريكية فى مسرح شمال أفريقيا.

وتوقف التقدم. ولم تنجح خطة رومل فى التقدم من الجنوب إلى الساحل خلال مؤخرة قوات ريتشى لشطر القوات البريطانية. وعلى كل فقد تقدمت عربات الاستطلاع التابعة للفرقة التسعين الخفيفة إلى العضم. وزحفت القوات الرئيسية للفيلق الأفريقى إلى الشمال، وقد وصلت مقدمتها إلى الطريق الساحلى، إلا أنه لازمهم سوء حظ مرة أخرى إذ عزلت كل حملة الفيلق الأفريقى وقطع الاتصال بينها وبين القوات المقاتلة.

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص 310.

وهكذا ظهر فجأة أن روميل وليس ريتشى هو الذى وقع فى المصيدة فقد قطعت خطوط مواصلات الفرقة التسعين الخفيفة التى تقدمت إلى الشمال الشرقى للالتحاق بالفيلق الأفريقى. وفى نفس الوقت تمكنت مدرعات ريتشى من عزل الفرقة المدرعة التى كانت تحارب فى الشمال عن حملتها وعن تموينها. فقد وقعت وحدات الاستطلاع الألمانية فى خطأ جسيم، إذ لم تخطر روميل بوجود قوات مدرعة بريطانية قوية، بل لم يقتصر الأمر على عدم علمه بوجود الدبابات من طراز غرانت والمدافع الجديدة 6 أرطال، وإنما لم يكن أيضًا على علم كاف بالدفاعات الموجودة فى موقع الغزالة والنقط القوية وقوة الدفاع الصندوقى الموجود فى موقع جسر الفرسان وفى ساعة متأخرة من يوم 27 مايو أصبح الموقف حرجًا. ففى الشمال كانت المدرعات قد توقفت لقلة الوقود. وفى الشرق حوصرت الفرقة 90 الخفيفة. وأصبح الجنود منهوكى القوى وبدون تموين ولا ماء. لم يكن من المستطاع العناية بالجرحى أو نقلهم إلى الخلف وظلوا راقدين فى الصحراء المحرقة. فما الذى يمكن عمله؟

وبما أن وستفال أركان حرب العمليات رقم 1 لم يكن فى استطاعته الاتصال بروميل الذى كان فى المقدمة مع الوحدات المقاتلة فقد اضطر إلى التحرك مع وحدة الإشارة التابعة له للحاق بالجنرال فهرنغ، وحاولا معًا السيطرة على الموقف.

ولقد أعطانى الجنرال فهرنغ الصورة الكاملة التالية للموقف فى عصر يوم 25 مايو فقال: "فى الساعة الرابعة تمامًا قام البريطانيون بهجوم بحوالى خمس وستين دبابة على جناح الفرقة 15 المدرعة المتقدمة إلى الشمال وأباد البريطانيون الكتيبة المخصصة لتغطية جناحنا الأيسر. وقد هربت عربات التموين والنقل فى اتجاه الجنوب والغرب. وبذلك أصبح الموقف سيئًا بالنسبة

لهذه الفرقة التى كانت مدرعاتها فى المقدمة كما كان الحال بالنسبة لسائر المدرعات فى الفيلق الأفريقى[1].

يقول رومل فى مذكراته عن يوم 28/ 5/ 1942 :

وكانت الخطة فى اليوم التالى تقضى بحشد القوات للهجوم فى اتجاه الشمال وكنت أزمع سحب الفرقة 90 الخفيفة (التى تتعرض لضغط عنيف من الأعداء فى منطقة العضم) وضمها إلى فيلق أفريقيا فى الغرب بغرض زيادة قوتى الضاربة.

وفى فجر يوم 28 مايو قمت باستطلاع المنطقة بواسطة منظار الميدان لأرى ما يجرى فى المنطقة المحيطة بنا. ونحو الشمال الشرقى منا رأيت أن هناك قوات بريطانية تتحرك فى اتجاه الشمال الغربى، وحتى ذلك الوقت لم نكن على اتصال بوحدات جيش البانزر المختلفة. وبعد الفجر بقليل فتحت الدبابات البريطانية نيرانها على نقطة ملاحظتى (التى تقع بالقرب من مركز قيادتى) وعرباتى، وتساقطت الدانات من حولنا وطار زجاج عربة القيادة، ولحسن الحظ أننا تمكنا من الخروج من مرمى المدافع البريطانية. وفى الصباح ذهبت إلى الفيلق 20 المحمل الإيطالى وأمرتهم بالتحرك شمالاً فى أعقاب فيلق أفريقيا.

ولم تتمكن الفرقة 90 الخفيفة من تنفيذ الأوامر بالتحرك إلى منطقة شرق فيلق أفريقيا وتدعيم قوته الضاربة لأنها تعرضت لهجوم مستمر من قوات بريطانية كبيرة، واشتركت حوالى 100 دبابة بريطانية فى هذا القتال وأسراب عديدة من السلاح الجوى البريطانى كانت تمطر الفرقة بوابل من قنابلها مما أدى إلى انفصال عدد كبير من وحداتها عن بعضها. ولكى نتمكن من مواجهة

(1) بول كارل - المرجع السابق ص250.

هجمات الأعداء المنتظرة اضطرت الفرقة لاحتلال خنادق فى دفاع دائرى على مسافة حوالى ستة أميال شرق بير الهرمات.

ولحسن الحظ تمكنا أثناء الصباح من تكوين جبهة دفاعية لحماية قواتنا، وكانت الجبهة تتكون من عناصر من فيلق أفريقيا وتمتد شمال شرق بير الهرمات وأصبحت ظروف فيلق أفريقيا خطيرة هى الأخرى، فقد حشد العدو كل مدرعاته على وجه التقريب شمال مدق كابتزو وأخذ يشن هجومًا مستمرًا على فيلق أفريقيا. وقد وصلت الأخبار من ويستفال أثناء الصباح وتتضمن اضطراره إلى إصدار أمرا للإيطاليين بمهاجمة خط الغزالة، حتى لا يتمكن البريطانيون من استخدام تشكيلاتهم الموجودة هناك فى المعركة الدائرة فى مؤخرتهم. وقد أمكن للهجوم (الذى بدأ فى منتصف اليوم بالقرب من علوة الطمار) أن يتقدم بدرجة طيبة فى مواجهة مقاومة بريطانية ضعيفة.

وقد بدأ القلق يسيطر على وأحسست بضرورة الاتصال بفرقتى البانزر ولذا تحركت بعد العصر مع رئيس أركان حربى الجنرال جاوزى لأحاول العثور على طريق لبلوغ منطقة فيلق أفريقيا، وفى هذه الأثناء وصلت إشارة تحمل أنباءً خطيرة وهى أن جزءًا من الفرقة 15 بانزر قد خرج من المعركة لنفاذ ذخيرته، ولهذا فقد كان من الضرورى أن ندفع إليها قولات إمدادها. وفى وقت متأخر من عصر اليوم نفسه استطعنا أن نشق طريقنا بعدد كبير من العربات والمدافع المضادة للدبابات إلى تبة تبعد عشرة أميال شمال بير الهرمات ومن هناك استطعنا رؤية فيلق أفريقيا وكانت الصورة تمثل بصدق معارك الصحراء. فقد كانت سحب الدخان السوداء تتصاعد نحو السماء وقد أعطت للمنظر روعة وجلالاً ووحشية. وقررت استخدام هذا الطريق لتوصيل قولات الإمداد إلى فيلق إفريقيا فى وقت مبكر من صباح اليوم التالى.

وفى طريق عودتنا لمركز القيادة اشتبكنا بقولين أحدهما بريطانى والآخر إيطالى!! وقد اعتقد الأخير أننا من الأعداء وفتح علينا نيرانه بشدة ولكننا تخلصنا منه بالانسحاب السريع. وبعد حلول الظلام شققنا طريقنا عبر ثغرة فتحها الإيطاليون فى حقول الألغام إلى المنطقة الواقعة جنوب غرب بير الهرمات حيث التقينا بقواتنا وعلمنا أن البريطانيين أثناء غيابى اجتاحوا مركز قيادتى وكانت مجموعة حماية المركز قد دمرت عددًا كبيرًا من الدبابات البريطانية ولكن القولات البريطانية اندفعت نحوه واجتاحته ثم استمرت فى التقدم إلى أن بلغت وحدات إمدادنا وسببت فوضى كبيرة ودمرت عددًا من عربات الوقود والذخيرة. ولكننا نجحنا فى استعادة السيطرة على الموقف وكذلك استرداد مواقعنا القديمة مرة أخرى أثناء الليل.

وفى وقت متأخر من مساء هذا اليوم جهزت قولات الإمداد لأتحرك بها بنفسى إلى فيلق أفريقيا فى الصباح التالى. ونظرًا لانبساط الأرض وعدم وجود تباب يمكن استخدامها فى الاستتار فكانت هذه الرحلة (عبر منطقة تسيطر عليها التشكيلات المعادية) تعتبر مخاطرة كبيرة.

ولكن لحسن الحظ استطاعت الفرقة 90 الخفيفة أن تتخلص من البريطانيين أثناء المساء وتحتل موقعًا بالقرب من بير الهرمات. ويضاف إلى هذا أن فرقة آريتى المدرعة وضعت لسد الثغرة بين الفرقة 90 الخفيفة وفيلق أفريقيا وهذه التحركات جعلت طرق قولات التموين أكثر أمانًا[1].

تحويل الهزيمة إلى نصر:

ولقد كان الموقف إحدى الكوارث التى أدركت جيشًا بأكمله، إلا أن هناك لحظات يؤدى فيها اتخاذ قرار جرىء واحد إلى تحويل الهزيمة إلى نصر.

(1) ب. هـ. ليدل هارت - المرجع السابق ص 366.

وكـان الرجل الذى أمكنه الوصول إلى مـثل هذه الفكرة الجـريئة والذى أمـد الإستراتيجية الحربيـة بتكتيك جديد هو الجنرال "والتر. ك نهرنغ" أما الرجل الذى وضع الفكرة موضع التنفيذ فهو العقيد "آلوين وولز".

فلقد وجـد الجنرال نهرنغ ومعه قـائد الفوج 135 المضاد للطائرات أثناء قيامهما بالاستطلاع نفسيهـما فجأة وسط عربات النقل وطوابير التموين التابعة للفيلق الأفريقى وحملة رئاسة الفرقـة وكانوا قد فروا أمام الدبابات البريطانية. وقد ذكـر لى العقيـد وولز ما حدث فـقال: "بعد أن قدنا عـربتنا لمدة طويلة تقابلنا مع العربات الهاربة التابعة للفـيلق الأفريقى وحملة رئاسة الفرقة، وكنا فقدنـا أفراد الفوج بأكمله حـتى وصل عدد أفراد مجـموعة قيـادتنا إلى أربعة أفراد. ووسط هذه الـفوضى رأيت بعض المدافع من عـيار 88 ملم فانـدفعنا وسط الجنود وسـرعان ما وجـدنا أنفسـنا وجهًا لـوجه أمام رومل الـذى كان منهمكًا تمامًا فى جمع الشاردين، وقد قرعنى قـرعًا عنيفًا وقال: "إن المدفعية المضـادة للطائرة هى المسؤولة تمامًـا عن الفـوضى التى حدثت لأنهـا لم تطلق نيرانها"، فاسـتجمعت قواى وجريت حيث توجد المدافع، وأوقـفتها وتمكنت من جمع ثلاثة مدافع من عيار 88 ملم مع رجالها.

وفى بضع دقـائق تمكنت من جـمع النصف الآخر من الـبطارية الثقـيلة المضادة لـلطائرات التابعـة لمجموعـة عمليـات الفيلق. وسـرعان مـا ظهرت مدرعات العدو على بعد 1500 ياردة، أسطولاً من الدبابات مكونًا من عشرين إلى أربعين دبابة كـانت تطارد حملة الفيلق الأفريقى الهـاربة، ولم يكن لديها مدفعية لحمايتها وكـانت مكتوفة الأيدى فى وجه هجوم مدرعات العدو، وفى وسط هذا الاضطراب والفـوضى كان رومل مـوجودًا مع هيـئة أركـان حرب الفيلق الأفـريقى كلها، وأركانات حـرب الأفواج وعربات رجـال المخابرات، وبالاختصار العصب الحيوى للوحدات المتقدمة المقاتلة.

وكانت النتيجة الكبرى لهذا الصراع معلقة فى الهواء. ووزعت المدافع على مواقعها فى وقت يعتبر قياسيًا وفى لمح البصر. وكنت على وشك إعطاء الأمر بإطلاق النيران عندما قفزت من الخوف لدى مشاهدتى خلال نظارتى المكبرة أن دبابات العدو على وشك مهاجمة كتيبة المشاة الموجودة على الجناح الأيمن، فلو وصلت إلى هدفها فلن يمكننى إطلاق النيران بدون تعريض رجالنا للخطر. ويجب علينا أن نطلق نيراننا بغاية السرعة ومنتهى الدقة. وصحت: "أطلقوا النيران" وانطلقت القذائف إلى أهدافها وسجلت أولى الإصابات المباشرة. وتوقف البريطانيون. وفوجئت الدبابات التى كانت تتقدم نحونا بهذه المقاومة غير المتوقعة، وعادت أدراجها، غير أنها تجمعت ثانية للقيام بهجوم جديد. وصاح الجنرال نهرنغ: "كونوا خطا من المدفعية المضادة للطائرات. يجب عليك يا وولز أن تبنى جبهة من المدفعية المضادة للطائرات للدفاع عن الجنب بكل المدافع المتيسرة لديك" وكانت كلماته كأنها الوحى. ولحسن الحظ ظهر الرائد جيرك ومعه بطارية ثقيلة ثانية. وبعد نصف ساعة وصل أركان حرب رئاسة الجيش ومعه بطارية ثقيلة تتبع وحدة عمليات الجيش التى يقودها رومل بنفسه شخصيًا وفى سرعة جنونية كونت جبهة من المدافع المضادة للطائرات طولها ميلان فى مواجهة المدرعات البريطانية.

وما كاد وولز ينتهى من بناء جداره القوى من المدافع حتى تجدد الهجوم وظهرت أبراج الدبابات البريطانية الصفراء وكانت دبابات القادة تحمل أعلامًا فوق ساريات اللاسلكى. وصدر الأمر: "المسافة ألف ومائتا ياردة، أطلقوا النيران" وانهمرت طلقات عشرة مدافع من عيار 88 ملم المضادة للطائرات بنيرانها على الدبابات البريطانية المتقدمة. وأطلق المدفع المسمى (دورا) ثلاث قذائف على متتالية من على بعد ستمائة ياردة وأصاب دبابة ماركة غرانت

إصابة مباشرة، إلا أن الدبابة الأمريكية لم تكن مستعدة لمثل هذه المقابلة. فأطلق البريطانيون نيرانهم وكل ما لديهم من طلقات. وبعزم وتصميم عاودوا الهجوم، فلقد رأى البريطانيون فرصة سانحة وأرادوا استغلالها.

ولكن عندما حل الليل كانت أعمدة الدخان تتصاعد من أربع وعشرين دبابة للعدو إلى عنان السماء أمام مواقع المدافع المضادة للطائرات. وكانت هذه هى أول مرة فى تاريخ الحرب يقوم فيها قائد المدفعية المضادة للطائرات بقتال المدرعات على هذه المسافة القريبة، غير أن المعركة لم تكن قد انتهت بعد فقد أحضر البريطانيون المدافع وصبوا نيرانهم على مواقع المدفعية الألمانية، فقد صمموا بكل عزم على تحطيم هذا الجدار الفولازى. وكان مصير الفيلق الأفريقى يتوقف على هذا الجدار.

واتخذ الجنرال نهرنغ مركز قيادته التكتيكى خلف خط المدافع بنصف ميل وذلك لأهمية هذا القطاع البالغة. وضربت مدفعية العدو مواقع بطاريات المدافع فى الخط بوابل من المقذوفات وأبادت تمامًا بعض أطقم المدافع. وكان الرائد جيرك والعقيد وولز يمران باستمرار خلف الخط وعلى طول الجبهة يشجعان الجنود لأن سقوط هذا الخط الدفاعى كان معناه كارثة محققة للفيلق الأفريقى كله. وجاءت النجدة من السماء وأخذت الريح الجنوبية المعروفة (بالجيبلى) تهب وتغطى كل شيء بردائها الترابى وخف الخطر مؤقتًا. إلا أن الأزمة الكبرى كانت مازالت موجودة، لأن موقف المدرعات أخذ يزداد سوءًا نتيجة لنقص الإمداد[1].

(1) بول كارل- نفس المرجع ص253.

وسأل روميل رئيس أركان حربه جوس في مساء 28 مايو: «ما الذى حدث لهجوم الجنرال كروويل بالمواجهة؟» وبدون أن ينتظر الإجابة قال: «يجب أن نخترق حقل الألغام من الغرب لكى نخلص المؤخرة. أخطر كروويل بذلك بواسطة اللاسلكى».

وها هو الجنرال كروويل يقص علينا الآن بأسلوبه الخاص ما حدث فيقول: "خلال ليلة 28-29 مايو تلقينا رسالة باللاسلكى من الجنرال روميل يأمرنا فيها بهجوم عاجل بالفيلق الموجودة تحت قيادتى. فأرسلت قائد المدفعية العقيد كروز إلى القيادة الإيطالية. وكان عليه أن يجد حارسًا ومعه مسدس إشارة ليعين لنا مكان الخطوط الإيطالية، وركبت طائرتى فى الثامنة والنصف ولم يكن لدى قائد الطائرة الخريطة المجهزة الصحيحة للرحلة. وقد أعطاه الجنرال فون والدو (وكان يقود سلاح الطيران الألمانى فى الصحراء العربية) اتجاهًا محددًا، إلا أنه ظهر لى بوضوح أننا مازلنا نطير مباشرة فى اتجاه الشرق. وطمأننى الطيار وقال"إنه لا يمكن أن نخطئ الإشارة الضوئية". ولكن أسواء ما فى الأمر قد حدث، فقد كنا فوق الخطوط البريطانية، وكنا نطير على ارتفاع خمسمائة قدم وتعرضنا لضرب المدافع الرشاشة. وأصابتنا دفعة الطلقات الأولى فى ذيل الطائرة. وأما دفعة الطلقات الثانية فأصابت الماكينة، والثالثة قتلت الطيار وسقط ميتًا فى مقعده. وبمعجزة لم تسقط الطائرة ولم تندفع إلى الأرض محطمة بل طارت ثم هبطت هبوطًا اضطراريًا مثاليا وتحولت الأجزاء السفلى منها إلى حطام وطار الهيكل وتمزق من حولى. إلا أن باب الطائرة لحسن الحظ لم يغلق. وظهر أننا هبطنا فى الخطوط الأمامية لأحد المواقع الصندوقية للعدو وكان يحتله اللواء 150 البريطانى وهرع الجنود

البريطانيـون وأخذونى أسيراً. وبعد ذلك بعـام علمت من الجنرال كروز الذى أسر فى حرب تونس، إن طلقات الإشارة لم تطلق بالمرة لأن الضابط المسؤول عن ذلك قد استدعى للتلفـون الموجود فى حفـرته فى نفس اللحظة التى كنا نحلق فيها فوقه بالطائرة"[1].

يقول رومل فى مذكراته:

وفى أول ضوء (29 مايو) تحـركنا صوب فيلـق أفريقيـا وسار كل شىء على ما يرام.

وعند وصولنـا لميدان المعركـة وجدنا أن فيـلق أفريقيـا قد هوجم قـبلها مبـاشرة بواسطة المدرعات البـريطانية من الشمـال والشرق. وكان العـجز فى الوقود والذخيـرة قد قيد حرية الحـركة بدرجة كبيـرة ولكن هذا الوضع انتهى بوصولنا. وفى عصـر نفس اليوم أقمت مركز قـيادتى فى هذه المنطقة. والآن وقد تم الاتصال بين جميع أجزاء الجيش فقد استطعت أن أحصل على صورة واضحة للموقف بوجه عام.

وكنا قد نجحنا فى حشد قواتنا على جانبى مدق العبد وأقمنا خطا دفاعيا متينا ولكن القـوات الألمانية الإيطالية كانت قـد تكبدت خسائر كبـيرة. وكان طريق إمدادنا قد أوشك أن ينقطع بفعل الوحدات المحملة البريطانية جنوب بير حكيم. وكـان هجوم المشـاة الإيطاليـة على خط الغـزالة قد شق طريقـه إلى المواقع الرئيسية للبـريطانيين ثم توقف فى مواجهة التحصينات الـدفاعية القوية لهذه المواقع. وكان قـائد هذا الهجوم الجنرال كروويل وقـد سقط بطائرته من طراز سـتـورش واعتـبـر مـفـقوداً، وبعـد ذلك سـمـعت أنه وقع فى أسـر البريطانيين. ولم يكن هو الجنرال الوحيد الذى خرج من المعركة فى هذا اليوم

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 254.

لأن الجنرال فون فيرست قائد الفرقة 15 بانزر جرح واضطر للخروج من ميدان المعركة. وكان البريطانيون قد حشدوا لواءاتهم "الثانى" و"الرابع" و"الثانى والعشرين" المدرعين وانضم اللواء 201 حرس إليهم ثم ألقوا بهذه القوة بأكملها ضد جبهتنا فى هجمات مضادة عنيفة.

وتحت هذه الظروف كان استمرار هجومنا نحو الشمال يعتبر مخاطرة جسيمة. وخرجت بعد تقدير الموقف بأنه يجب علينا فتح طريق إمداد مأمون لقوتنا الضاربة ولهذا قررت تحريك وحدات من الفرقة 90 خفيفة وبعض عناصر فيلق أفريقيا لاختراق حقول الألغام من اتجاه الشرق وكان على باقى القوات الالتجاء للدفاع على جبهة ضيقة لستر هذه التحركات وبمجرد إتمام الاختراق لتحصينات الغزالة قررت اجتياح بير حكيم (وهو الحصن الجنوبى الموجود فى طرف الخط البريطانى). وقد وضعت هذه الخطة على أساس وجود قوات ألمانية محملة كبيرة جنوبى الطريق الساحلى ولذلك لن يجرؤ البريطانيون على استخدام أى جزء مهم من تشكيلاتهم المدرعة فى الهجوم على الإيطاليين فى مواجهة خط الغزالة لأن أى هجوم مضاد بواسطة فرق البانزر تحت هذه الظروف يضعهم بين نارين. ومن ناحية أخرى كنت آمل فى المشاة الإيطالية الموجودة فى مواجهة الفرقة الأولى لجنوب أفريقيا والفرقة 50 البريطانية فى إقناع القيادة البريطانية (الشديدة الحذر) بترك كل تشكيلاتها بكامل قوتها فى خط الغزالة ولم أتوقع أن يأمر ريتشى الفرقتين المشاة بمهاجمة فيلق المشاة الإيطالى بدون معاونة من تشكيلات أخرى لأن مثل هذه العملية لا يتوفر فيها ما يطلبه البريطانيون من نتائج مؤكدة 100٪ كعادتهم (يبين هذا أهمية تحليل نفسية قادة الأعداء وطريقة تفكيرهم وإدخالها كعنصر أساسى فى وضع الخطة). وعليه فقد توقعت أن تستمر اللواءات الميكانيكية البريطانية فى

صدم رؤوسها ضد جبهتنا الدفاعية القوية بهذا الأسلوب وتستنزف قواها فى هذه العملية. وكان دفاعى سيتم بطريقة تتميز بأقصى ما يمكن من المرونة وخفة الحركة وقد أصدرت أوامر هذه العمليات فى ليلة 29 مايو(1).

مجلس حرب برئاسة روممل

هكذا كان الموقف فى 29 مايو 1942 وبالطبع فقد تأخر هجوم الفيلق الإيطالى بالمواجهة إلا أن الفيلد مارشال كسلرينغ قفز إلى المعمعة وتولى قيادة الفيلق محل كروويل فى جبهة الغزالة، بل طلب أن يعمل نائبًا لروممل فى القيادة قابلاً أن يكون تحت إمرة كولونيل جنرال بينما هو برتبة الفيلد مارشال.

وعقد روممل مجلس الحرب وحضره نهرنغ وجوس ووستفال وبايرلاين وأجمع الجميع على أن الموقف فى منتهى الخطورة. واقترحوا ضرورة اقتحام طرفى الكماشة. وحيث إن تقدم كروويل قد توقف فإن الإجراء الممكن الوحيد هو اختراق موقع الغزالة فى اتجاه الغرب لكى يمكن معاودة الاتصال بقواعد الإمداد. وتردد روممل إلا أنه وافق فى النهاية . فلقد خسر المعركة ولكن ربما بقرار جرىء يمكنه تفادى وقوع كارثة حقيقية.

وفى يوم 30 مايو بعد منتصف الليل بقليل، وضعت الخطة موضع التنفيذ. وفى الصباح وصلت القوات إلى حقول ألغام العدو فى خط الغزالة الرئيسى من ناحية الشرق. وأصبحت المشكلة أمامهم فى كيفية شق طريق عبر حقل الألغام الكثيف للوصول لطريق الهروب وإلى التموين. واعترف روممل بشرف النصر فى المعركة للبريطانيين، فلقد كان شعاره أنه يجب ألا يحارب فى معركة ميئوس منها ومن نتيجتها(2).

(1) ب. هـ. ليدل هارت- المرجع السابق ص 369.

(2) بول كارل - المرجع السابق ص554.

يقول روميل عن يوم 30/ 5/ 1942 :

وفي أول ضوء يوم 30 مايو تحركت كل الفرق إلى مناطقها المحددة من قبل واحتلت مواقعها الدفاعية. وأثناء هذه التحركات تأكد لنا وجود وحدات بريطانية قوية وتشتمل على عناصر مدرعة في منطقة الأوالب. وكانت عبارة عن مجموعة اللواء 150 من الفرقة 50 البريطانية "كان اللواء الأول دبابات الجيش قد أرسل لنجدة مجموعة اللواء المذكورة وفي النهاية لقي نفس المصير". وفي هذه الأثناء نجحت عناصر من الفيلق العاشر الإيطالي في عبور حقل الألغام البريطاني وأقامت رأس كوبري شرقية بالرغم من أن الثغرات عبر الألغام البريطانية كانت معرضة لنيران شديدة من المدفعية البريطانية مما أدى إلى تأثيرها على قولاتنا بدرجة خطيرة ومع هذا فقد تحقق الاتصال في الظهر بين القوة الضاربة والفيلق العاشر الإيطالي وفتحنا بذلك طريق إمداد مباشر نحو الغرب وأثناء هذا اليوم حاصرنا اللواء البريطاني في غوط الآوالب. «انظر اللوحة رقم 13».

وبعد العصر تحركت عبر حقل الألغام إلى الفيلق العاشر الإيطالي ووصلت إلى رئاسته لاجتمع بالفيلد مارشال كسلرينج وقائد الفيلق العاشر الإيطالي والرائد فون بيلوف (من أركان حرب الفوهرر). وفي هذا المؤتمر أخطرتهم بخططي المستقبلية والتي تتضمن قيام الفيلق الإفريقي بستر حقل الألغام البريطاني ضد كل الهجمات من الشمال الشرقي حتى نطهر أولاً كل الجزء الجنوبي من خط الغزالة ثم تستمر بعد هذا في الهجوم. وخلال هذه العملية كنا ننوي تدمير اللواء 150 البريطاني في غوط الأوالب وبعده اللواء الأول الفرنسي أحرار في بير حكيم.

وكان العدو متردداً للغاية في متابعته لتحركاتنا، لأن انسحاب القوات

الألمانية الإيطالية قد جاء مفاجأة كبرى بالنسبة له، وعلى أي حال فإن القيادة البريطانيــة لم تكن سريعة فى رد الفـعل المتسبب عن أى تحـرك على جانبى.
وأثناء الصبح تأكد لنا وجود مـنطقة تجمع بريطانية شرق وشمال جـبهتنا وبها 280 دبابة فى المنطقة الأولى و150 فى الثـانية وتوقعنـا أن يوجه البريطـانيون ضربتــهم الكبرى فى أى لحظة. ولكن لم يحدث أى شيء فـى الصباح فيـما عدا عدة هجمات على فرقـة آريتى استطاع الإيطاليون صدها، وعدد آخر من الهجـمات الضعـيفة على باقى جـبهتنا.وقـد دمرنا 57 دبابة بريطانية فى هذا اليوم.

وبعد الظـهر استطلعـت بنفسى إمكانيـات الهجوم عـلى غوط الأوالب وحددت وحدات من فيلق أفـريقيا والفرقة 90 الخفيفة وفـرقة تريستا الإيطالية للقيام بهذا الهجوم على المواقع البريـطانية فى صباح اليوم التالى، وقد انطلق الهجوم فـى صباح يوم 31 مايو، وشقت الوحدات الألمانيـة الإيطالية طريقها ياردة فيـاردة ضد أعنف مـقاومـة بريطانية يمكن تخـيلها، وكـان الدفاع يدار بمهارة كبيرة وقاتل البريطانيون كعـادتهم لآخر طلقة، كما أنهم استخدموا فى هذه المعركـة مدفعًـا مضادًا للدبابات من عـيار 57 مم "المدفع 6 رطل مضاد للدبابات" للمـرة الأولى. ومع كل هذا فـعند حلول المســاء كنا قـد اختـرقنا المواقع البريطانية بعمق[1].

يقول اللواء إدموندز يونغ عن روملِ ما يلى:

ما أن بدأت تباشـير صباح اليوم الثلاثين من مـايو وراحت أنواره تغمر الكون حتى كانت كل فـرقة من الفرق قد تحركت إلى المنطقـة التى خصصت لها واتخذت موضـعًا دفاعيًا. وقد لاحظنا خـلال هذه الحركات، تدفع قوات

---

(1) ب. هـ . ليدل هارت- المرجع السابق ص370.

بريطانيـة قوية تدعمـها الدبابات إلى منطـقة "العوالب" فكانـت هذه القوات تؤلف اللواء البريطـانى المائة والخمسـين التابع للفرقـة الخمسـين التى عززت مؤخرا وفى الوقت ذاته نجح قسم من الفيلق الإيطالى العاشر فى اجتياز حقول الألغام البريطانية، فأنشا له رأس جسر على الجانب الشرقى من تلك الحقوق. على الرغم من النار الحامية التى صبتها المدفعية البريطانية على الإيطاليين أثناء قيامهم بتطهير الطريق من الألغام، تلك النار التى كان لها تأثيرها الفعال على أرتالنا المتحركة.

وفى ظهر ذلك اليوم تم الاتصال بين القـوات العاملة فى الميدان والفيلق الإيطالى العاشـر، وبذلك تم فتح طريق مـباشرة فى الـغرب لتأمـين وصول الإمـدادات والنجدات. وفى أثناء النهـار كـان اللواء البريطانى قـد طوق فى "غوط العوالب".

وفى المساء اندفـعت عبـر حقل الألغام، حـيث يقع مقـر قيـادة الفيلق الإيطالى العـاشر، وذلك للاجـتمـاع بالفيلد مـارشال كـسلرنغ قائد الفـيلق الإيطالى والمقـدم فونبلو ممثل الفـوهرر، لاطلعـهم على الخطط التى أعددتـها للمعركة.

كانت حقول الألـغام البريطانية قد سـترت بالفيلق الأفريقى الألمانى من أى هجوم قد تقـوم به الوحدات البريطانية من الشـمال الشرقى. وفى الوقت ذاته صممت على تحطيـم الجزء الشمالى من موضع الغـزالة بكامله، ومهاودة الهجـوم بعد ذلك. وكان ينبـغى أن تشمل هذه العمليـة قبل كل شىء تحطيم اللواء البريطانى المائة والخـمسين فى العوالـب، واتباعـه باللواء الفرنسى الأول فى بير حكيم.

وكل ما فعله العدو هنا، أنه راح يتعقب انسحابنا مترددا حذرا فقد جاء ارتداد التشكيلات الألمانية الإيطالية مفاجأة مدهشة له. وكان من أثرها أن القيادة البريطانية لم تستغل ذلك الارتداد، فتعاود الهجوم ضدنا بالسرعة المطلوبة.

لقد لاحظنا صباح الثلاثين من مايو أن البريطانيين قد تمركزوا فى مواضعهم شرق جبهتنا، تشد أزرهم مائتان وثمانون دبابة، بينما حشدوا شمالنا قوات من المشاة تساندهم مائة وخمسون دبابة. ولقد لبثنا ننتظر قيام البريطانيين بهجوم شديد ضدنا. غير أن مثل هذا الهجوم لم يقع، وإنما استعيض عنه فى الصباح بهجمات بريطانية ضئيلة، وجهت نحو فرقة أريتا الإيطالية، وقد صدرت هذه الهجمات من قبل الإيطاليين وإن كان الإنجليز قد أصابوا بعض التقدم فى بقية قطاعات الجبهة، وقد تم تحطيم سبعة وخمسين دبابة إنجليزية فى ذلك اليوم.

وفى المساء قمت بنفسى باستطلاع لأعرف قابلياتى فى مهاجمة القوات الإنجليزية التى تحتل غوط العوالب. وقد أعددت قسمًا من الفيلق الأفريقى الألمانى، وآخر من الفرقة التسعين الخفيفة. وفرقة تريست الإيطالية، لمهاجمة مراكز البريطانيين فى تلك المنطقة فى الصباح التالى.

تقدمت التشكيلات المهاجمة ضد اللواء البريطانى المائة والخمسين فى صباح اليوم الحادى والثلاثين من مايو. وقد شقت الوحدات الألمانية الإيطالية طريقها يردا فيردا إلى أمام، فجابهت مقاومة بريطانية عنيفة لا يتصورها العقل! كانت خطة الدفاع البريطانى قد أعدت بمهارة وحذق. وقد حارب البريطانيون - كما هى عادتهم- حتى آخر إطلاقة بقيت لديهم. واستعملوا نوعًا جديدًا من المدافع المضادة للدبابات ذات عيار 57 مليمترًا، ومع ذلك فقد

توغلنا مساء ذلك اليوم، فى منطقة مهمة من مواضع البريطانيين. وفى اليوم التالى كان على القوات البريطانية أن تتلقى الضربة الأخيرة. فبعد قصف قوى قامت به طائراتنا، اندفعت قواتنا نحو مواضع البريطانيين، وفى هذا اليوم اشتركت أنا والعقيد فستفال مع القوات المهاجمة فى المعركة وقد جرح فستفال- لسوء الحظ- جرحًا بليغًا فى ذات اليوم، إذ أصيب بشظية قنبلة مدفع بريطانى، ثم نقل إلى أوروبا للمعالجة وهكذا بقيت أعمل لوحدى فى الأيام التى تلت ذلك الحادث. كانت إصابة فستفال خسارة فادحة فقد كانت مساعداته لى ذات قيمة عالية لا تقدر، لما امتاز به من خبرة ومعرفة واستعداد لحسم الأمور حسمًا ناجحًا.

واستمر الهجوم، وراحت خطوط الدفاع البريطانية التى أحسن إنشاؤها وتعزيزها، تسقط الواحد تلو الآخر فى يد قواتنا، وهكذا ما انقضى ظهر ذلك اليوم حتى استولينا على مركز العوالب برمته، عندما بلغت المقاومة البريطانية نهايتها. وقد أخذنا من البريطانيين ثلاثة آلاف أسير، وحطمنا واستولينا على 101 دبابة وسيارة، وغنمنا 124 مدفعًا من مختلف الأنواع[1].

نورد بعض المعلومات عن مؤلف كتاب رومل الذى وقع فى أسر قوات رومل نفسه وهو اللواء دزموند يونغ، وما شهده فى حياته من مخاطر وما يزاوله الآن من أعمال فنقول:

ولد إدموندز يونغ فى عام 1891 من أب بحار، وهو الكومودور سير فريدريك يونغ، وأم نيوزيلندية. وكان أبوه على رأس قسم فى البحرية، مهمته إنقاذ السفن الغارقة أو المحطمة إبان الحرب العظمى الأولى. ولقد ورث

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص311.

دزموند عن أبيه ذلك الولع بالبحار، وركوبهـا وإنقاذ السفن وانتشار حطامها. ثم كتب عن ذلك كتابًا.

وفى عام 1924 اتجه اهتـمامـه إلى شىء آخر، غـير السـفن، فاشـتغل بالصحافـة وبدأ حياته الصحفيـة فى صحيفة "يوهانسبـرج ستار" فى جنوب أفريقيا، ولم تمض عليـه سوى سنة واحدة حتى أصبح رئيسًا لتحـرير صحيفة "ناتال ويتنس" وفى عام 1928 التحق بجريدة "كيب تيمز".

ثم سافر يونغ إلى الهند رئيسًا لتحرير صحيفة "بيونير" فى عام 1933.

ثم التحق فى سنة 1940 بالعمل فى الحكومة الهندية كمستشار صحفى.

والتحق بالجـيش الهندى فى سنة 1941، ثم وقع فى الأسـر عام 1942 فى شمال الصحراء العربية، وقضى ستة عشر شهرًا فى معسكر أسرى الحرب فى إيطالى، ثم هرب منه فى سـبتمبـر عام 1943 إلى سويسـرا حيث أصدر صحـيفة هنالك لأسرى الحـرب من بريطانيا ودول الدومنيون، وقـد بلغ عدد هؤلاء الأسر 5000 وكان توزيع هذه الصحيفة 4.600 نسخة.

ولما أعـفى يونـغ من العمـل فى الجـيش الهندى فى عام 1946، اشترك فى إصدار صـحيفتـين فى الباكستـان، وبعد ذلك غادر الهند نهائيًـا فى عام 1947.

كيف أسر يونغ؟:

وقد تحـدث اللواء إدموندز يونغ فى مطلـع كتابه "رومل" عن كـيفـية إصابته، ووقوعه أسيرًا بأيدى قوات رومل، ثم نقله ومن معه من الأسرى إلى إيطاليا، وها نحن نقدم ترجمة ذلك المطلع.

ما أن أشرقت شمس اليوم الأول من يونيو، وراحت ترسل أشعتها الحادة حتى انتهينا من تطهير حقل الألغام الواقع غربى "بير حرمات".

وقبل مساء مضى، وحيث كنا فى مقرات لواء المشاة الهندى العاشر وحواليه اقتحمت الدبابات الألمانية مواضعنا وراحت تطاردنا.

وقد كنا جميعًا مبتئسين شأننا فى ذلك شأن الأسرى الآخرين الذين يبيتون ليلتهم فى العراء.

كنا خليطًا من البريطانيين والهنود. وكان بعضنا - وهو لا يرتدى غير ثوب وبنطلون قصير- يرتجف من البرد، بيما كان البعض الآخر قد تلفع بالمعاطف فلم يظهر من جسمه غير العينين وتدثر بالبطانيات وغطى رأسه بخوذة ضيقة.

كان الكل منا قد أخذ منه التعب والجوع مأخذه بالإضافة إلى الأوساخ التى تراكمت فوق جسده، وهكذا بدأنا نتحقق أن المثل الساخر الذى يستعمله سكان الشرق الأوسط بقولهم "يخفى نفسه فى كيس" إن هذا المثل لم يكن ليحمل الهزء والفكاهة.

كان حراسنا يحدجوننا من وقت لآخر بنظرات تحمل معنى الازدراء وعدم الاكتراث، بنفس النظرة التى كنا نحن أنفسنا ننظر بها تلك الأرتال الطويلة من أسرى الطليان.

وإذا أرعبتنى الألغام، رحت أدب ببطء على طول حافة حقل الألغام، وفى اللحظة التى كنت فيها على وشك أن أضع فيها قدمى دون عناية واهتمام، هتف بى أحد الجند الألمان بحدة، أن أعود إلى الرتل، وإذ ذاك انتبهت إلى الموضع الذى كنت فيه.

وقد مررنا، على الجانب الآخر من حقل الألغام، من أمام بطارية ألمانية كانت ما تزال تواصل أعمالها. كانت مدافعنا ودباباتنا تبحث عن هذه البطارية. وكانت القنابل التى تقذف المدافع الثقيلة من ذوات الخمسة والعشرين رطلاً، والإطلاقات التى ترميها الدبابات، كانت هذه القنابل والإطلاقات قد شرعت تنهال حوالى الرتل، وقد أصابت إحدى القنابل ضابطًا شابًا بجانبى فاقطتعت منه ساقه ورفعتها عاليًا إلى الهواء.

وهنا بدأت أصوات الهلع والفزع تتعالى من الجبهة. وقد اقتحم كل واحد منا الآخر وراح يلملم أطرافه، ويلتصق به ويتدافع. ولقد ركضت مع البقية بضع ياردات ولما وجدت أن من السهل أن أجرى وسط القنابل المحترقة بنفس السرعة التى أجرى فيها خارج نطاق تلك القنابل. فقد تراجعت قليلاً وشرعت أسير سيرًا اعتياديًا، وعلى حين غرة وجدت نفسى بجانب شاب أشقر اللون من أفراد الفيلق الأفريقى الألمانى ممن عهد إليهم أمر العناية بالمؤخرة. وقد أشار إلى ذلك الشاب بأن أجرى، وإذ ذاك خلعت قبعتى وأريته شعر رأسى الذى وخطه الشيب.

وكما يبدو التردد والحيرة على الجرو الذى يرافق قطيعًا من الغنم، ويكون فيشك من قدرته على افتراس الشارد من القطيع أو حماية البقية، بدا التردد على ذلك الشاب، وإذ ذاك أسرع فى تعقب الرتل وأومأ إلى أن ألحق به.

وإذ بدا لى أن البطارية مازالت مستغرقة فى عملها رحت أتجول خارج الجناح، وعلى بعد خمسين ياردة أو ما يقرب من ذلك، عثرت على ما كنت أبحث عنه وهو خندق مستطيل، وإذ ذاك قذفت بنفسى فيه ورحت أهيل التراب على حتى قمتى فقد كان الاستسلام فى الصحراء هى النهاية التى

تحدث نادراً. وقد منيت نفسى بأن أظل مضطجعًا فى ذلك الخندق إلى أن يحل الظلام وإذ ذاك أخذ طريقى عبر حقل الألغام. أما الدار التى يمكن أن أستريح عندها فقد لا أعثر عليها إلا فى "العضم" بينا قطع خلق كثيرون قبلى أطول من تلك المسافة مشيًا على الأقدام.

وما لبث أن انكشف أمرى بعد عشرين دقيقة، فقد أوقف ضابط ألمانى سيارته على مقربة منى. وكان الضابط قد لمحنى عند مروره، فتوقف عن السير على أننى ما لبثت أن مرقت من الخندق واندفعت إلى مقدمة الرتل، تحت وابل من القذائف المتساقطة. وقبل أن ألتحق بالبقية هتف بى ضابط ألمانى بالإنجليزية قائلاً: "أأنت هنا أيها الضابط الكبير؟" وقد أكون ضابطًا كبيراً غير أننى فى الواقع كنت أكبرهم سنًا. وعاد الضابط الألمانى يحدثنى فقال: ستذهب وضابطين ألمانيين فى سيارة وسترفعون معكم علم الهدنة. وعليك أن تنبئ رجال مدفعيتكم أن يكفوا عن إطلاق النار لأنهم إنما يعرضون رجالكم للخطر ليس إلا!".

لقد كان فى ذلك الكفاية حقًا. إن شعور أسير الحرب لا يسمح له- بصفة طبيعية- بأن يفعل ما يطلب منه الغير، ولذلك أجبت الضابط بأننى لا أستطيع أن أنجز ما طلب إلى إنجازه.

فرد على قائلاً: "باستطاعتك أن تعهد إلى ضابط آخر القيام بهذه المهمة" فكان جوابى هذه المرة إننى لا أستطيع أن أصدر إلى أحد أمراً كهذا.

ولقد مرت بى لحظات غريبة خلال الستة عشر شهراً التى أنفقتها فى الأسر، وأنا أتساءل متعجبًا ماذا كان رجال المدفعية - عند وصولى إليهم -سيقبلون بعودتى إلى الأسر، وعما إذا كنت خاطئًا فى رفضى تحقيق ما طلبه منى ذلك الضابط.

وفى هذه اللحظة وقفت سيارة ألمانية، فقفز منها ضابط قصير يرتدى بدلة جيدة جديدة تختلف عما كنا نرتديه، وقد لاحظت أن هذا الضابط يملك عينين زرقاوين براقتين وذقن بارز وتبدو عليه ملامح رجال القيادة، وقد شرع الضابطان يتحدثان بضع ثوانٍ، التفت بعدها الضابط الذى يعرف الإنجليزية وخاطبنى بجفاه قائلاً:

لقد أمرنى الجنرال بأنك إذا لم تقبل إطاعة الأمر الذى أصدرته إليك الآن، فإنك لن تجبر على أن تفعل ذلك.

حدجت الجنرال بنظرة فشاهدت على وجهه - كما توقعت- شبح ابتسامة.

وأيًا كان الأمر فإن تدخل كان ذا قيمة، ثم أشحت عنه قبل أن أعود إلى الرتل، وآخذ طريقى إلى معسكر الأسرى.

كان من النادر على أن أخفق فى تمييز روميل عن غيره من الضباط الألمان، كما كنت بالكاد أتوقع أن يكون ذلك الجنرال ذو العينين الزرقاوين البراقتين وهو روميل نفسه، إلا بعد بضع سنوات، وعندما أرتنى أرملته قناع الموت الذى أخذ له، وقصت على مأساة مقتله[1].

1 مايو 1942م

عزيزتى لو

أنا بخير. وقد مرت أحرج لحظات المعركة وللآن نحن متفوقون. ولكن الأيام القليلة القادمة ستكون شاقة: وقد سقط كروويل بكل أسف فى أيدى البريطانيين بما فى ذلك طائرته من طراز ستورش ولكن مازلت آمل فى أن أشق له طريق للخرج من الأسر.

---

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص340.

وفى اليوم التالى كان المدافعون سيتلقون آخر ضربتهم، فبعد هجمات عنيفة من طائراتنا المنقضة اندفعت المشاة مرة أخرى ضد مواقع البريطانيين. وقد ذهبت معهم ورافقنى العقيد ويستفال الذى جرح لسوء الحظ فى هجوم مفاجئ بالنيران بواسطة الهاونات البريطانية مما أدى لترحيله إلى أوروبا واضطرت للعمل بدونه فيما بعد. وكانت هذه خسارة كبيرة لجيش الباتزر لأنه كان شخصية هامة جداً بسبب عمله الغزير وخبرته وقراراته السريعة. ومع هذا فالهجوم قد استمر، وقد اجتحنا الدفاعات البريطانية بمشقة كبيرة وأخيرا فى أوائل العصر كان الموقع كله فى أيدينا، وتوقفت مقاومة البريطانيون، وقد أسرنا فى النهاية ثلاثة آلاف بريطانى ودمرنا أو استولينا على 101 دبابة وسيارة مدرعة بالإضافة إلى 124 مدفعًا من جميع الأنواع.

وفى هذا الوقت وقع فى أيدينا أمرًا صادرًا من اللواء البريطانى الرابع المدرع يتضمن عدم إعطاء الأسرى الإيطاليين أى أكل أو شراب لحين استجوابهم، ووجدنا أن هذا شىء خطير للغاية لأن مثل هذه الإجراءات ستؤدى إلى جعل الحرب بين البريطانيين والألمان (وهى سيئة على ما هى عليه) تزداد ضراوة ووحشية ومرارة. ويبدو أن القيادة البريطانية كانت تميل للأخذ برأينا لأنها سحبت هذا الأمر بناءًا على ردنا عليه.

وفى وقت متأخر من أول يونيه (وبعد سقوط غوط الأوالب) هاجمت وحدات الاستطلاع البريطانية الجبهة التى كانت تستر مواقعنا نحون الشرق والجنوب الشرقى. وتلا ذلك ستارة عنيفة من المدفعية أنصبت أساسًا على نقطة ملاحظتى وجرح الجنرال جاوزى رئيس أركان حربى من شظية صغيرة، وبذا فقد اثنين من أهم أفراد هيئة أركان حربى فى نفس اليوم، وقررت تعيين رئيس أركان حرب فيلق أفريقيا العقيد بايرلان رئيسًا لأركان حرب الجيش.

عزيزتى لو

المعركة تدور لصالحـنا، وقد دمرنا حوالى 400 دبابة العدو. وخسائرنا محتملة. وبعد سقوط غوط الأوالب حل دور بير حكيم التى كان سيتم حصرها واقتحامها فى اليوم التالى فقد كانت مجموعات الإعارة الفرنسية والبريطانية تهاجم خطوط مواصلاتنا من هذا الحصن باستمرار ويجب إيقاف هذا النشاط لما فيه من أخطار[1].

كل شىء فى كفة القدر:

إلا أن الخطة الجريئة لعبور حقول الألغام لم تكن قد نجحت بعد، بالرغم من فتح ثغرة بسرعة خلال الألغام. وكانت فرقة تريستا قد بدأت العمل فى فتح ثغرة فى الألغام من جهة الغرب. إلا أنه يتبين بوضوح أن مواقع الصناديق المختارة بمهارة كانت فى غير صالح العملية. ولم تكن القيادة الألمانية تعلم بوجود صندوق "غوط الأوالب"، حيث كان يتمركز اللواء 150 البريطانى المكون من ألف رجل وثمانين دبابة ماركة 2 فى منتصف حزام من الألغام. وكانت الثغرات خلال حقول الألغام تغطيها نيران المدفعية. وبذلك فإن المرور خلالها فى وضح النهار كان مستحيلاً، أما فى خلال الليل فإن العملية مخاطرة، أضف إلى ذلك أن الجنرال ريتشى لم يعد متردداً كما سبق بل قام بتجميع دباباته ثم قام بالهجوم. وقام لواء الحرس الملكى البريطانى بالوقوف فى وجه الفرقة التسعين الخفيفة والوحدة الثالثة والوحدة الثلاثين من وحدات الاستطلاع والوحدة 580 من وحدات الاستطلاع التى كانت تحت قيادة النقيب فون هومير، فلقد صمد اللواء فى منطقة جسر الفرسان ومنع

(1) ب. هـ. ليدل هارت- المرجع السابق ص371.

المرحلة الثانية والثالثة

هذه القوات من اختراق المواقع إلى الغرب. أما وحدات الفرقتين المدرعتين 21 و 15 فكانت مهددة بخطر الاكتساح كما كان الاختراق نحو الغرب مازال غير ممكن لوجـود الموقع البريطانـى القوى فى "غـوط الأوالب" . وحكم الجنرال ريتشى علـى انسحاب رومل الإسـتراتيـجى بأنه هزيمة. فأرسـل إلى القاهرة باللاسلكى يقـول: "إن رومل يهـرب" وأجـاب أوكنلك: "هنيـئًـا للجـيش الثامن، أعطه الضربة القاسية" . ولكنه كان متفائلاً أكثر من اللازم.

وأصدر رومل أمـرًا صارمًا: "يجب أن تسـقط غوط الأوالب. واللواء 150 يجب أن يكتسح من مـواقعه" . فـهذه كانت الفـرصة الأخيـرة، فإذا لم تنجح فهناك نهاية رومل وجيشه. وكان القائد العام يعلم ذلك والجنود يحسون بذلك. وهكذا فإن مصيـر الحملة، كما يحدث كثيـرًا فى التاريخ العسكرى، كان متـوقفًا على وجوب القضـاء على اللواء وإمكانية تنفيذ الأمر بتـحطيمه. وحل أول يونيو 1942، وما من فرد اشـترك في الحملة الأفريقـية يستطيع أن ينسى هذا اليوم، فكل شىء كان فى كفة القدر.

وأرسل رومل الفـوج الخامس المدرع ليـقتـحم موقع "غـوط الأوالب" ولكن عبثًا فـقد تحطمت اثنتا عشرة دبابة فى حقل الألغام. وقامـت مجموعة قتال "كهل" بالهجوم إلا أن المدافع الرشاشة الـبريطانية ونيران المدفعية صدت هذا الهجوم.

فهل يـعنى أن الأمر كان مـستـحيـلاً؟ ونظر القادة خلال آلات تـقدير المسافة، ومن خلال نظارتهم المكبرة، أخذوا يبحثون، أين توجد أوكار المدافع الرشاشة الملعـونة وأين ينتهى حقل الألغام، وسـجل الجنرال نهرنغ وبايرلاين ملاحظتهـما على الخريطة ثم توصلا إلى قرار هو الآتى: يجب على الكتـيبة الميكانيكيـة الثالثـة المحنكة التـابعة للفـوج 104 أن تنتزع الكسـتناء من وسط النيران.

استسلام اللواء 150 البريطانى:

وكانت قيادة الكتيبة موجودة فى حفرة رملية عمقها ستة أقدام تحت الأرض. وبجوارها كان يوجد مدفع من عيار 88 ملم. وفى هذه اللحظة حلق تشكيل من طائرات ستوكا. وانتظر الجنود وأعصابهم مشدودة لأقصى درجة هل ستلقى قنابلها على الدبابات المصطفة فى الخط الأمامى. وفجأة صاح الملازم كوردل: "يا إلهى إنهم يقذفون بقنابلهم".

ودفنوا وجوههم فى الرمال قبل أن تنفجر القنابل بلحظات. وأصيب المدفع 88 ملم والجرار الملحق به. وأخذت الذخيرة تنفجر مما جعل المعاونة مستحيلة وانتشر الجرحى فى كل مكان. واستغل البريطانيون الموقف على الفور وهاجموا الموقع، وبصعوبة أمكن ردهم. وكانت اللعنات التى صبها الجنود غير قابلة للترديد. وخلال فترة هدوء القتال جاء نداء بأن قائد الكتيبة وأركان حربه مطلوبان فى مركز قيادة الفرقة. وهناك كان يجلس الجنرال فون بسمارك قائد الفرقة 21 المدرعة فى عربة القيادة، وأشار إلى دبابة محترقة عند الأفق وقال مخاطبًا قائد الكتيبة: "هل ترى هذه الدبابة يا أهل؟"

- "نعم يا سيدى الجنرال...".

- "هناك فى ذاك الموقع يوجد الصندوق البريطانى غوط الأوالب وعلى كتيبتك الاستيلاء على هذا الموقع المحصن، إنها مهمة صعبة يا أهل. فحتى الآن فشلت كل محاولات الهجوم. فارسم خطتك للهجوم وأخبرنى عما تنوى أن تفعله. إن الأمر عاجل يا أهل". ثم أضاف فون بسمارك: "سوف يكون فى معاونة الهجوم قوة من المدفعية تحت قيادة الرائد بيل".

وفى الطريق إلى التلقين النهائى الذى يسبق الهجوم مباشرة تقابل أهل

مع الرائد بيل الذى كان واقفا مع الجنرال نهرنغ والعقيد بايرلاين بجوار أحد المدافع من عيار 88 ملم، وكان يشرح بايرلاين الموقف لكوردويل على الخريطة، وفجأة صاح أحدهم: "اختبئوا- طائرات معادية منخفضة" إلا أن التحذير جاء متأخراً فقد أطلقت الطائرات النيران وأصيب أهل، وبذلك فلن يستطيع الاستيلاء على غوط الأوالب. وتولى قيادة الكتيبة وقيادة الهجوم بدلا منه النقيب ويزمان. وقد أعطانى الملازم وولف موجزاً عن العملية فقال: "كان كل شيء يتوقف على اختيار نقطة ابتداء جيدة ثم محاولة الاقتحام بأقصى سرعة. وعند خيوط الفجر الأولى أعطت غلالة المدفعية إشارة الهجوم، وعلى الميسرة كانت توجد السرية التاسعة وعلى الميمنة كانت توجد السرية العاشرة، وفى الوسط قيادة الكتيبة وبهذا التشكيل تقدمنا بسرعة 40 ميلاً فى الساعة لنقطع الميل والنصف التى تفصلنا عن المواقع البريطانية. وكانت كل سرية يصحبها جماعة من المهندسين لكى تفتح لها ثغرة فى الأسلاك الشائكة والألغام.

ونجحت السرية العاشرة فى اختراق حق الألغام أثناء اندفاعها الأول، إلا أن السرية التاسعة توقفت فى منتصف الحقل وركزت نيران المدافعين من الصندوق على الرجال وعرباتهم.

وصاح النقيب ويزمان فى مساعده الذى هو أنا: "وولف، أسرع إلى السرية التاسعة وأصدر الأوامر لهم بالخروج من حقل الألغام لأن بقائهم هناك أشد خطورة من قيامهم بالهجوم". وكانت التدريبات على الاقتحام تقول: "لا محاورة فى التقدم، بل تقدموا رأساً إلى العدو" وكانت هذه هى الفكرة الصحيحة. ولكن هل يمكنهم التراجع لمسافة ميل ثم معاودة القيام بالهجوم مرة ثانية؟ ربما يبدو هذا معقولاً نظرياً، ولكن من الذى يستطيع القيام به

عمليًا؟ وفى وثبات خاطفة تمكن وولف من الوصول إلى السرية التاسعة. وكان العدو مختبئًا فى مواقع محصنة وأحسن إخفاؤها. وكان عليه أن يظل قابعًا فى مواقعه ليتصيد المهاجمين، وهذا ما فعله[1].

وأصيب الملازم وولف، فتحامل على نفسه حتى وصل إلى السرية وتلقاه المساعد فريدريك وهو يسقط، وبأوامر من وولف جمع بعض المهندسين والمتطوعين وطهر ثغرة ضيقة خلال حقل الألغام وهكذا أمكن للسرية أن تمر خلال الحقل. وفى وثبات ثلاث يعقب كل وثبة الانبطاح على الأرض ثم القيام ومعاودة التقدم، حدث فجأة أن توقف المدفع الرشاش الملعون عن الضرب، فهل حدث له عطل؟ إذن فعلينا الإسراع بالتقدم. وكان البريطانيون مازالوا يحاولون إصلاحه عندما صاح الألمان عليهم: "ارفعوا أيديكم" فأطاع طاقم المدفع. وهكذا استولى الألمان على أول المواقع البريطانية وتلى ذلك صراع بالأيدى والسلاح الأبيض والقنابل اليدوية والرشاشات، ودقت مدافع بيل مواقع المدفعية المخفية وزأرت طائرات الستوكا وأسقطت قنابلها فى هذه المرة فوق الهدف تمامًا.

وفى وسط المعمعة ظهر رومل بنفسه فجأة إلى جوار ويزمان، وإلى اليسار واليمين كانت المدافع الرشاشة تفرغ أحزمة ذخيرتها. وقال رومل: "إن العدو بدت عليه مظاهر الضعف. لوحوا لهم بعلم أبيض وسوف يستسلمون". وتساءل ويزمان فى عجب: "هل هذا وقت التلويح بالأعلام؟؟ لابد أن الرجل العجوز قد أصابه العته، وما الهدف من هذا التلويح الذى يدعو إليه؟؟ فإنهم مازالوا يقاتلون كالشياطين". وعندما لوح الألمان بعلمهم الأبيض فعل الإنجليز مثلهم وكان القليلون منهم لديهم مناديل بيضاء، ومن ثم

(1) بول كارل - المرجع السابق ص259.

فقد لـوحوا بكوفياتهم. ونزع أحـدهم قميصـه وأخذ يلوح به في عصبـية ثم حـدث شيء مذهل. فـقـدخرج الـبريطانيـون من مـواقعـهم وأيديهم فـوق رؤوسهم.

وهكذا استسلم ألفان من البـريطانيين لثلاثمائة من رجال الكتيـبة الثالثة من الفوج 104. وهكذا استسم الواء 150 البريطانى، وضاعت بذلك الفرصة على أوكنلك لتوجيه الضربة القاضية إلى رومل.

وكان رومل يأمل أن يـكون الجنرال كروويل التى أسقطـت طائرته فوق موقع غـوط الأوالب وأسر يوم 29 آيار مـازال موجـودًا داخل هذا الصندوق الدفاعى إلا أن البريطـانيين كانوا قد أرسلوه قبل ذلك بـساعات إلى الخلف. وذكر لهم طاهى اللواء البريطانى الذى أسره، أنه قد أعـد للجنرال غذاء شهيًا من اللحم إلا أنه لم يكن لديه شهية لتناوله[1].

وكانت الخسـائر التى لحقت بالكتيبـة الثالثة فادحـة جدًا. وكان من بين الذين سقطوا من الضباط والجنود مـحارب قديم هو العريف بورستل، ورغم أنه كان شابًا إلا أنه كان محبوبًا من رجاله. ومرة أخرى كان فى وسط المعمعة مع دراجـتـه النارية، وكـانت هذه الدراجـات القليلـة التى ظلت تعـمل فى الكتيبة. فلقـد أحضرت بورستل أول الجرحى وعاد بدراجتـه محملاً بصناديق الذخيـرة عبر الثـغرة الموجودة فى حـقل الألغام والتى ركـزت نيران المدفعـية عليها. وكـرر الرحلة أربع مرات إلا أنه فى رحلته الخامسـة أصيب بجرح فى المعدة، وهـذا النوع من الجروح مخـيف جدًا فى أفـريقيـا. وكان مـعه رجل جريح فى العربة الجانبية للدراجة وفـكر بورستل بسرعة وقرر الوصول بأسرع ما يمكـن إلى محطة الإسعـاف وإلا فسـيمـوت هو ومن معه. ولـم يترجل

---

(1) بول كارل - المرجع السابق ص261.

بورستل أو يطلب أحدًا من حملة النقالات، بل قـاد دراجته بيده اليمنى وهو يضغط بيده اليسرى على الجرح المـوجود فى معدته. ووصل إلى هدفه وسقط من على الدراجة وبعـد ساعات قـلائل فارق الحيـاة وكانت محطة الإسـعاف موجودة على طريق كابوتزو، ومازال الكثـير من الجنود الألمان يتذكرونها حتى اليوم. والواجب على المـؤرخين الذى يجمـعون تاريخ المعارك ألا ينسـوا مثل هذه المحطات.

وكانت الشمس تسلط حرارتها بلا رحمة على طريق كابوتزو، والجرحى يصيحون من الألم ويئنون فى طلب الماء، وحـتى بعد هبوط الليل لم تستطع السيارات نقل الجرحى إلى محطة الإسعـاف الرئيسية. وكان الصليب الأحمر ورجاله لا يسـتطيعـون الوقوف على أقدامـهم. فالطبـيب كان على وشك أن يغمى عليه من شدة التعب.

وفى الساعـة الثامنة مسـاء كان طابور السـيارات المكون من مائة سـيارة خفيفة على اسـتعداد للتحرك، ولم يكن متيسـرًا سوى عربات إسعاف قليلة. وكان المركز الرئيسى للإسعاف فى التميمى على بعد ستين ميلاً.

وكان من بين الجـرحى فى عربة الإسعاف النقـيب أكرت من مجمـوعة قتال كهل، وقد جرح فى "غـوط الأوالب"، وفى الناحية الأخرى من العربة رقد الليفتنانت جنرال فون فيـرست الذى جرح فى اليوم السابع والعشرين فى مايو، ورقد ليس بعيدًا عنهما اثنان من الجنود قـد أصيبا فى صدريهما ورجل آخر قد تهشمت ساقه. وقـد بذلت كل المجهودات لكى يكون سفرهم مريحًا بقدر الإمكان إلا أن ذلك كان بلا فائدة لأن السائق ليس له الخـيار فى اختيار طريقه. وكانت رحلة شـاقة ففى الخمسمـائة ياردة الأولى أخذ المصابون يئنون ثم يصيحـون إلا أن الرحلة استمرت فوق الحـفر والمنخفضات والحجـارة فقد

كان عليهم أن يلتزموا الطريق وإلا تعرضوا لانفجار الألغام. وكان يحرس الطابور خمس دبابات، وخمس عربات استطلاع، وواصلت القافلة سيرها إلى الأمام إلا أن الرحلة كانت لا تطلق بالنسبة للجرحى، وارتفعت الصيحات واختلطت بالأنين، فأى إنسان يستطيع تحمل هذا؟؟ وتوقف السائقون وأخذ الجرحى المصابون بجروح خفيفة يساعدون الذين لا يستطيعون الحراك، وكانوا فى عذاب، إلا أن القنابل أخذت تتساقط حول العربات، فاضطروا إلى المسير مرة ثانية. وكان طابور العربات قد انتشر وكانت الأوامر تقضى بعدم وقوف العربات على حدة وعليها مواصلة السير، واستغرقت الرحلة تسع عشرة ساعة وكادت هذه الساعات التسع عشرة أن تدفع الرجال إلى الجنون.

وفى محطة الإسعاف الرئيسية كانت الأمور على مثل هذه الحالة من السوء، فالأطباء والممرضات قد أنهكهم التعب، فقد ظلوا يواصلون العمل فى الخيام القذرة المتربة، وفى الحرارة المهلكة، وكان العرق يتصبب من أجسادهم. وكان لديهم بعض الثلج والشمبانيا التى استولوا عليها من البريطانيين، وسمح لكل جريح تسمح حالته بالشرب، وكان يوجد كذلك نبيذ أحمر، وليموناضة مثلجة، وواصل الجرحى الجدد الوصول وظهر الجمود على وجوه الأطباء والممرضات. وتعالت أصوات الآلات الطبية فى هدوء بخيمة العمليات، وكانت الأحاديث مختصرة، وإنه لرجل سعيد الحظ من يستطيع أن يتفادى الموت فى هذه المحطة الرئيسية للإسعاف ويصل إلى درنة ليدخل المستشفى التى تطل على شاطئ البحر المتوسط.

ووصل الرائد أهل قائد الكتيبة الثالثة من فوج قاذفى القنابل 104 الذى أرغم اللواء البريطانى على الاستسلام إلى درنة، ومنها إلى المستشفى الواقع

على شاطئ البحر المتوسط، وفى الغرفة الصغيرة التى رقد فيها أهل كان يوجد سريران آخران مشغولان، أحدهما يشغله ضابط برتبة ماجور جنرال والآخر برتبة مقدم، وذلك وفقًا لعلامات الرتبة المعلقة على معاطفهم الملقاة على المقاعد، وكانا نائمين تحت ناموسيتهما. واستدار الرائد أهل على جنبه بعد أن استيقظ فشاهد الفيلد مارشال كسلرينغ واقفًا فى الحجرة.

وعرف زميليه فى الغرفة فأحدهما الماجور جنرال جوس رئيس هيئة أركان حرب رومل والمقدم وستفال رئيس هيئة أركان حرب الفيلق الأفريقى. فقد جرح كلاهما فى غوط الأوالب. إذ سقط جوس أمام إحدى الدبابات نتيجة لانفجار قذيفة وكان يعانى من ارتجاج فى المخ، أما وستفال فقد دخلت شظية فى فخذه.

ولم يكن كسلرينغ فى أحسن حالاته فقد سمعه يقول لهما:

"يا عزيزى جوس، أنا لا أريد أن أضايقك إلا أن الأمور لا يمكن أن تستمر على هذا الوضع. فيجب على رومل أن لا يتجول هكذا فى الخطوط الأمامية لأنه لم يعد قائد فرقة أو قائد فيلق وهو الآن قائد الجيش. ويجب أن يكون من الممكن الاتصال به فى أى وقت ويجب عليك أن تقنعه بذلك".

وظل كسلرينغ يزمجر فترة طويلة.

ورد عليه جوس قائلاً: "يا سيدى الفيلد مارشال، إن الكولونيل جنرال رومل لا يمكن كبح جماحه، فإنه يتسلل ببساطة إلى الخطوط الأمامية ومن ثم يتعذر على عربة الإشارة أن تلازمه، وإذا لحقته فقد تتعطل، وعندما تلحق به محطة لاسلكى يكون الوقت قد أصبح متأخرًا، ولكن كيف يمكنه أن يقود جيشه هنا فى أفريقيا من الخطوط الخلفية؟ إن هذا النوع من الحروب يتوقف

مصير كل شيء فيه على الخطوط الأمامية" . وعند ذلك تدخل وستفال قائلا : "يا سيدى الفيلد مارشال؛ إنه من المستحيل تثبيت رومل فى مكانه لأنه لكى يمكنه الوصول إلى قرارات حاسمة يجب أن تكون لديه صورة كاملة عن الأرض وطبيعتها" . إلا أنه كان من الصعب إقناع كسلرينغ الذى قال لهما : "فى يوم ما سوف يؤدى ذلك إلى نتائج خطيرة أيها السادة" .

خطة الهجوم فى معركة الغزالة:

يقول اللواء إدموندز عن رومل ما يلى:

إن حركة الهجوم المكشوف يجب أن تنجز، عن طريق هجوم جبهوى تقوم به فرقة المشاة الإيطالية التى كانت تحتل مواضعها فى الغزالة أمام الفرقة الإنجليزية الخمسين وفرقة جنود جنوبى أفريقيا . وقد تقرر أن تسند هذا الهجوم مدفعية قوية . وكان الانطباع السائد فى الليل والنهار أن تكون مراكز احتشاد الدبابات خلف الجبهة، ولهذا الغرض ينبغى أن يوجه مسير الدبابات وسيارات النقل بشكل دائرى فى تلك المنطقة .

أما القيادة البريطانية فكانت تتوقع أن يكون هجومنا الرئيسى فى الجزء الشمالى والوسط فى موضع الغزالة . بينما كان الذى أردنا إنجازه هو، أن ندفع بتشكيلات الدبابات البريطانية إلى ما وراء المشاة فى ذلك القطاع من المنطقة .

كان هجوم الألمان الجبهوى ضد موضع الغزالة فى نظر القيادة البريطانية أمراً يبدو جد سخيف وخاصة بعد أن استحال علينا تماماً أن نفضل هجوماً كهذا، على المخاطر التى تنجم عن قيامنا بحركة كماشة حول بير حكيم .

فلو أن محاولتنا فى مخادعة البريطانيين، والرامية إلى أن يركزوا كل

قوى دباباتهم كانت فشلت إذن لتوقعنا أن يبعثوا، على أقل تقدير بجزء من ألوية دباباتهم فى ذلك القطاع، ولأمكن بهذا تمزيق قواتهم المهاجمة.

كانت جميع حركات قواتى الآلية أثناء ساعات النهار، موجهة نحو النقطة التى سيبدأ عندها هجوم المشاة الإيطاليين. ولكن بعد أن يحل الظلام يكون على الجحفل الآلى أن يندفع إلى منطقة احتشاداته. وكان هذا الجحفل يضم الفيلق الآلى الإيطالى العشرين، والفرقة الخفيفة التسعين، وثلاث وحدات استطلاعية. وقد تقرر أن يبدأ تقدم قواتنا الذى سيأخذ شكل هجوم مفتوح على بير حكيم، فى الساعة العاشرة صباحًا. فمن هناك كان على الفيلق الأفريقى الألمانى والفيلق الإيطالى العشرين وفرقة "أريتا" للدبابات وفرقة "تريست" الآلية، أن تندفع إلى الساحل عن طريق "عكرمة" لتقطع بذلك خط إمدادات البريطانيين، وتسحق فرقهم وقوى دباباتهم المحتشدة فى موضع الغزالة.

ولقد صدرت الأوامر إلى الفرقة الخفيفة التسعين أن تندفع إلى داخل منطقة "العظم الحامض" تصحبها وحدات الاستطلاع الثلاث، لتحول دون انسحاب حامية طبرق منها، ولتجلب النجدات إلى منطقة عكرمة. يضاف إلى هذا أنه كان علينا أن نحول دون استفادة البريطانيين من مستودعات التموين القيمة التى أنشأوها فى المنطقة الواقعة شرقى طبرق.

ولكى نخدع البريطانيين بأن لدينا قوى دبابات هائلة فى تلك المنطقة، صدرت الأوامر إلى الفرقة التسعين الخفيفة بأن تتزود بسيارات نقل ثبتت عليها مكائن هوائية ومراوح (دفاسات) قوية، لإثارة الغبار، وإيهام العدو بأنها دبابات تتحرك وليست لوريات. وكان هدفنا من هذه الحركة هو الحيلولة دون

اشتراك القوات البريطانية الموجودة فى تلك المنطقة، فى معركة عكرمة، كيما يتسنى لوحدات دباباتنا كسب تلك المعركة. وما أن تم تدمير القوات البريطانية فى مرمريكا، حتى وضعنا فى الحال خطة اقتحام حصن طبرق بسرعة. غير أن حريتى فى العمل قد قيدتها أوامر الدوتشى القاضية بأن لا أتعدى المنطقة المتاخمة للحدود المصرية!!

ومن الأمور التي سبق تقريرها أنه كان ينبغى احتلال جزيرة مالطة من قبل قوات المظلات الألمانية الإيطالية والقوات المنزلة إليها من السفن، وأن يتم هذا الاحتلال قبل أن يبدأ هجومنا فى الصحراء، ولكن قيادتنا العليا - ولسبب لم يكن فى الحسبان- تخلت عن هذه الخطة!

وكان من سوء الحظ أن أجل هذا العمل الجذاب الذى كنت أعتمد على جيشى فى إنجازه، إلى فصل الربيع. وكانت نتيجة ذلك التأجيل أن تعاظمت قوى بريطانيا الحربية، وأن حددنا تأريخ الهجوم فى اليوم السادس والعشرين من مايو 1942.

تشمل معركة الغزالة الأسابيع الثلاثة المبتدئة فى السادس والعشرين من مايو والمنتهية فى اليوم الخامس عشر من حزيران. ففى خلال هذه الأسابيع الثلاثة شهدت الصحراء الغربية حرب إبادة كبرى وبأفظع أشكالها. وعندما بدأت المعركة كانت وبالاً علينا أول الأمر. غير أن الظفر أصبح حليفنا بعد أن حدث تحول فى القتال فيما بعد، وكان بعض ذلك الظفر يعزى جزئيًا إلى الهجمات التى استهدفنا من ورائها أغراضًا محددة، كما يعزى بعضه الآخر إلى وسائل دفاعنا، ودحر التشكيلات البريطانية الممتازة بالرغم من الشجاعة التى أبدتها.

وقد كـان انتصار قـواتي الألمانية والإيطاليـة في نظر القوات البـريطانية الممتازة، بالغ الدهشة للرأى العام العالمى[1].

فقد انتقدت تصرفات خصمى الجنرال البريطانى ريتشى انتقادًا مرًا، فهل كانت هزيمة قـواته ناجمة فى الواقع عن أخطاء وقع فيهـا ذلك القائد؟ . لقد اطلعت مصـادفة بعد المعـركة على مقـال نشره القائد الحـربى "ليدل هارت" وعزا فيـه فشل القيـادة البريطانية أثناء معـركة أفريقيـا، إلى حقيقـة أن القادة البريطانيـين كانوا متمسكيـن بحرفية فنون معـارك المشاة. والواقع أن هذا هو ذات ما شعرت به أنا نفسى.

فالقـيادة البريطانيـة لم تستفـد شيئًـا من هزيمة 1941- 1942 بل ظلت متمسكة بالنظريات القديمة، كارهة أن تدخل عليها أى تغيير أو تعديل. وهذا بعينه ما أدى إلى فشل الجيش الروسى أمام نابليون. وقد شاعت هذه الفرضية ذاتها أثناء الحـرب بين كلا الفريقـين من الضباط البـريطانيين والألمان، الذين ظلوا غارقـين إلى ذقونهم فى تلك النظريات المعـقدة البـالية، ففـقدوا بذلك قابلية التكيف طبقًا للظروف ولما تتطلبه حقيقة الوضع.

لقد برز مذهب عـسكرى جديد، ورسمت خطوطه بكامل تفـاصيلها. وينظر الآن إلى هذا المذهب علـى أنه خلاصـة الحكمة العـسكرية. فـفى نظر الضباط القـدامى، لا يمكن قبول سوى الأفكار العـسكرية التى تترسم خطى قواعدهم النموذجـية فهم يعتبرون كل فكرة تخالف هذه القـواعد، مغامرة إذا نجحت فإن نجاحها قد يكون نتيجة الصدفة والاتفاق ليس إلا.

ولقد كـانت نتائج هذا الرأى الذى استبـد بعقول بعض الضبـاط، تكبد خسائر فادحة لم تكن فى الحسبان قط.

(1) اللواء إدموندز يونغ- المرجع السابق ص305.

لقد تطورت فنـون الحرب، وتأثرت القواعـد الحربية بهـذا التطور تأثرا كبيرًا. فالنظريات التى كان الأخذ بها صالحًا فى حرب 1914-1918، لا يصح الأخذ بهـا فى هذه الحرب، إلا إذا كان الجـزء الأعظم من القوات المحتـشدة على الجانبين أو على الأقل الجانب الذى يطبقها، مؤلفًا من وحدات مشاة غير آلية. ففى مثل هذه الحالة تقوم القوات المدرعة مـقام الخيالية، التى يعهد إليها بمطاردة المشاة وتشتيت شملهم، فلابـد إذن - كما أوضحت سلفًا- من تطبيق قواعد مخـتلفة تمام الاختلاف فى الحرب التى تخوضـهـا قوات آلية كاملة من كلا الفريقين المتحاربين.

ومهمـا كانت قيمة تطبيق التـقاليد الحربية فى مـيدان آداب الجندية بالغة فإن هذا الأسلوب ينبغى أن يحط منه فى حقل العلوم العسكرية.

ذلك لأنه فى أيامنا هذه لم يترك القادة العسكريـة وحدهم، أن يتبصروا فى الطرائق الحديثـة، فتصبح عديمـة القيمة لهـذا السبب. فقد تغـيرت اليوم قابليات الحرب بالتقدم الفنى تغيـراً تامًا، ومن هنا كان واجبًا على قائد الجيش الحديث أن يتحرر من الأساليب والطرق الروتينية البالية، وأن يكون على علم تام بالمسائل الفنيـة. كما يجب عليه أن يكون على استـعداد لأن يتكيف وفق الظروف والأحوال المحـيطة بالجبهـة، وأن يقلب الخطط التى رسمهـا من قبل رأسًا على عقب، إذا ما وجد ذلك ضروريًا.

ثم يصدر رومل بعـد هذا حكمه على الجنرال ريتـشى فيـقول: "وإننى أرى أن منافسى الجنرال ريتشى، ككثـير من قواد المدرسة القديمـة، لم يتحقق تمامًا من النتائج التـى تترتب على العلميات الميكانيكيـة الكاملة، ومن انفساح الصحراء أمـامه. ورغم الدقة الممتازة التى اتبـعها فى تنفيذ خططه، فـقد كان مآلها الفشل، لأنها كانت خالية من الجرأة!"[1].

(1) اللواء إدموندز يونغ- المرجع السابق ص307.

الفصل الرابع

الاستيلاء على طبرق

- معركتا بير حكيم وطبرق 1 - 2/6/ 1942.
- سقوط طبرق 19/6/ 1942.

معركتا بير حكيم وطبرق:

يقول روميل عن معركته فى يومى 1-2/ 6/ 1942:

وفى ليلة 1-2 يونية تحركت فرقتا 90 الخفيفة وتريستا لمهاجمة بير حكيم. وقد عبرنا حقول الألغام بدون خسائر كبيرة. وبذا عزلنا الحصن من اتجاه الشرق.

وبعد أن رفض قائد الموقع طلبنا بالتسليم بدأنا الهجوم فى منتصف اليوم. وتقدمت فرقة تريستا من الشمال الشرقى والفرقة 90 الخفيفة من الجنوب الشرقى ضد المواقع والتحصينات وحقول الألغام التى يدافع عنها الفرنسيون. وعند ضربنا التمهيدى للموقع بدأت معركة غير عادية فى وحشيتها وقسوتها وطول مدتها إذ استمرت عشرة أيام كاملة. وقد توليت قيادة قوات الاقتحام بنفسى مرات كثيرة وقليلاً فى الصحراء العربية فلم أر قتالاً بهذه الشدة. وكان الفرنسيون يدافعون من مواقع مقامة بمهارة وسلسلة من الاستحكامات والنقط القوية والخنادق والدشم وأوكار المدافع الماكينة والمدافع المضادة للدبابات وكل هذا تحيط به حقول الألغام العميقة ومثل هذا التحصيل الدفاعى يعتبر منيعًا للغاية، ولا يسهل التأثير عليه بنيران المدفعية أو الضرب الجوى لأن الإصابة المباشرة منها لا تدمر أكثر من خندق فى كل مرة. وقد تستهلك كمية كبيرة من الذخيرة للتأثير على عدو يحتل مثل هذا الموقع القوى.

علاوة على هذا كان من الصعب فتح ثغرات فى حقول الألغام وتطهيرها تحت نيران المدافعين الفرنسيين وبالرغم من ذلك قام المهندسون بأعمال غير عادية وتكبدوا خسائر فادحة، وكانوا يعملون فى خطوط مستقيمة فى كثير من الأحيان تحت حماية ستارات الدخان والنيران المباشرة للمدفعية.

ويرجع الفضل الأول فى انتصارنا إليهم وتحت هجمات لا تتوقف بواسطة سلاحنا الجوى (قام السلاح الجوى الألمانى منذ يوم 2 يونيه حتى سقوط آخر المواقع الفرنسية فى 11 يونية بـ 1300 طلعه ضد بير حكيم) تعرضت المواقع الفرنسية للهجوم من الشمال بواسطة مجموعات قتال مختلطة تتبع تشكيلات متعددة، ومن الجنوب لهجمات 90 الخفيفة. وتوقف الهجوم المتتالى باستمرار فى وجه النظام الدفاعى البريطانى الصميم، المرة تلو الأخرى، وخلال الأيام القليلة الأولى لهجومنا على بير حكيم ظلت أغلب القوات البريطانية فى سكون محير. وكان تحركهم الوحيد فى 2 يونيه ضد فرقة آريتى التى قاومت بعناد وبعد هجوم مضاد بواسطة الفرقة 21 بانزر تجمد الموقف مرة أخرى. وكانت مجموعات الإغارة البريطانية القادمة من المنطقة جنوب بير حكيم ترهق حركة إمداداتنا مما أثار ضيقنا. وقام البريطانيون ببث الألغام على المدقات والهجوم على قولات التموين. وظل نشاط المجموعة البريطانية المحملة "أغسطس" فى هذه العمليات على وجه الخصوص، واضطررنا فى النهاية لاستخدام السيارات المدرعة والمدافع الذاتية الحركة لحماية القولات.

وقد استغل فيلق أفريقيا فترات الهدوء لتعويض ما أصابه من خسائر بعمليات إصلاح بواسطة ورشته المتحركة. ففى 3 يونية كانت قوته 130 دبابة فقط جاهزة للعمل فى مقابل 320 عند بداية المعركة، والآن بدأ العدد فى الارتفاع ببطء مرة أخرى[1].

كان رومل قد شكل مجموعة قتال من بعض قوات الفرقة التسعين الخفيفة، وقليل من دبابات الفيلق الأفريقى ووحدة الاستطلاع الثالثة والثلاثين وبعض القوات من فرقة تريستا الإيطالية. ومنذ 26 آيار والإيطاليون يقفون

---

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص373.

أمام بير حكيم، وكـان من المفروض أن يستولوا على هذه المنطقـة الحصينة فى بداية الهجوم إلا أنهم لم يتمكنوا من التـقدم خطوة واحدة. وهز روملى رأسه وقال: "فرقة بأكملها ...حسنًا سوف أتولى هذا الأمر بنفسى". وبهذه العبارة تطورت أعنف المعارك التى حدثت فى أفريقيا حتى ذلك التاريخ.

وقال روملى مـخاطبًا رئيس أركـان حربه الجديد العـقيد فـريتزبايرلاين: "اصعد إلى العـربة يا بايرلاين، فأنا ذاهب إلى بير حكيم". بهـذه الكلمات صحب روملى رئيس أركان حربه الجديد الذى حل محل الماجور جنرال جوس فى أول يونيو 1942 بعد أن جـرح هذا أثناء انتقـاله من رئاسة أركـان حرب الفيلق الأفريقى إلى رئاسة أركان جيش البانزر.

وكانت هذه الطريقـة فى مواجهة الأحـداث جزءًا من شخصـية روملى، لأنه ما كاد يخرج مـن بين طرفى الكماشة المهلكة التى نصبها لـه عدو يتفوق عليه عددًا وعدة ويترك الميدان خاليًـا أمام ريتشى حتى قام بالهجوم على نقطة مهمة فى جبهة العدو.

وكانت بير حكيـم هى نقطة الارتكاز الجنوبية لجبهة الـغزالة التى تحمى طبـرق ويدافع عنها اللواء الأول من قـوات الفرنسـيين الأحـرار وكتـيبـة من المتطوعين تحت قيادة الفرنسى بيار كونيغ.

وكان الجنرال ريتـشى قد أرسل هؤلاء الجنود الأشداء عن عـمد، فبـير حكيم هى مـفتاح جـبهة الغـزالة فإذا سـقطت هذه القلعة فخط الـغزالة كله يتداعى. وكـان هذا الموقع هو العقـبة الأولى قـبل الوصول. فإذا تمكـنت بير حكيم من الصمـود فإنهـا بذلك تشكل خطرًا على كل تقدم تقـوم به القوات الألمانية بتعريض جناح هذه القوات للتهديد الدائم.

ولذلك كان ريتشى مصمما على صمود بير حكيم. أما بالنسبة لروملى فكان سقوطها شيئًا حيويًا.

وفى البداية حاول روملى تطبيق تكتيكاته المشهورة الخاصة بالتلويح بالبيرق الأبيض، إلا أن هذه لم تنجح فى بير حكيم.

وأصيبت الدبابات الألمانية بنيران المدفعية وقوبل روملى وبيارقه بوابل من نيران المدافع الرشاشة. وقال روملى وهو يستدير إلى بايرلاين: "ليس هذا مهما؛ سوف نهاجمهم".

كان الفرنسيون عبارة عن ثلاثة آلاف رجل وكتيبة متطوعين من ألف جندى اختبأوا فى مواقع محصنة بمهارة. فالمدافع الرشاشة أحسن إخفاؤها وأماكن المدفعية مموهة ومحصنة بمهارة وكان من الصعب تمييز وتحديد مكانها. وقد تبين فيما بعد أن عدد هذه الدشم ألف ومائتان دشمة. وقد أطلقوا النيران المتقاطعة فى شكل غلالة مهلكة من كل ركن فى الموقع، وأوقفت المدفعية الفرنسية كل هجوم قام به الألمان. وأرسل روملى إشارة لاسلكية إلى كسلرينغ مضمونها كلمة واحدة: "ستوكا"، ورد عليه كسلرينغ قائلاً: "تصل إليك حالاً" ووصلت الطائرات المنقضة فى ميعادها وألقت قنابلها.

إلا أن المهندسين الفرنسيين حفروا خنادق ضيقة جدًا وصغيرة، وكذلك قواعد المدافع، فإن لم تسقط القنبلة مباشرة فوق الموقع فإن الخسارة تكون طفيفة، وأبرق الجنرال كونيغ إلى ريتشى: "أرسل المقاتلات" فأجابه ريتشى إلى طلبه وأصبحت طائرات ستوكا عديمة الحيلة أمام المقاتلات ذات المناورات العالية. وبدت الأمور قاسية وشديدة الخطورة. وسقط كثير من الطائرات المنقضة وكأنها مشاعل متقدة. وقد قلق روملى من هذا الحظ السيء. وطار إليه كسلرينغ وصاح بغضب: "نحن لا نستطيع الاستمرار على ذلك يا روملى،

هاجم هذا الوكـر الملعون بكل مـا لديك من القوات البـرية. ودعك من هذه التكتيكات غالية الثمن فى الهجوم".

وأرسل رومل فى طلب المدفعية المضـادة للطائرات، وهى القوة الضاربة فى جيـش البانزر. ووصل العـقيـد وولتز قائـد الفوج 135 المضاد للطائرات المحنك ومـعه وحـدات وبطاريات متـعددة من أفـواج أخرى وهذه الأفـواج خلدت أسمـاءها إلى الأبد فى تاريخ الحملة الأفريقـية. فقد وردت أسـماؤها كثيراً فى تقارير المعركة وقـد دعمت الوحدة الأولى من الفوج السادس بوحدة الاستطلاع الثـالثة والثلاثين المدرعة، ويـطاريات مدفعيـة من الفرقة التسـعين الخفيفـة والفرقة الإيطالية تريستـا وكونت هذه الوحدات مجموعـة مولتز التى قادت الهجوم.

إلا أن الخدعـة التى استخـدمت بنجاح مع اللواء 150 فى موقع غوط الأوالب لم تنجح هنا. فعندما كان المهندسون الألمان يطهرون ثغرة خلال حقل الألغام فى الليل، كـان الفرنسيـون يقومون بغلقهـا ثانية بالألغام فى الصـباح التالى. واسـتطاعوا التـسلل بالتموين والذخـيرة إلى مواقـعهم خـلال المنطقة الواسعة التى تكثـر فيها الثغـرات، وتعرض المهاجمون لـغلالة من النيران لم يـسبق لها مثيل ذلك فى الصحراء العربية[1].

وامتـقع وجه رومل، وأمر بإطلاق الإشـارات الضوئيـة والمشاعل طول الليل حتى تظل مـواقع العدو تحت تأثير نيـران المدافع الرشاشة باستـمرار مع العمل على إرهاق قـوى الفرنسـيين ومعنوياتهم، إلا إنه عنـدما هاجم الجنود الألمان فى صباح اليوم التـالى تعرضوا لنيران المدافعين بقـوة ولم يظهر عليهم الضعف. ثم وافق رومل بعـد تردد على رأى العقيد ولتز بأن قـوات الهجوم

(1) جول كارل - المرجع السابق ص267.

كانت ضعيفة جدًا وقد لحقت بمجموعة القتال أكهل خسائر فادحة وكذلك المدفعية المضادة للطائرات، وقد بدأت العملية كغارة بسيطة وأخذت تتحول تدريجيًا إلى هجوم على نطاق واسع.

ولحسن حظ رومل سمح ريتشى لقوات بير حكيم بالاستمرار فى قتالها وبدون تدخل منه، فبدلاً من قيامه بحشد جميع قواته للقيام بهجوم تحويلى على الجبهة الواسعة ضد الجناح الشمالى لرومل حيث تقف القوات الرئيسية للفيلق الأفريقى فقد شن هجومًا ضعيفًا على فرقة أريتى المدرعة الإيطالية فى موقع غوط الأوالب وقد انتهزت قيادة الفيلق الأفريقى بالطبع هذه الفرصة النادرة، وبما أنهم لم يستطيعوا الاتصال برومل كالعادة، قاموا بمهاجمة الألوية المدرعة البريطانية المبعثرة. وهاجمت الفرقة 15 بانزر فقد هاجمت من الشرق وكان البريطانيون يعتقدون أنهم مشتبكون مع مدرعات فرقة آريتى المدرعة الإيطالية، وفجأة وجدوا أنفسهم متورطين فى معركة دبابات من الفيلق الأفريقى.

إن كل شىء يبدو سهلاًعندما تنتهى المعركة. ولا يخرج الموضوع عن حساب الخسائر فيعرف المنتصر من المهزوم، ثم يعاود تصحيح الأخطاء. ولكن الأمر فى الحقيقة يختلف فى معركة الدبابات المانعة. فمن النادر أن يستطيع كلا الجانبين رؤية الموقف بوضوح، سواء الجندى فى الدبابة أو قائد الفوج أو ضابط الأركان أو حتى قائد الجيش، فكل شىء مانع وفى حركة دائمة. والتقارير التى ترسل للقيادة فى الخلف تحمل عادة أخبارًا قديمة لأن الأوان يكون قد فات.

وعندما تصدر الأوامر من الخلف إلى الأمام تصل عادة متأخرة لأن الموقف فى ذلك الوقت يكون قد تغير. وهؤلاء القادة البريطانيون الذين

يديرون الحرب على الطراز القديم من الخلف بعيداً عن الخطوط الامامية يسهل التغلب عليهم. أما روميل وقادته فكانوا يقودون المعركة من دبابات القيادة أو من عربات مدرعة في الأمام، ورغم هذا كانوا يشاهدون فقط قطاعاً صغيراً من المعركة الرئيسية ونتيجة لذلك فإن المسئولية تقع على عاتق كل القادة من جميع الرتب حتى مستوى قائد الدبابة الذي كان عليه أن يتخذ القرارات وهو في دبابته أو عربته المدرعة بمفرده وليس معه سوى طاقم دبابته وشجاعتهم وخوفهم. وبالطبع كان الجميع يعرفون أن روميل موجود في ساحة المعركة، فقد كان من عادة روميل أن يصطحب مرافقه في عربته المدرعة أو عربة الاستطلاع ويتقدم إلى الأمام ليشترك في الهجوم. وحدث مراراً أن بعض قادة الدبابات المترددين وقفوا بدباباتهم لاعتقادهم بعدم قدرتهم على مواصلة التقدم، وسرعان ما كانوا يسمعون طرقاً على برج الدبابة، وعندما يفتح البرج يرى الملازم فريهرفون سكيلبنباخ مرافق روميل وفي يده قضيب من الحديد يستخدمه للطرق على الدبابة. وكانت هذه القضبان الحديدية تحمل دائماً في عربة روميل، وهي الأداة الحديثة التي حلت محل عصا ملوك بروسيا. وكان روميل يقف في عربته وما يكاد قائد الدبابة يظهر رأسه من برج الدبابة حتى يصيح فيه روميل: "واصل التقدم. إن المعركة لا تكسب بالوقوف ساكناً." وفي إحدى المرات كادت هذه الدعوة إلى القتال تنتهي بمأساة. فلقد حدثني مرافق روميل وقال:

"في ذات مرة اقتربنا من خلف إحدى الدبابات وقفزت من العربة ومعي القضيب الحديدي، وفي هذه اللحظة تعرضت الدبابة لنيران العدو، فاضطر السائق للتراجع إلى الوراء فصدم عربتنا بدبابته وتمكن روميل من القفز من العربة في آخر لحظة".

وقد أثر هجـوم الفيلق الأفريقى على الـبريطانيين وشـدد عليهم الخناق لأنهم لم يصدقوا أن فى إمكان روملِ الذى خرج لتوه من المصاعب فى موقع غوط الأوالب أن يستعيد المبادرة مرة أخرى فوق أرس المعركة[1].

وبعد هذه الهزيمة البريطانية لم نعد نتوقع أى هجمات أخرى كبيرة على قواتنا حول بير حكيم وأصبح أمامنا الأمل فى الاستمرار فى عملياتنا بدون أى إزعاج.

وفى نفس الوقت كان القتال قد أبطأ أمام المواقع الفرنسية بعض الشىء. والآن وفى سعت (1100) من يوم 6 يونية استأنفت الفرقة 90 الخفيفة هجومها شد قوات الجنـرال كوينغ ونجحت مقدمـة القوات المهاجمـة فى الوصول إلى نقطة لا تبعد أكثر من نصف ميل عن مركز دفاعات بير حكيم، ولكن الهجوم توقف هناك مرة أخرى فقد فتحت على قـواتنا عاصفة من النيران عبر الأرض المفتـوحة الصخرية واضطررنا فى المســاء لإيقاف الهجوم مـرة أخرى. ولكننا ضيقنا الخـناق أكثر على بير حكيم واسـتطاعت قواتى صد الهجـمات المضادة الضعيفـة التى قام بها اللواء 7 المحمل البريطانى ضـد الفرقة 90 الخفيفة لفك الحصار عن الحصن.

وفى هذه الليلة (وهى ليلة 6- 7 يونيـة) فتـحت الفرقـة 90 الخفـيفـة الثغرات عبر حقول الألغام وظهرت عـدة ممرات وتقدمت مجموعات الاقتحام تحت ستر الظلام إلى مسافة الاقتحام بالفعل.

وقد أمرت مجموعة قتــال فولز بمساندة الهجوم وفى صباح يوم 7 يونيه سمع قصف عنيف من الجو وبالمدفعية وانـدفعت المشاة نحو المواقع الفرنسية. ولكن بالرغم من إقدامهم وقـوة اندفاعهم فهذا الهجـوم فشل هو الآخر تحت

(1) بول كارل - نفس المرجع ص270.

عاصفة من نيـران الأسلحة بمختلف أنواعها. وكان هذا نصـرًا عظيمًا للجانب الفرنسى المدافع الذى أصبح معزولاً تمامًـا عن العالم الخارجى. وحتى نتمكن من إرهابهم قمنا بقـذف منطقتهم بالطلقات المضـيئة وغطينا الدفـاعات بنيران المدافع الماكينة طوال الليلـة التالية، ومع كل هذا فعندمـا تحركت مجمـوعات الاقتحام (فى الصباح التالى) فـتح الفرنسيون نيرانهم بعنف شديد لا يقل عن أى يوم سابق. وقد تشبث العدو بخنادقه وظل مختفيًا تمامًا[1].

3 يونيه 1942م

عزيزتى لو. . .

المعركة مستمرة ومع هذا فنحـن متفقون الآن لدرجة أنه لا توجد لى أى مصاعب أفكر فيها. وأظن أننا سننجح ونبلغ أهدافنا.

وكنا نتوقع هجومًـا من جانب البريطانيين فى القريب العـاجل أما ضد الخط الذى تتله مدرعاتنا فى الشمال أو ضـد قواتنا التى تحاصر بير حكيم فى الجنوب وأثناء ليلة 4- 5 يونية حركـنا الفرقة 15 باتزر إلى مواقـع جنوب بير الهرمات حـتى نتمكن هناك من الهجوم فى اتجاه الشـمال الشرقى أو الجنوب الشرقى تبـعًا لاتجاه الهجـوم البريطانى . ومى أهمية هذا الإجـراء ظهرت فى صباح اليوم 5 يونية.

(وقد عـبر أوكينلك عن قلقـه للطريقة والوقت التى سمح بهـما لروملِ لتدعيم قـواته لاختراق الخط البريطانى فقد حث ريتـشى على الإسراع بضربة مضادة غيـر مباشرة ضد طريق إمداد العدو ولـكن ريتشى قرر أن هذا الإجراء مخاطرة كبيرة. وكان يشعـر بوجوب الاحتفاظ بما يكفى من المدرعات لحماية

(1) مذكرات رومل - نفس المرجع ص 376.

مؤخرته بالقــرب من عكرمة وهذا جعل المجمــوع المتوفر لأى عمليــات بعيدة المدى غيــر كافيًا. (وكــان لديه حوالى 400 دبابة جاهزة ولم يكن لدى روميل فى مواجهتها سو 130 فقط وحوالى 100 من الدبابات الإيطالية العديمة القيمة من طراز (م13). وعليه فقط فضل ريتشى القيام بهــجوم مباشر ضد العد وقد أدى هذا لدفعه لثمن باهظ وفادح وانتهى بكارثة. فـقد تضاءل التفوق العددى البريطانى فى الــدبابات فى محاولاتهم المتكررة للتــغلب على العدو بالهــجوم المباشر، وفى 6 يونيه كان عدد دباباتــهمم قد انخفض إلى 170. وبذا أصبح الطريق ممهدًا أمام الضربة القاصمة التى وجهها روميل بمدرعاته (هذه المدرعات التى لم تكن قد تكبدت أى خسائر تذكر فى نفس الوقت).

فبعد سعت (0600) بقليل وبعد ساعة من تمهيد عنيف بالمدفعية تقدمت اللواءات المدرعة 2، 22 ومعها اللواءات العاشر الهندى، 201 حرس للهجوم على فرقــة آريتى، وكإجراء خــداعى أقاموا ســتارة دخان وغــلالة كثيــفة من المدفعيــة فى قطاع الفرقة 21 بانزر التى كانت تجاور آريتى وفى الشــمال منها. وبعد ذلــك بوقت قصــير شنوا هجــومًا عند هذه النقطة أيضًــا بواسطة اللواء الرابع المدرع والآلاى 42 دبابات بغرض تشتيت قواتنا وتفريقها.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"كان روميل مــخطئًا فى عــدة نقط، فالهــجوم من الشرق قــام به اللواء العاشــر مشاة الهندى وبعــد استيلائه على مــرتفع المسلج من اللواء 22 مدرع خلاله ليستــمر فى الهجوم وتلاه اللواء التاسع مشاة، ولــكنهم اشتبكوا بقوات متفوقة بعــدها بوقت قصير. أما الهجوم الآخر من الشــمال فقد قام به اللواء 32 دبابات ويتكون من: آلالاى السابع وآلالاى 42 دبابات بالإضافة إلى جزء من اللواء 69 مشــاة. وقد فــشل هذا الهجــوم ولم يستــخدم اللواءات الثــانى

والرابع المدرعين إلا فيما بعد لإصلاح الموقف الحرج. وقد تعثر هجومهما وفشل فى إنقاذ اللواء العاشر مشاة الهندى ومعه أربع آلايات مدفعية من الهلاك عندما اجتيح موقعه المنعزل، وبا نرى أن هجوم البريطانيين كان أكثر تفوقًا مما ظنه رومل، أما عن نتائج هذا الهجوم فإن تقرير أو كينلك يقول: "هذه الهجمة المضادة الفاشلة كانت نقطة التحول فى المعركة كلها".

ويتابع رومل كتابة مذكراته فيقول:

وانسحبت فرقة آريتى فى مواجهة ضغط عنيف من البريطانيين الذين كانت قواتهم فى هذا القطاع تتفوق على قواتنا بدرجة ضخمة إلى أن وصلت المدرعات الإيطالية فى انسحابها إلى خطوط مدفعية جيشنا حيث توقف الهجوم البريطانى فى مواجهة نيران المدفعية العنيفة. وفى هذه الأثناء تحرك آلالاى 8 بانزر التابع للفرقة 15 بانزر إلى بير الطمار لتخفيف الضغط عن الإيطاليين.

ثم تحرك جيش البانزر من هذه المواقف بعد تأمين جنبه الشمالى ليقوم بهجوم مضاد واندفعت مجموعة قاتل"فولز" تحت قيادتى وقد وضعت على بعد ستة أميال شمال شرق بير حكيم كإحتياطى للجيش وهاجمت مؤخرة البريطانيين عند جسر الفرسان، واندفعت الفرقة 15 بانزر إلى المعركة على يسارنا، وكان واجبها عزل القوات البريطانية من الجنوب. وبعد ذلك بوقت قصير كانت دباباتنا تصب نيرانها على البريطانيين من ثلاث جهات. وقد قاتلوا بعناد كعادتهم ولكنهم كعادتهم أيضًا افتقروا لخفة الحركة. وعند حلول المساء كانت توجد فى ميدان المعركة أكثر من خمسين دبابة بريطانية محترقة.

وفى حوالى سعت (600) من الصباح التالى تحرك الجزء الأكبر من الفرقة 21 بانزر (وكانت حتى هذه اللحظة مثبتة بواسطة الهجمات البريطانية)

وشنت هجومًا فى اتجاه الشرق. وأخيرًا بدأ البريطانيون فى الارتداد ببطء بعد معركة الدبابات العنيفة. وقامت مجموعة قتال "فولز" بإقفال مدق أنوربك نحو الغرب وبذا دفعت بالوحدات البريطانية نحو نيران قوات المحور المهاجمة، وبعدها بوقت قصير تعرضت مجموعة فولز لهجوم عنيف من الشرق وبعد أن نجح العدو فى الالتفاف حولها نحو الجنوب اضطررت للانسحاب أثناء الليل نحو بير الهرمات.

ومرة أخرى خاضت قوات المحور غمار المعركة ببراعة فائقة. أما البريطانيون فقد تعرضوا لضغط من ثلاث جهات وتكبدوا خسائر فادحة للغاية. وقد أسرنا حوالى أربعة آلاف يتبعون غالبًا للواءين 201 حرس، 10 الهندى وذلك فى يومى 5، 6 يونية، وقد أبدنا بذلك اللواء 10 هندى الذى كان قد وصل أخيرًا.

وقد أصابت هذه الهزيمة قوة العدو الهجومية بخسارة جسيمة، وكما توقعت قررت القيادة البريطانية عدم استخدام أى قوات كبيرة من الفرقتين المحتلتين لخط الغزالة لتصبح نقطة ضغط ثانية ضد الفرقة 21 باتزر، كما أنها لم تستخدم أى وحدات من الفرقة 2 جنوب أفريقيا، وفى لحظة حاسمة كهذه كان الواجب عليهم أن يلقوا فى المعركة بكل ما لديهم من قوة، وما هى الفائدة من الحصول على تفوق كلى إذا ما سمح القائد لتشكيلاته بالتحطم الواحد تلو الآخر بواسطة عدو يستطيع فى كل مرة على حدة أن يحشد قوة أكبر عند النقطة الحاسمة؟[1].

كذلك وحدات من مجموعة القتال كهل ومعها إحدى عشر دبابة وعربة استطلاع وبطارية مدفعية من عيار 88 ملم، وأخيرًا سرية مدفعية، وبطارية

(1) مذكرات رومل- المرجع السابق ص375.

ثقيلة. وكان على جنود المدفعية المضادة للطائرات التابعين للعقيد وولتز حماية الجنب. وكـانت هذه القوة الكـبيـرة، لذلك قسم هـيكر قواته إلى وحـدتين مقاتلتين. وهاجمت كل الوحدتين من الشمال ولكن فى حركة كماشة، وكان الجناح الأيسر تحت قيادة النقيب هندت من كتيبة المهندسين رقم 200.

إلا أن المعركة لم تبدأ بـداية حسنة، فبينما كانت القـوات تأخذ مراكزها ازداد عنف غـلالة النيـران المنطلقـة من بير حـكيم. ثم هاجمـت القاذفـات المقاتلة، وتعرض المهندسون الذى كانون يظهرون حقول الألغام تمهيدًا للهجوم لنيران شديدة. وفى الساعة الخامسة تمامًا أعطى هيكر أوامره بالهجوم.

وتقدم العقيـد راكبًا عربته المدرعة أمام الكتـيبة الإيطالية. ووقف ممسكًا ببرج العربة المدرعة بيد واحدة ويلوح بالأخـرى للإيطاليين صائحًا: "تقدموا- تقدموا". وسار الهجوم فى طريقه إلى أن نيران العدو وألغامه أوجدت ثغرات أكثر وأكـثر بين صفـوف المهاجمين. فـمن بين قادة السرايا الستـة الإيطاليين سـقط ثلاثة فى أول المعـركـة. وكـانت الأرض خـاليـة من كل شىء يمكن الاستتار به لذلك أصبحت مـصيدة للموت. وتمكنت المدافع المضادة للدبابات التى أحسن إخفاؤها أن تدمر ست دبابات من بين الإحـدى عشر دبابة التابعة لمجموعة قتال كهل، بينما تعطلت أربع دبابات أخرى داخل حقول الألغام.

ووقف الرقيب كارل أريك بجوار مـدفعه عيار 88 ملم وهو يطلق نيرانه المباشرة على مـواقع المدافع الرشاشة ومدافع الهاون التى أمكنه تمـيـيزها، وأمر النقـيب هاندت بإطلاق قنابل الدخـان على الخنادق. وسـقط مـعمـر المدفع العريف جيرهارد شـميدت إلى جوار المدفع فقط أصيب بنـيران مدفع الرشاش للعدون فقفز رجل آخر وحل محله فوراً.

وحاول اللواء الرابع البـريطانى - وهو يمثل القوة الضاربة البـريطانية- القيام بهجوم من الشرق لتحـويل الأنظار للجناح الأيسر لهيكر، ولكن العقيد ولتز صد هذا الهجوم بمدفعين عيار 20 ملم مضادين للطائرات ومدافع أخرى ثقيلة، ومـع أنه تحمل خسـائر فادحـة إلا أن المدرعات البريطانـية ردت على أعقابها. وعند حلول المساء تمكنت مجموعة القتال من شق طريقها إلى مسافة خمـسمـائة ياردة من الدفاعات الخـارجيـة لبير حكيـم. وشنت قوات الألب هجومها بمجرد أن حل الليل واستطـاعت بالاشتراك مع المهندسين الاستيلاء على مواقع المدافع الرشـاشة الأمامـية. وقفـز النقيب تمسر قـائد سرية الألف التابعة لوحدة الفـدائيين الخاصة 228 فى خندق مملوء بالرجال وكانت مدافعهم الرشاشة فى أيديهم. وصاح: ارفعوا أيديكم" . فاستسلموا وأخذوا أسرى إلى الخلف، وكانوا متعبين وأعينهم زائغـة فقد حاربوا حتى النهاية. وتساءلوا هل سيعفو عنهم الألمان أم سيقتلونهم، إلا أن الألمان منحوهم الحياة.

وخيم الليل على أرض المعركة وسـادت فترة هدوء وحمل الجرحى إلى خلف خط القتال. وفى صبيحة اليوم التالى وهو التاسع من حزيران كان على طائرات ستـوكا أن تشن هجـومًا مركـزًا على بير حكيم قـبل أن يقوم الجنود بهجومهم النهائى.

وقاد هيكر عـربته لمسافة طويلة داخل حـقول الألغام ليرى تأثيـر هجوم القاذفـات، وطلع عليه الفجـر كما هو المعـهود فى أفريقـيا، ونظر هيكر فى ساعته ولم ير أثرًا لطائرات ستـوكا فى السماء، ولم تسقط أية قنبلة من قنابل الدمار على قلعـة بير حكيم كما كان مـتوقعًا. وأصبح الموقف خـطرًا بالنسبة لهيكر فقد تبين أنه حدث خطأ أثناء إصدار الأوامر باللاسلكى ولذلك لم تقم الطائرات بغاراتهـا المتوقعة، ولاحظ الفـرنسيون بسرعة عـربة الاستطلاع التى

يركبها هيكر وفتحت المدافع الرشاشة والمدافع المضادة للدبابات والمدفعية نيرانها عليه، وتراجع السائق تمتهى السرعة، ولكن العربة مرت فوق لغم. وهنا حدث أسوأ ما يمكن أن يحدث، إذ انفجر اللغم وقذف الانفجار بهيكر إلى سقف العربة المدرعة فأصيب بجرح عميق فى رأسه. ولكنه تمكن هو ومترجمة النقيب كليمك الذى كسرت قدمه هو الآخر والسائق وقائد البطارية الثقيلة من الوصول إلى إحدى الدبابات المعطلة واتخذوها مركزًا للقيادة.

وعندما قدم هيكر تقريره عن يوم 9 يونيو قال رومل بغضب: "إن هذا الموقف الملعون فى بير حكيم قد أخذ نصيبًا كافيًا من الضحايا. وسوف أتركه وأهاجم طبرق".

وطبقًا لما رواه الجنرال بايرلاين فقد أجاب هيكر رومل بقوله: "أعطنى كتيبة من المشاة الألمانية يا سيدى الجنرال لنواصل الهجوم، فقد تمكنا حتى الآن من الاستيلاء على عدة نقط قوية وأنا مقتنع بأن فى إمكاننا أن ننهى المعركة منتصرين".

وعقد رومل مجلس حرب مع بايرلاين ثم عاد وقال لهيكر: "إنك على صواب وسوف أعطيك المقدم باد ومعه على الأقل كتيبة كاملة".

وكان باد قائد الفوج المدرع 115 من قاذفى القنابل، وتحت أمرته كتيبتان مدعمتان بالأسلحة الثقيلة ورئاسة فوج بكامل معداتها التكتيكية والفنية اللازمة. وقبل أن تصل مجموعة باد قامت الطائرات ستوكا أخيرًا بالقاء قنابلها على الحصن وأطلقت المدفعية الألمانية كل مدافعها.

وفى مساء 9 يونيو كانت كل من الكتيبتين فى مواقعهما وقامتا بالهجوم فورًا، إلا أن العدو فى بير حكيم كان صعب المراس تمامًا. ففى

وسط وابل النيران المركزة من الألمان صـدر أمر يومى من الجنرال كونيغ ووزع على الدشم البـالغ عددها ألفًا ومـائتى دشمـة. وجاء فيـه: "فى هذا الموقع المتقدم من الصحراء علينا أن نثبت للعالـم كيف يستطيع الفرنسيون أن يقاتلوا ويموتوا".

وفى مساء 10 يونيو تمكنت كـتائب باد ومهنـدسو هيكر وجنود الألب التابعين له من شق طريـقهم بعمق خلال اسـتحكامات الدفـاع والوصول إلى أنقاض الحصن الصحراوى القديم[1].

أسر قائد اللواء الهندى العاشر:

واستطاعت الفرقة 15 هزيمة الفرقة الخامـسة الهندية. وفى الوقت نفسه تم القضـاء على اللواء العاشر، فـقد حاصـرته من الشمال سـرية من الفوج الخامس المدرع تحت قيـادة الملازم ريبولد، واشترك الجنرال نهـرنغ فى الهجوم وكان يركب عربته المدرعة؛ وتم إغلاق الثغرة فى حلقة الحصار بواسطة المدفع المضاد للدبابات عـيار 50 ملم الذى كـان يصحبـه وقام بإطلاق النيـران على الدبابات البريطانية وهى تحاول الخـروج من حلقة الحصار. ورأى العريف باير البالغ من العمر ثمانية عشر عامًا وسط حمى المعركة جنديًا بريطانيًا يسير أمامه على مرمى مـدفعه الرشـاش، وكان يبدو علـيه أنه جندى شارد فـسأله باير: "من أية وحدة أنت؟"، فـهز الجندى رأسـه ولم يجب، وكان هذا من حـقه لأنه ليس مرغـمًا على الإفشاء بمعلومـات عسكرية سرية. فسـأله: "وما هى رتبتك؟" وكان مضطرًا أن يجيب علـى هذا السؤال فقال: "جنرال قائد اللواء الهندى". وبدا على العريف عدم التصديق، ولكى يـثبت الأخير قوله أخرج علامات رتبـة الجنرال من جيب بنطلونه. وكان الجنرال الأسيـر هو البريغادير

(1) بول كارل- المرجع السابق ص 275.

جنرال ديزموند يونغ قائد اللواء الهندى العاشر. وبعد الحرب أصبح من أكبر الكتاب الذى كتبوا عن حياة رومل.

وكان مصير الألوية الثانية، والرابع، والثانى والعشرين من الألوية البريطانية المدرعة نفس مصير الفرقة الخامسة الهندية. وفقد البريطانيون مائة وسبعين دبابة وسقط تقريبًا كل رجال لواء الحرس 201 أسرى. وهكذا حطم رومل الجيش الثامن جزءاً جزءًا لأن البريطانيين أصروا على القتال بهذه الطريقة المبعثرة.

ولكن بالرغم من كل هذا ظل الجيش الثامن جيشًا قويًا، وأكثر عددًا من جيش رومل نفسه. فكانت لا تزال هناك قوات متماسكة وبكامل قوتها تحتل القطاع الشمالى من موقع الغزالة بجوار طبرق وفى جسر الفرسان وفى العضم. ولو كانت هناك قيادة حازمة فى الجيش الثامن وقررت الهجوم لأصبح الموقف خطيراً بالنسبة لرومل كما كان الحال بالنسبة له قبل أيام فى غوط الأوالب، لأن مؤخرته لا تزال غير بعيدة عن الخطر بسبب أن الاستيلاء على بير حكيم لم يتم بعد.

"بير حكيم اللعينة"! هكذا كان ينعتها رومل خلال تلك الأيام حيث أخذت مجموعة القتال تهاجمها من الجنوب والشرق طوال الأسبوع بكامله. وهاجمتها الطائرات بأكثر من ألف غارة وألقت قنابلها على المواقع ولكن بدون جدوى، لذلك قرر رومل أن يهاجمها بطريق آخر، فأمر كتائب المهندسين 900.200.33 بالهجوم عليه من الشمال لاختراق حقول الألغام الممتدة بين غوط الأوالب وبير حكيم.

وفى صباح 8 يونيو 1942، كان المهندسون على بعد خمسة أميال شمال بير حكيم، وظهر رومل، وأمر قائد مهندسى الجيش العقيد هيكر بتجهيز جزء

من جنوده للاشتراك مع كتيبتين إيطاليتـين من مجموعة القتال للاستيلاء على بير حكيم من اتجاه الشـمال ولكن هيكر أجاب: "ليس لدى قوة كافيـة للقيام بهذا العـمل يا سيـدى الجنرال". ولذلك قرر رومل استخدام قـوات أخرى أقوى، ووعـد هيكر بجزء من وحـدة الفدائيين الخـاصة 228. وكان العـقيد منتون، يقود هذه الوحـدة المختارة التى أعدت فى الأصل للخـدمة فى مارس 1942 فى العراق إلا أنهـا نقلت إلى الصحراء العربيـة. كما تقرر أن تـشترك سرية الألـب والسرية المدرعة جيجر وطابور الاستطلاع فى المعركة.

وأرسل الجنرال كونيغ إلى الجنرال ريتشى رسالة يقول فيها: "لقد بذلت أقصى جهـد. العدو على أبواب مركز رئاستى". ولم يـستطع ريتشى أن يرد إلا بقوله: "حاول أن تشق طريقك إلى الخارج".

وبدأت المأساة!

فمن السـادس من يونيو قام النقيب بريل ومعه مـجموعة القتال التابعة له بعزل بيـر حكيم من ناحيـة الجنوب. وكانت المجـموعة تتكون مـن كتيـبة قاذفى القنابل المدرعـة المسماة بكايزر ووحـدات من الكتيبـة المضادة للطائرات 606 وكتـيبـة المدرعات رقم 605 التى يقـودها النقيب شـولتز، وكـانت هذه القوات تمثل قوات الاقـتحام لمجموعـة قتال بريل. وقد فشلت المجـموعة فى الاستـيلاء على القلعـة بهجوم بالمواجـهة فى 7 حزيران، لأن حقـول الألغام والدفاعات الحصينة والمدفعيـة كانت أقوى من قوة بريل، ولذا فقد وقفت هذه المجمـوعة أمام موقع بيـر حكيم لمنع أى تسلل من الموقع أو محـاولة الدخول إليه.

وفى مساء 10 يونيو أحضرت إحدى الدوريات أسـيرًا كان يتجول داخل حقول الألغام البريطانية، ولدى سؤاله أدلى بمعلومات مـهمة ومثيرة، فطبقًا لما

رواه الأسير تلقى الجنود المحاصرون أوامر بالتسلل خلال ثغرة وسط حقول الألغام بعد تطهيرها للانضمام بعد ذلك للبريطانيين. وبناء على ذلك أرسلت عربات الاستطلاع والعربات المدرعة فى صباح اليوم الثالث من الجنوب لكى تنضم إلى القوات الألمانية.

وفى الوقت نفسه قام جنود المراسلات من مجموعة القتال بالزحف فوق الأرض ووزعت الأوامر فى همس إلى مجموع القتال بريل وكايزر من موقع إلى آخر. ووجهت المدافع والرشاشات على الثغرة التى سيحدث منها التسلل، ووضعت الطلقات الكاشفة فى خزائن المدافع . وقام رجال الإشارة بمد خطوط التليفون إلى خط القتال. ووضع الخفراء ومعهم مسدسات الإشارة على طول الجبهة، واستعدت مجموعة القتال كلها، وأعطى بريل الأوامر المشددة بألا يطلق أحد النيران قبل أن يعطى إشارة البدء من مسدس إشارته وبعدها تستطيع كل المدافع الرشاشة إطلاق النيران، أى أن النيران لن تطلق إلا عن مشاهدة الإشارة الحمراء تتبعها الإشارة الخضراء وقد ظهرت فى السماء.

وكان بريل قد أعد مفاجأة خاصة، فقد نظمت الكتيبة 606 المضادة للطائرات من قيادة الجيش هذه المفاجأة المسماة "بالسلاح السريع" إذ جمعت كل ستة مدافع معًا فى هيئة مدفع واحد ووضعتها فى أحد الوديان البعيدة. وفى منتصف الليل سمعت نقطة الحراسة المتقدمة صوت محركات العربات وهى تدار فى بير حكيم ثم صوت جنازير الدبابات، ثم صوت قطع الأسلاك الشائكة فى حقول الألغام، وقال بريل فى همس لمراسلته "انتظروا . . . انتظروا" . وما كاد العدو يطلق قنابل الدخان ليستر انسحابه حتى قال بريل للعريف بلاتز: "هيا للعمل" . وسرعان ما أضيئت السماء بالطلقات الخضراء

تتبعها الحمراء وفى الوقت نفسه فتحت جهنم أبوابها، فانطلق وابل من الجحيم والنيران والانفجارات تحمل الموت فى ثناياها. ولم تنفع ستارة الدخان رجال الجنرال كونيغ. واصطدمت الطلقات الكاشفة وهى تزأر بعربات العدو، ولأول مرة سمع الألمان صوت المدفع الرشاش الجديد 42 الذى يطلق خمسا وعشرين طلقة فى الثانية[1].

وفى أماكن أخرى من ميدان المعركة الواسع، حدث صدام بالسلاح الأبيض بين المحاربين والفارين من رجال الجنرال كونيغ وقاتل الرجال بعضهم بعضًا بالمجارف والمسدسات والسونكات والقنابل اليدوية، ولم ينجح فى اختراق خطوط الألمان سوى نصف الجنود ومعهم قائدهم ووصلا إلى موقع اللواء السابع البريطانى. وفى فجر يوم 11 يونيو استسلم ما تبقى من حامية بير حكيم. وعندما احتلت مجموعة القتال بير حكيم وجدت خمسمائة جريح وقوة صغيرة كحرس مؤخرة. وبسقوط بير حكيم حجر الزاوية فى خط الغزالة أصبح الجنرال ريتشى غير قادر على الدفاع عن خط الغزالة، وأصبح رومل فى مركز يمكنه من احتلال طبرق.

وكانت القيادة البريطانية فى حالة يأس لسقوط بير حكيم. فهل أصبح هذا الألمانى غير ممكن القضاء عليه أو هزيمته؟ أو ليست هناك طريقة تستخدم ضد رومل؟ كان هذا هو السؤال الذى يدور بين ضباط القيادة البريطانية، وقد كانوا مندهشين من هذه الظاهرة الغريبة! هذا الرجل الذى يقاتل مخالفًا لكل قواعد الحرب التقليدية ومع ذلك ينتصر دائمًا! فمثلاً تنص أصول الحرب أن يكون المهاجم أقوى من المدافع وغالبًا ما كان رومل يهاجم بقوات أقل، وكان يقول: "لماذا أشغل نفسى بإعداد الدبابات البريطانية بينما قادتهم مازالوا فى

(1) مذكرات رومل- المرجع السابق ص375.

طفولتهم بالنسبة لفن الحرب. إنهم يستخدمونها مبعثرة، وأمام هذا التوزيع فأنا دائمًا الأقوى".

وقال روميل مرة لأحد القادة البريطانيين وكان أسيرًا: "لقد رفض البريطانيون في البداية أن يتعلموا ذلك، فهذه الدولة من مغامري البحار لم يكن في استطاعتها أن تغامر بكل شيء في أفريقيا، فكانوا يقولون بأن الوقت لم يحن بعد" ونتيجة لذلك كان روميل يقرر ويختار مكان المعركة وطريقة إدارتها.

وفي نفس اللحظة التي سقطت فيها بير حكيم دفع روميل بقواته في اتجاه الشمال حيث معركة المدرعات الكبرى التي يجب أن يخوض غمارها. وهذا هو روميل نفسه الذي كان من أسبوع على شفا هزيمة مروعة، والآن أصبح يمتلك العناصر الكفيلة بأن تجعله يحرز النصر مرة أخرى.

8 يونيه 1942

عزيزتي لو...

كان اليومين السابقين على وجه الخصوص مشحونين للغاية ولكننا نجحنا فيهما. وبالطبع قد عرفت من بلاغات القيادة العليا كيف تسير الأمور، وأحوالنا عمومًا. وسيستمر القتال أسبوعين آخرين ولكني أرجو أن أكون قد اجتزت كل الصعاب عند انتهاء هذه الفترة.

وقد فكرت فيك في غمار معركة المدرعات في يوم 6 يونية (عيد ميلاد السيدة روميل) وأرجو أن تكون تحياتي من أفريقيا قد وصلت في موعدها في هذا اليوم بدقة.

فى يوم 9 يونيه سحبت مجموعة قتال أخرى من فيلق أفريقيا لمساندة الهجوم على بير حكيم. ومنذ الصباح الباكر بدأت مشاتنا الهجوم فى موجات على دفاعات العدو. وفى حوالى منتصف اليوم اشتركت الفرقة 90 الخفيفة فى الهجوم بالفعل وكانت حتى هذا الحين قد ساندته بأسلحتها الشقيلة، فساعده بذلك مجموعة القتال التى كانت تهاجم من الشمال، وقد تكبدت مجموعات اقتحامنا خسائر كبيرة لتعرضها باستمرار لنيران الفرنسيين الذى قاتلوا باستماتة للنهاية. ومع هذا ففى سعت (2000) من نفس اليوم وصلت مجموعات اقتحامنا لمسافة لا تزيد عن 220 ياردة من مركز الدفاعات.

وخلال اليوم نفسه حاول ريتشى القيام بهجوم خداعى ضعيف ضد وحدات الفرقة 90 الخفيفة الساترة جنوبى بير حكيم مستخدمًا فى ذلك بعض الكتائب المحملة وآلايا مدرعا من اللواء الرابع المدرع، ولكننا لم نلاقى أى صعوبة فى صده.

وفى نفس الأثناء وجدنا صعوبات متكررة من جانب كسلرينج، فقد كان ينتقدنا بقسوة بسبب تقدمنا البطىء فى مواجهة الفرنسيين، والسبب الأساسى فى غضبه كان فى اضطراره لاستخدام تشكيلات من السلاح الجوى الألمانى فوق بير حكيم باستمرار مما أدى لتكبده خسائر فادحة. (فى يوم واحد فقط أسقط السلاح الجوى البريطانى ما يقرب من أربعين قاذفة منقضة). وقد حث على القيام بهجوم سريع ضد الفرنسيين تشترك فيه كل تشكيلاتنا المدرعة. وكان هذا غير معقول على الإطلاق لأنه لا يمكن إرسال الدبابات عبرحقول الألغام التى كانت بالإضافة إلى عمقها كانت محمية بنقط قوية ضد عمليات التطهير. ويضاف إلى هذا أن ريتشى لم يظل على سكونه هذا فى الجبهات الأخرى حينما ندفع مدرعاتنا بهذا الأسلوب، ومثل هذا الإجراء كان

سيؤدى إلى كارثة. وقد فعلنا ما بوسعنا لتهدئة كسلرينج الذى كانت الصعاب التى كنا نواجهها غائبة عنه[1].

وفى اليوم التالى (10 يونيه) نجحت مجموعة قتال فيلق أفريقيا أخيرًا تحت قيادة العقيد باد فى اختراق مواقع العدو الأساسية شمالى بير حكيم. وقد بدأ الهجوم تسانده نيران شديدة من المدفعية والقذف الجوى ودافع الفرنسيون بإصرار عن كل وكر من أوكار المقاومة مما أدى إلى تكبدهم خسائر فادحة، وبعد هذا الاختراق أصبح من الصعب الدفاع عن بير حكيم. وقدرنا فى الغالب أن العدو سيرسل قوة لنجدة الفرنسيين لمساعدتهم فى الخروج من الفخ. فقد رأت وحدات استطلاعنا جزءًا من اللواء السابع البريطانى المحمل الذى كان حتى الآن يقوم بعمليات إزعاج ضد طرق إمدانا بتحرك نحو بير حكيم، ولكى أدعم موقفى ضد أى احتمال أمرت الفرقة 15 بانزر بالتحرك نحو بير حكيم. وكانت الحامية الفرنسية ستتلقى آخر ضرباتها من الغرب ولكن الفرنسيين لم ينتظروا لأنه بالرغم من كل احتياطتنا استطاع الجزء الأكبر من الحامية أن يتسلل تحت ستر الظلام تحت قيادة القائد الجنرال كوبنج واختفى فى الظلام متجهًا نحو الغرب حيث انضم إلى اللواء السابع البريطانى المحمل. وفيما بعد اكتشفنا أن أوامر أحكام حلقة الحصار حول الحصن لم تنفذ بدقة فى المنطقة التى هرب خلالها الفرنسيون ومرة أخرى ثبت أنه مهما كان الموقف يائسًا فيمكن على الدوام لأى قائد يتميز بالتصميم أن يفعل شيئًا بدلاً من أن يجمد فى مكانه أو يستسلم.

وبذا استطاعت الفرقة 90 الخفيفة فى الصباح الباكر ليوم 11 يونية احتلال بير حكيم. وقد سقط فى الأسر حوالى خمسمائة فرنسى وأغلبهم من

---

(1) مذكرات رومل- المرجع السابق ص379.

الجرحى. وأثناء الصباح فتشت الحصن الذى دار بسببه كل هذا القتال المرير والذى ترقبنا سقوطه بفارغ الصبر[1]. والآن أصبحت قواتى حرة غير مقيدة. وبالرغم من الشجاعة الفائقة التى أظهرها البريطانيون فى موقع غوط الأوالب والفرنسيون فى بير حكيم، فريتشى كان مخطئًا لأنه قدر أنه يستطيع تحطيم قواتى فى هذه المعارك الدفاعية العنيفة، وقد تكبدنا خسائر فادحة قطعًا ولكنها لم تكن لتقبل المقارنة بخسائر البريطانيين لأن الآلاف من الجنود البريطانيين اضطروا للاستسلام فى المواقع المحاصرة لنفاذ الماء والذخيرة، ولأسباب نفسية بحتة كانت التضحية بتشكيلات كاملة تعتبر همومًا وخطأ جسيمًا[2]. ولو أنه يمكن أحيانًا إصدار أمر القوات محدودة بالثبات للنهاية ولكن يجب على القائد أن يفكر طويلاً قبل اتخاذ مثل هذا القرار لأن ثقة الجندى العادى (وهى شىء حيوى لقائد الجيش) قد تتأثر بمثل هذه التصرفات ولن يطيع الرجال أوامر القيادة بعد ذلك بنفس الاندفاع والثقة لأنهم يخشون أن يتركوا لشأنهم لو حدثت أى أزمات.

وفى عصر يوم 11 يونية تحركت قواتى من بير حكيم نحو الشمال بغرض حسم المعركة بدون توقف وفى المساء وصلت الفرقة 15 بانزر والفرقة 90 الخفيفة وكتائب الاستطلاع 3، 33 تحت قيادتى المباشرة إلى منطقة تبعد من ستة إلى عشر أميال جنوب وجنوب غرب العظم. وقام ريتشى لمواجهة هذا الخط بتحريك لوائه المدرع الثانى من نقطة جنوب عكرمه إلى منطقة حول بيرليفة. وبعد معركة عنيفة مع حشود المدرعات البريطانية التى تساندها مدفعية

(1) كانت دفاعات بير حكيم تشمل حوالى ألف ومائتى موقع دفاعى ووكل إلخ... للمشاة والأسلحة الثقيلة.

(2) ربما كان تفكير روميل هنا متأثرًا لتأملاته عما حدث فى الشتاء السابق عندما انسحب غربًا وترك حاميات كبيرة فى مواقع الحدود وحيث عزلت ثم أسرت (فى السلوم والحلفاية).

قوية نجحنا فى الاستيلاء على المنطقة المحيطة بالعضم وجنوب مدق كابتزو قبل ظهر يوم 12 يونيه. وقد احتلت الفرقة 90 الخفيفة العضم، وتكبد البريطانيون خسائر فادحة فى الدبابات وتركوا 400 أسير فى أيدينا. وقد دافع اللواء 29 الهندى عن نفسه بعناد.

وفى صباح نفس هذا اليوم تحركت مجموعة قتال من الفرقة 21 بانزر شرقًا وبذلك ضغطت من الناحية الأخرى على المدرعات البريطانية التى أصبحت محصورة بين فرقتى البانزر الألمانيتين ولم تعد قادرة على التحرك بحرية، وقام ريتشى بإحضار اللواء 22 مدرع من خط الغزالة إلى هذه المنطقة المزدحمة المحصورة وبذلك أصبح استمرار هجوم الفرقة 15 بانزر فى اتجاه الشمال الغربى يؤدى لنتائج باهرة، وأصبحت المبادأة فى أيدينا.

وتحركت مع هيئة أركان حربى الميدانية إلى تبة تقع للجنوب الشرقى من العضم حيث راقبت سير المعركة بين الفرقة 90 الخفيفة والهنود. وكانت هجمات القاذفات البريطانية التى لا تنقطع تسبب متاعب كبيرة للفرقة 90 الخفيفة. ثم حاولت بعد ذلك أن أشق طريقى إلى الفرقة 15 بانزر ولكن عرباتنا تعرضت لنيران شديدة من الشمال والجنوب وثبتت فى أرض مفتوحة ساعات عديدة، ولم أصل للفرقة 15 بانزر إلا بعد العصر ثم صبحتها فى هجومها نحو الغرب. وأثناء المساء هاجمتنا طائراتنا من طراز ستوكا بطريق الخطأ لأنها أثناء تعرضها لمطاردة المقاتلات البريطانية اضطرت للتخلص من قنابلها لتستطيع زيادة سرعتها فى الهرب بعض الشىء لعدم قدرتها بالطبع على مقابلة طائرات القتال فى معركة متكافئة ومع هذا سلمنا نحن الثلاثة (بايرلاين والسائق وأخيرًا أنا) بدون خدش مرة أخرى)[1].

(1) مذكرات رومل- المرجع السابق ص381.

ومرة أخرى استعد الجنود لمتابعة التقدم وشقت كبد السماء إشارتان كبيرتان ضوئيتان، وكانتا للفرقة 21 المدرعة لكي تتخذ مراكزها وإرشاد الوحدات أو الأفراد المتخلفين الذين ضلوا طريقهم إلى مواقعهم عن طريق هذه الإشارات الضوئية أو بواسطة اللاسلكى، وكان عليهم أن ينظروا إلى الوصلة ويحددوا مكان الإشارة الضوئية ثم يعرفوا طريقهم. وكان الملازم شلوز من الفوج 104 المدرع قد ضل الطريق فى الصحراء معه عربته بين بير حكيم وجسر الفرسان أثناء قيامه بإحدى الدوريات.

وفى المقعد الخلفى للعربة جلس موللر ومعه مدفعه الرشاش على ركبتيه استعدادًا للمفاجأة التى تحدث عادة فى الصحراء أثناء الليل. وكان السائق مشغولاً بالقيادة وتتبع الطريق، وعينًا الملازم شلوز معلقة بالبوصلة التى حملها بيد ثابتة وأخذ يحدد موقعه، درجتان لليسار ثم انحراف بسيط إلى اليمين. الآن كان على السائق أن يتخذ طريقة مستعينًا بالنجم الأوسط فى مجموعة الدب الأبكر. وفجأة صاح أحدهم: "انظروا هناك" يوجد شىء معتم فى ذلك المكان". سمعوا صوت باب العربة يفتح ورجلاً ينادى: "هل أنتم بريطانيون؟" رفع موللر ببطء مدفعة الرشاش، إلا أن الرجل المنادى شك فى الأمر وعاد فى عربته فقادها واختفى، وبعد ذلك سمعوا صوت حمالات البرن وهى تسرع السير على يمينهم.

ولكن ما هذا الصوت؟ إنه صوت جرذان الصحراء! أجل لقد كان يحدث هناك أشياء من هذا القبيل كما كان هناك كثير من الثعالب. ففى فصل الأخصاب تقوم جرذان الصحراء بضرب الأرض بذيولها لكى تسترعى انتباه الإناث!

وكانت الساعة 2.45 صباحًا ومازالت دوية الملازم شلوز لم تتصل بعد

باقى القوات. وكان عليهم الآن أن يتبعوا النجم الأيسر لمجموعة الدب الأكبر ثم اتجهوا ناحية اليمين وسمعوا من ينادى "قف - من أنت؟؟".

وسمعـوا صوتًا ألمانيًا فأجـابوه بكلمة السر وصـاح الحارس: "إذن لقد وصلتم أخيرًا".

وكـان وقع الكلمـات على أنفســهم بردًا وسـلامًـا. والآن أخذوا قـود انضموا إلى الفوج يواصلون التقدم باتجاه الشمال نحو الشاطىء.

ظل الملازم فيرمان من السرية الثانـية التابعة للفوج الأفريقى 261 يعمل بدون الرقيب بروكـمان الذى كاهنت له شهرة بين زمـلائه الألمان الذين كانوا يخدمون فى الفرقة الأجنبـية لعبقريته التنظيمية. فـفى أحد الأيام خلال شهر نوفـمبـر 1941 لم يعـد الرقيـب من إحدى الغـارات، ودون اسـمه ضـمن المفقودين. وهذه الكلمات "مفقود" كـانت تعنى أشياء كانت، ومعنى الكلمة الحقيقى قد يتمثل فى مصير الرقيب بروكمان. ففى يوم 12 يونيو 1942 كانت الفرقة 90 الخفيفـة مشتبكة فى القتـال فى منطقة العضم مع اللواء 29 الهندى الذى تحصن فى صندوقه الدفاعى، وفى نفس الوقت كانت وحدات من الفرقة 21 المدرعة تشق طريقـها قتـالاً متجهـة إلى الشرق. وكانت مـعركة حاسـمة وذلك لأن آخـر حصـون ريتشى الدفـاعـية حـول طبرق كـانت على وشك السقوط.

وإلى الجنوب من درنة بعـيدًا إلى الخلف عن خط القـتال، كـان يوجد مطار درنة، وكـان يجلس فى مطعم المطار ضبـاط طائرات الستـوكا وطائرات القتـال التابعون لقـيادة الجنرال سـيدفان، وكـانوا يحتفلون بعـيد مـيلاد أحد زمـلائهم وهو الملازم فـونت رانتـزو، وجلسـوا يناقـشـون فى الدين والخلق والخليقـة، وهذا بالرغم من تلقيـهم تحذيرًا مسـتديمًا ليكـونوا على حذر من

التخريب الذى يقوم به أفـراد مجموعة الصحراء بعيـدة المدى البريطانية، وقد أرغمت هيئة المطار عدة مرات على أن تأخذ هذا التـحذير مأخذ الجد لتعرض الطائرات قـبل ذلك للتـدمـير وقـتل الجنود أثناء نومـهم. وبالرغم من عـدم اهتمـامهم جديًا بهذا التـحذير إلا أنهم كانوا مـحتفظين بأسلحتـهم دائمًا فى متناول أيديهم[1].

وفى الخارج كـان الظلام حالكًا. وفى ذلك المسـاء قاد النقـيب جايمس راى من مجـموعـة الصحـراء بعيدة المدى عـربتين مـحملتـين بالرجال عـبر الصحراء كانت هذه الزمرة خليطًا غريبًا من البريطانيين والفرنسيين والألمان ثم توقفـوا وانقسـمـوا إلى قـسـمين وأعيـدت عليهم الأوامـر فى صوت هامس: "عليكم تدمـيـر الطائرات بالقنابل اليدوية ومـهاجمـة الملاجئ مع قطع أسلاك التليفون، يجب العـودة بأسيرين على الأقل". وتقدمـوا فى طريقهم، وكان الملازم الفـرنسى الذى يقود إحـدى الزمرتين مـضطربًا فظل يواصل النظر إلى بوصلته ويقـول للسائق أن عليه أن يقود بحرص وحـذر. وتمتم قائلاً: "لابد أننا نقتـرب من الهدف" وفجأة توقـف السائق. وسأله الضابط "مـا الأمر؟" فقال له: "دعنى إلقى نظرة حولنا يا سيدى الملازم. فأنا أعرف المنطقة" فوافق الملازم وهو متذمر وقال له: "حسنًا ولكن عليك أن تسرع".

وابتلع الظلام الرجل. وانتظر البـاقون فى العـربة ومرت خـمس دقائق وهم ينتظرون، وأخذ الملازم الفـرنسى التابع لقوات التخريب البـريطانية يلعن السائق لتأخره، وفى ذلك الوقت فتح باب غرفة قيادة المطار، ووقف على بابه جندى تعلوه الأقـذار وكـان يرتدى ملابـس غريبـة وهو يلهث ويقـول: "إن البريطانيين بالخارج، جماعة من الفدائيين عددها عشرة أفراد، لقد قدتهم إلى

---

(1) بول كارل - نفس المرجع ص279.

هنا، لقد قرروا نفس المطار وعليكم بالعمل" وفى لمح البصر قفز الضباط والجنود التابعون لقيادة المطار على أقدامهم ولم يوجهوا له أية أسئلة، ولم يترددوا، بل حملوا القنابل اليدوية والمدافع الرشاشة وخرجوا ومعهم الجندى الغريب.

وصاح الملازم الفرنسى: "اللعنة! أين ذهب هذا الرجل؟؟ آمل ألا يكون فى الأمر خدعة". ورد عليه أحد زملائه: "لا أنا لم أثق أبدًا بذلك الألمانى". إلا أن الرقيب ميشيل رد بقوله: "كلام فارغ، إن الألمانى لا غبار عليه فلقد وضع فى أحد معسكرات الاعتقال الألمانية لأنه خدم معنا فى الفرقة الأجنبية، ولعدم ثقتهم به ألحقوه بهذا الفوج الملعون رقم 361 وهو ليس بالفوج الميكانيكى وعلى جنوده أى يقاتلوا بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية". واعترض رجل آخر قائلاً: "ولكن..." إلا أنه ما كان يقول هذه الكلمة حتى شاهدوا فى هذه اللحظة أشباحًا متجهة نحوهم، وسمعوا أمرًا يلقى بالألمانية. وسارعوا بالإمساك بأسلحتهم إلا أنهم كانوا متأخرين، فأخذوا القنابل اليدوية تنفجر، وأخذت صفائح البترول تطير مشتعلة فى السماء وانفجرت الذخيرة وتعالى الصباح وسمع أنين الجرحى وتمكن عدد قليل من القفز من العربة، إلا أن مدفعًا رشاشًا حصدهم ولم يتمكن من الهرب سوى رجل واحد هو الملازم الفرنسى، وطارده الألمان إلا أن الصحراء ابتلعته.

وتمكن الملازم بعد أن ظل يتخبط عدة أيام فى مجاهل الصحراء من أن يشق طريقه إلى إحدى الوحدات البريطانية وبذا أمكنه أن يقص ما حدث.

ونجا ثلاثة من جماعة الفدائيين بعد شفائهم من الجروح التى أصيبوا بها وأخذوا أسرى. وبالطبع كان هناك السائق الذى أفسد عليهم خطتهم وجاء بهم إلى المطار، واسمه الرقيب بروكمان فقد أسره البريطانيون فى نوفمبر

1942 وبذل كل ما فى وسعه ليتجنب الأسر ثانيـة. وقد مكنته خدمته السابقة فى الفرقـة الأجنبية من أن يكون مـحل ثقة الإنجليزى ونجح فى إثارة اهتمام مجموعة الصحراء بعيدة المدى حتى استطاع أخيرًا التطوع للخدمة فيها.

وقد روى لـى شخصـيًا هذا الحـادث قائد الـفوج 361، وقد دون فى السجلات البـريطانية على النحو الآتى: "لا يمكن للمـرء حتى يومنا هذا أن يقطع بالدوافع التى أدت إلى وقوع مثل هذا الحـادث، إلا أن هناك أمرًا واحدًا واضحًا، يعود إلى الموقف المشكوك فيـه الذى كان ينظر فيه الرايخ الثالث إلى الجنود الذين خدمـوا فى الفرقة الأجنبـية، فبالرغم مـن أن وطنهم قد تبناهم ثانية إلا سـابق خدمتهم فى جـيش أجنبى كانت عارًا يلاحقـهم، ولم تتمكن الأوامر أو الترقى من إزالة هذه الوصمة".

وهكذا كان موقف هؤلاء الذين أطلق عليهم اسم "غجر الصحراء" كما اعتـاد رجال الـفوج 361 أن يـسموا أنفـسهم. وربما كـانوا أقل تسليحًـا من وحدات أخرى. ومن عادتهم أن يسيروا فى الصحراء على الأقدام بينما يركب باقى الرجال العربات. ورغم هذا فقد كانوا جنودًا ممتازين لم تتفوق عليهم أية وحدة أخرى فى روحـة الجندية. وبالرغم من كل الأقاويل والقصص يتـحتم القول بأن الرجـال الذين سبق لهم فى الخدمـة فى الفرقة الأجنبيـة كانوا على علاقات طيبة مع ضباطهم الذى أحسن اختيارهم. وكان على الضابط الذى لا يستطيع معاملة مثل هؤلاء الرجـال أن يطلب نقله إلى وحدة أخرى سريعًا من باب التضحية.

وقد اشترك الفوج 361 فى كل المعارك العنيفة فى حرب أفريقيا، وحينما كان رجاله يهاجمون فإن الأمور تأخـذ فى "الغليان" كما كانوا يقولون. فهم

يكرهون العـواطف ولا يسـتخـدمـون كلمـات "الوطنيـة" و"الجنسيـة" ولا يحاربون من أجل مثل أعلى، وإنما هم بكل بساطة ووضوح جنود مأجورون. وعندما يعود أحدهم محـملاً بالغنائم فإنه عادة يحضر معه شيئًا "للعصابة" ولن نجد في أية وحدة من الوحدات طاهيًا يعتني بالجنود مثل أريخ لو ينتخب طاهي السرية الثانية من الفوج 361.

وكان هذا الشـعور الإنساني يجعلهم مـرتبطين ببعضهم، فـالسرية هي وطنهم والصحراء أمهم(1).

1942/6/13

مذبحة الدبابات:

وقد مضـيت اليوم التالي (13 يونيه) مع فيلق أفريقيـا وكانت فرقته 15 بانزر تقوم بـتطهير النقب الواقـع نحو الغرب وفي نفس الوقت كـانت فرقـتا تريستا وآريتي الإيطاليتـين تقومان بدفع البريطانيين نحو المنطقة الـواقعة شمال مـدق كابتـزو وبدأت الفرقـة 21 بانزر هي الأخـرى في التحرك أثنـاء المساء واندفعت شـرقًا أثناء عاصـفة رملية عنيـفة أدت لتعـذر الرؤية تمامًا في بعض الأحيـان واستمرت مـذبحة الدبابات البريطانيـة وتحطمت بقيتهـا الواحدة تلو الأخرى في ميدان المعركة. وكان عددها حوالي 120. وانهالت النيران المميتة من نواحي مـتعددة على الـتشكيلات الـبريطانيـة المحشوطة في مكـان ضيق وبدأت قوتها في الاضمحلال تدريجيـًا، وخفت وطأة هجماتها المضادة بنفس الدرجة.

ولسوء الحظ أن الفرقة 90 الخفيفة لم تتمكن من تنفـيذ أوامرى القاضية بالتحرك شـرق الفرقة 15 بانزر لأن البريطانـيين كانوا يهـاجموها من جـميع

(1) بول كارل - نفس المرجع ص282.

الاتجاهات وكانت منشغلة بالقتال دفاعًا عن كيانها، ولم تتمكن من التخلص من العدو إلا فى الفترة بعد العصر وتفادت قوة بريطانية كبيرة ثم تحركت إلى مواقعها الجديدة.

وقد أخلى لواء الحرس جسر الفرسان فى هذا اليوم بعد أن تعرض طول فترة الصباح لكل النيران التى أمكننا حشدها ضده وهذا اللواء كان مثلاً حيًا لكل فضائل وعيوب الجندى البريطانى شجاعة فائقة وعتاد تصحبهما صفات الجمود وانعدام خفة الحركة، وقد تم تدمير الجزء الأكبر من القوة المدرعة الملحقة بلواء الحرس أثناء هذا اليوم أو أثناء انسحابه فى اليوم التالى.

وقررت بعد ذلك أن أدخل المعركة بكل قواتى الميكانيكية الألمانية والإيطالية فى اليوم التالى أو الذى يليه لأحاول الوصول إلى البحر. وكان المقصود بهذا إعادة الفرق البريطانية الموجودة فى خط الغزالة. (والتى كانت قد بدأت بالفعل فى التحرك شرقًا)، نحو الغرب وتدميرها.

وكانت طائرات كسلرينج فوق قولاتهم باستمرار وكان اللهيب يغطى الطريق الساحلى. كان من الواضح أن القتال سيكون عنيفًا فى اليوم التالى والذى يليه، لأن البريطانيين بدأوا يفكروا فى الدفاع عن خط عكرمه بغرض المحافظة على خط الانسحاب مفتوحًا لقواتهم من خط الغزالة. وبدأ كما لو أن ريتشى ينوى التضحية بآخر دباباته فى سبيل تحقيق هذا الغرض.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"فى مساء يوم 13 يونية كانت قوة البريطانيين فى هذه المنطقة الحاسمة قد انخفضت إلى حوالى 80 دبابة فقط. بالرغم من أن روميل كانت خسائره فادحة هو الآخر إلا أنه كان يتفوق بنسبة الضعف من حيث عدد الدبابات

الصالحة علاوة على سيطرته على أرض المعركة فاستطاع سحب وإصلاح عدد كبير من دباباته المصابة بينما لم يتمكن ريتشى من هذا".

ويتابع روميل مذكراته:

وهكذا فإن المعركة التى بدأت بداية غير طيبة بالنسبة لنا أخذت فى النهاية تتطور بطريقة متزايدة فى صالحنا. وكل هذا كنا ندين به لشجاعة الجنود الإيطاليين والألمان.

وفى أثناء 13 يونية كانت فرقتا فيلق أفريقيا موجودتين غرب مدق بير حكيم ومستعدتين للهجوم نحو الشمال. وكان على فرقتى آريتى وتريستا الإيطاليتين العمل كستارة لجناحهما الشرقى المعرض وتحركت الفرقة 90 الخفيفة نحو الشرق لتضع نفسها فى مركز يسمح لها بتوجيه ضربة سريعة نحو مشارف طبرق[1].

دفع الرائد هاردى قدح الشاى جانبًا عندما أحضر الرقيب كوبر دفتر الإشارات إلى الحجرة وقال له: "رسالة من القاهرة يا سيدى". وأومأ الراشد برأسه وقرأها، وظهر عليه الانفعال ثم نظر إلى تاريخ الرسالة ووقت إرسالها وبهزة من رأسه أخذ الرسالة إلى الغرفة التى بها قائد الجيش الثامن البريطانى.

وكان الجنرال ريتشى يقف أمام نافذة مبنى رئاسة الشئون الإدارية الإيطالية فى بلدة جامبوت وهو يتأمل أنقاض المنازل فى ميدان السوق. هذا الرجل الذى كان هادئًا دائمًا، أخذ يقرع بعصبية على حافة النافذة بينما وقف أمام الخريطة الكبيرة لموقف العمليات الجنرال نورى قائد الفيلق الثلاثين يحاول تكوين صورة الموقف حتى يعطى رأيه فى الإجراءات الضرورية الواجب اتخاذها. وأبدى الجنرال نورى فى ذلك اليوم رأيه فى موقف قواته المدرعة

(1) مذكرات روميل- المرجع السابق ص383.

(وهما الفرقتان الأولى والسابعة المدرعة). وكان الموقف مؤسفا ومحيرا فقد أصبحت الفرقة المدرعة ممزقة وبدون خطة موحدة وأصبحت القوت البريطانية المدرعة فى الأربع والعشرين ساعة الأخيرة، بعد سقوط بير حكيم، عاجزة عن إيقاف تقدم قوات رومل المتجهة إلى الشمال نحو الساحل، وأصبح فشلهما واضحًا. وأسر الجنرال (ميسرفى) قائد الفرقة المدرعة السابعة وبقيت الفرقة ليوم كامل بدون قائد. ويمكن توقع النتائج فى مثل هذه الحالة، وعبثا حاول الجنرال لمسدين ومعه اللواء 22 المدرع معاونة الفرقة ولكن بدون جدوى. وقد استغرق الاتصال بقائد فيلقه إحدى عشرة ساعة.

ومرة أخرى استغل رومل ارتباك القيادة الإنجليزية، وبذلك تمكنت مدرعاته من هزيمة الألوية البريطانية المبعثرة. وعندما حل عصر يوم 12 يونيو أصبحت القوات البريطانية المدرعة مجرد أشباح، وتبعثرت الدبابات فوق رمال الصحراء من طراز غرأنت وكروسيدر وستيوارتت وهى محطمة كل التحطيم.

وبالرغم من أن الجنرال نورى لم يحصل بعد على البيانات الكاملة عن مقدار الخسارة الجسيمة التى لحقت بالقوات أثناء شرح الموقف للجنرال ريتشى فى جامبوت إلا أن الصورة كانت مفزعة بما فيه الكفاية.

فقد فشلوا فى إيقاف تقدم رومل نحو الساحل. وإذا استطاع الألمان الوصول إلى البحر فإن كلتا الفرقتين الموجودتين فى قطاع الغزالة. (وهما الفرقة الأولى الجنوب أفريقية والفرقة الخمسون البريطانى) سوف يقطع عليها خط الرجعة وتعتبر فى حكم المفقودة. ولم يكن قد تم الانتهاء بعد من تقدير الموقف عندما دخل هاردى وهو أحد أركانات حرب الجنرال ريتشى إلى الغرفة ومعه رسالة القاهرة. وقال: "يا سيدى، إن القائد العام يبلغكم عن مغادرته

للقاهرة وسوف يصل فى ظرف ساعة"، وتبادل ريتشى ونورى النظرات، فهما يعلمان أن هذه الزيارة لن تكون زيارة ودية.

ولم يفقد الجنرال السير كلود أوكنلك زمام نفسه، إلا أن الغضب والمرارة ظهرا فى نبرات صوته وكانت واضحة فى جمله المقتضبة. فكيف يمكن لعدو تقرر منذ عشرة أيام فقط أنه قد هزم، وقد أصبح محاصراً وبدون إمداد وتموين وكان من المتوقع أن يقضى عليه بضربة قاضية، كيف تفسر عودة مثل هذا العدو ليصبح على وشك سحق الجيش الثامن؟؟ فهل رومل هذا متحالف مع الشيطان؟؟ ألا يوجد قائد فى الخطوط الأمامية يكون نداً لرومل؟؟ ووقف الجنرالات وضباط القيادة يستمعون بوجوه جامدة إلى هذا الكلام الذى يشبه الصواريخ يقذف بها القائد العام. أما صغار الضباط فقد وقفوا صامتين إلا أنهم كانوا يودون - لو أمكنهم الكلام، ولو قدر لهم أن يتكلموا - أن يقولوا ما يلى:

"طالما إننا نحارب فى الحرب العالمية الثانية بأسلوب الحرب العالمية الأولى فلن يكتب لنا النصر. ويجب أن يدرك قادتنا أن فجر عهد جديد من فنون الحرب قد ظهر. وأن القوات المدرعة سريعة الحركة تستطيع القضاء على الجبهات الثابتة مهما كانت، وإننا بهذه الطريقة الجامدة سوف نظل مهزومين دائماً مهما تكن قوتنا. وقد نلاحظ أن قادتنا يكتفون بالمناقشات اليومية والروتينية وينتظرون الأوامر من مقر قيادتهم الموجود فى الخلف بعيداً عن ميدان المعركة. أما رومل ونهرنج وكليمان وفون بسمارك وغريسمان وزملاؤهم فهم يقومون بقيادة مدرعاتهم ومدفعيتهم ومشاتهم الميكانيكية بأنفسهم. ونتيجة لهذا ففى حالة حدوث أزمة أو موقف مفاجئ يستطيعون إعطاء الأوامر اللازمة على الفور. ثم ما الذى يفعله القادة البريطانيون الكبار؟ إنهم هنا فى القيادة يهتمون بالتشاجر. ولا توجد قيادة موحدة هنا، ولا توجد ثقة بالنصر أو

حرارة على القتال. ولا تسودهم روح الحماس بل كل ما نجده هو البرود فقط. ونجد أيضًا الإستراتيجية العتيقة التى تصدر فى القاهرة وتترجم فى جامبوت على شكل أوامر عقيمة. وهذه الأوامر تصدر من مقر القيادة فى جامبوت إلى الفيلق 13 أو الفيلق 30 ثم منهما إلى الفرق ومن الفرق إلى الألوية المدرعة. وهذا يأخذ ساعات وساعات وعندئذ يكون الموقف قد تغير تمامًا".

ربما كان هذا ما كان يريد أن يقوله الضباط الصغار لقائدهم الأعلى. وكان بودهم أيضًا أن يقولوا له أنهم فى حالة يأس من مظاهر الشجاعة التى ليست فى محلها كما حدث لرجال البطارية السادسة من بطارية مدفعية الميدان التابعة لفرقة جنوب أفريقيا أثناء ستر انسحاب فوج الحرس الاسكتلندى، فقد استمروا فى الضرب حتى آخر رجل. وقد قام قائد البطارية الرائد نيومان بتعيين ضابط مع كل مدفع وأعطاه الأوامر بأن يطلق النيران مباشرة على دبابات الفوج الخامس المدرع الألمانى. ولكن ما هى الفائدة التى أسفرت عن ذلك؟ لقد فتحت عليها الدبابات والمدافع الألمانية تجمعات من النيران المركزة، وقد صمدت البطارية الثانية ولكن قتل نصف جنودها، بما فى ذلك الضابط وظل الملازم آشلى ومعه عامل اللاسلكى يعملان على المدفع الأخير حتى قتلا. إنه لا يوجد أى مبرر لمثل هذا العمل إلا لكى يدون فى كتب التاريخ !!! أما قوات رومل فلم تقاتل من أجل تدوين قصص البطولة. فقد واصلت الفرقتان 15 و 21 المدرعتان من قوات الفيلق الأفريقى تحت قيادة الجنرال نهرنغ تقدمها باتجاه الساحل مع محافظتهما على تماسهما بمؤخرة الفرقة الأولى لجنوب أفريقيا والفرقة 50 البريطانية اللتين تركهما ريتشى متورطتين فى الصحراء فى منطقة الغزالة[1].

(1) بول كارل - نفس المرجع ص285.

يقول إدموندز عن روميل الذى تحدث عن الجندى البريطانى ما يلى:

أشار روميل، فى الوصف الذى أعطاه للعمليات الحربية التى حدثت فى الأيام القلائل التالية لمعركة الغزالة، إلى ما كـان يتمتع به خصومه البريطانيون من جدارة واستحقاق وما يعتورهم من نقص فقال:

فى ذلك اليوم أخلى لواء الحرس البريطانى موضع "جسر الفرسان" بعد أن تعرضت تلك المنطقة طيلة الصباح إلى قـصف مركز من المدفعية بشكل لم يخطر على بالنا قط. وقـد كان هذا اللواء فى الـواقع نموذجًا حـيًا للصـفات السلبية والإيجابية التى يمتاز بهـا الجندى البريطانى. فقد توافرت لهذا الجنيد الشجاعة الخارقة والجلد، وفى ذات الوقت ظهر فـيه عجزه البارز عن التحرك بسرعة. (وبعد أن تحدث روميل عن سقوط طبرق، ألمح إلى القرار الذى صمم على تنفيذه فى افتتاح مـصر، على الرغم من الأوامر التى أصدرها موسولينى بعدم التقدم نحو القطر المصرى).

كانت تلك هى الخطة التى قد يكتب لها النجاح. فهى تجربة. ولـم يكن القـيام بتلك العـملية لـيؤثر على سـلامة جـيشى. وكـما وقع فـعلاً، كـان باستطاعتنا أن ندافع عن أنفسنا بنجـاح فى أية حالة ممكنة أثناء تقدمنا. غير أن هذا التقدم قد تعرض فى النهاية إلى شىء من الانتـقاد. فقد قيل فى حينه أن ارتال الإمدادات العـاملة فى شمالى أفـريقيا لن تصـبح قادرة - أثناء الزحف السـريع المتـواصل- على ضمـان طريق تموين طـويل يمتـد من بنغـازى إلى العلمين، وأن البريطانيين سيستفيـدون كثيراً من قصر خطوط إمداداتهم الممتدة بين بورت سعيـد والجبهة، غـير أن مثل هذا الانتقاد يمكـن دحضه بالدلائل التالية[1]:

(30) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص312.

(أ) إن تفوق البريطانيين في السلوم، كان أكثر فاعلية من تفوقهم في العلمين، فباستطاعة العدوان يشطر قواتنا، ثم يشرع في تحطيم فرقنا الآلية بما في ذلك تشكيلاتها المدرعة التي كانت- أثناء معركة العلمين- تحتفظ بتفوق ساحق ليس بالعدد- كما كان ذلك قبلاً- وإنما بالنوعية أيضًا.

وعلى هذا كان من المتوقع أن يؤدى سحب مشاتنا غير الآلية من جبهة السلوم إلى تحرج وضعنا، أكثر مما لو انسحبنا من العلمين. فقد كانت قواتنا هذه - خلال معركة العلمين- تمثل مجموع الجيش، أما في السلوم فلم تكن لديها الفرصة الكافية للقيام بأى عمل فعال. ذلك لأن المواقع التي كانت تحتلها قواتنا في السلوم، لم تكن تتطلب أية محاولات جدية من العدو لاقتحامها وإنما كانت تكفي لدحر قواتنا تلك أن يقوم العدو بحركة هجومية بسيطة. وقد كان على هذه القوات أن تختار أحد أمرين: فإما أن تكون غنيمة باردة للوحدات البريطانية الآلية. أو أن تتحمل عبء الانسحاب.

والحقيقة أنه كان على أرتال إمداداتنا أن تتغلب على مصاعب شاقة أثناء الزحف داخل الحدود المصرية، وكان من الأمور الجوهرية أن نطلب بعض الإمدادات من إدارة التموين في روما، بعد أن أرهق سائقو الدبابات والمشاة في قتال استمر ثلاثة أسابيع دون انقطاع.

وهكذا أخذت الإمدادات تتدفق عن طريق البحر إلى الموانئ الواقعة في المنطقة المتقدمة، كما سبق أن وعد به في مثل هذه الأحوال. فعندما بلغتنى الأوامر القاضية بالاندفاع داخل مصر، خيل إلى بأن الظفر النهائي الذى أصبح في مصر قاب قوسين أو أدنى، لابد وأن يستفز القيادة الإيطالية العليا إلى عمل ما من شأنه أن يضاعف من جهودها. وهذا سيهيء لى من الوقت ما أستطيع خلاله الاستفادة من الموانئ التي نستولى عليها في زيادة إمداداتنا.

(ب) لم يكن من المتوقع أن تتحسن حالة إمداداتنا فى السلوم أيضًا، ذلك لأن كلاً من بنغازى وطبرق- بدلاً من طبرق ومرسى مطروح- ستكون هدفًا للمقنبلات البريطانية، وستتأثر بذلك كثيرًا. فمدينة بنغازى مثلاً يمكن أن تستخدم لمختلف الأغراض، ولرسو السفن الضخمة، وهذا معناه اتساع طريق الإمدادات وامتداده حتى طرابلس التى ستكون خارجة عن قابلية أرتال إمداداتنا.

أما بالنسبة للبريطانيين فمن النادر أن تبتعد حركاتهم عند الحدود بعض الشيء عن مركزهم التموينى. فقد كان فى متناول يدهم السكك الحديدية، والعدد الكافى من سيارات النقل والطرق الصالحة، بالإضافة إلى الملاحة الساحلية.

كانت الفرقة النيوزيلندية التى يقودها الجنرال فرايبورغ - أحد الضباط القدامى المحنكين الذين استفادوا من مثلى من الحروب السابقة - قد تمركزت ليلاً ثم اندفعت نحو الجنوب.

وما لبث القفر اللامع أن غمر مقر قيادتى الذى كان يمتد إلى الجنوب. فقد كان جحفل "موقعة كيل" وجزء من فرقة "لوتوريو" فى غمر الوغى. وكان تبادل النيران بين قواتى والنيوزيلنديين، قد بلغ الذروة من الشدة والعنف، وعلى الأثر طوق مقر قيادتى بالسيارات المحترقة، فأصبحت بذلك هدفًا لنيران العدو المستمرة التى كانت تقذف علينا من مسافة قصيرة. وما أن توالى القصف بعد ذلك حتى أصدرت أوامرى إلى هيئة أركان حربى بأن نتراجع نحو الجنوب الشرقى. وقد تم هذا التراجع فى وقت بلغ فيه القتال منتهى القسوة والجنون، ونشر فيه الظلام حجابه الكثيف فى سماء المعركة بحيث لم يعد فى استطاعة أحد أن يبصر يده إذا ما مدّها أمام عينيه. لقد بلغ

من شـدة الظلام أن راح السلاح الجـوى البريطانى يقـذف الجنود البريطانيـين بقنابله، بينما راحت وحداتنا تطلق النيران على بعضها البعض[1].

وقد أثبـتت الإستراتـيجيـة القديمة فى هذه المرحـلة من معارك شـمال أفريقـيا فشلـها أمام تقـدم روميل واندفاعه. وتمكن روميل ورجـاله من تطوير حرب الدبابات فى الحرب العالمية الثانية فجعلوا منهـا معركة سريعة متحركة، علاوة على أنهم كـانوا يقودون الهـجوم فى الخطوط الأمامـية، ولم يقـوموا بذلك من قبل التظـاهر بالبطولة الكاذبة، ولكن لإلمامهم بتكتـيكات المدرعات وسيكولوجية القوات. وقـد قرر روميل ذلك بوضوح فى يوم من الأيام فقال: "أن أغلب الرجال أثناء قتالهم فى معـارك الدبابات السريعة يلزمهم فى لحظة معـينة بعض الراحة. وطبـعًا لا يوجـد جيش يتكون فقـط من أبطال وسوف يظهرون لسـبب أو لآخر أنهم لا يسـتطيعون الاسـتمرار، ولكـن على القائد بواسطة السـلطة المخـولة له أن يقاوم هذا الجنوح الإنسانـى الطبيعى للأعـياء، وعليه أن يتتشل ضباطه ورجاله من موقفهم هذا. ولذلك يجب على القائد أن يكون المحرك والمهيمن على المعركة، ويجـب عليه أيضًا أن يكون باستمرار فى أرض المعركة وفى الخطوط الأمامية لكى يضع سيطرته موضع التنفيذ".

وقد تمكن صغار الضباط فى الجيش البريطانى من الألمام بسر قيادة روميل الموفقة، إلا أن الكثير من قادتهم الكبار لم يكن لديهم هذا الإدراك.

لكن لا يوجد جـيش فى العالم يسمح لصـغار الضبـاط الموجودين فى مراكز القـيادات بأن يعلنوا عن رأيهم عندما يتكلم القـادة الكبار ولذلك ظلوا صامتين فى جامبوت أمام أوكنلك. واستمعوا إلى ما قاله ريتشى. وكان يبدو أن أوكنلك متـفق معه على هذا، وكأنما أوكنلك هو الذى يتكـلم فقال: "أن

---

(1) اللواء إدموندز يونغ- نفس المرجع ص314.

روملِ ليس بالرجل الخـارق للعادة، وقـد تكبدت قـواته حتى الحـين خسـائر فادحة ومن الناحية العددية فإننا مساوون للألمان وإذا واصلنا حرب الإبادة فإن روملِ سوف يتوقف لالتقاط أنفاسه وإذا تمكن روملِ من الوصول إلى الساحل ولو بقوات ضعيفة فإن الواجب يقـضى بالقيام بصده وحمله على التراجع".

وهذه اللمحة المتفائلة أسرت أوكنلك وكل القـادة يحبون المتفائلين وقد تمخض هذا المؤتمر الطويل على القرار التالى:

"إن المعركـة يجب أن تستمر على جـبهة الغزالة- العـضم حتى يضطر العدو إلى التوقف لالتقاط أنفاسه".

وقبل أن يغادر القائد العام المؤتمر متـوجها إلى القاهرة أبرق إلى ونستون تشرشل فـى لندن يبلغه بأن نوايا العـدو لم تتحـقق كما كـان مرسـومًا، وأن الروح المعنوية للجنود عالية.

وهكذا كانت البرقـية تتفق مع ما يريد أن يسمعـه تشرشل. فأرسل الرد التالى: "إننى أهنئك على قرارك بمواصلة القـتال. إن نجاحك لا يتوقف على الأسلحة وحدها، بل كذلك على قوة العزيمة، بارك الله فيكم جميعًا ونستون تشرشل".

واستـمرت المعركـة فى المربع الصحـراوى الضخم بين طبـرق والغزالة وجسـر الفرسان والـعضم وهزمت أفواج الفـرسان فى العـضم، كذلك هزم الهنود فى عكرمـة ولم تتمكن المدرعـات البريطانيـة من تفادى القـتال، فـقد اضطرت عند ظهور تجمعات روملِ المدرعة أن تخوض المعركة، وكانت مجبرة على ذلك، لأن مـعنى التـخاذل هو فـتح الطريق إلى الشـاطئ وإلى طبـرق ولذلك كان روملِ هو الذى يفرض ميعاد المعركة ومكان ميدانها.

فأين سيهاجم الآن؟؟ في جسر الفرسان؟ أم فى الغزالة؟ أم فى العضم؟ لقد كان ريتشى فى دوامة، فأصبح فى حيرة. فلو أرسل كل مدرعاته إلى قطاع واحد فيستعرض لخطر اختراق روميل للقطاعات الضعيفة الأخرى، ولو أبقى على مدرعاته ولم يرسلها، فإن هناك خطرًا أكبر وهو أن يصل روميل إلى الدفاعات الخارجية لطبرق، وأخيرًا تمكنت فرق روميل المردعة المتقدمة من هزيمة القوات التى واجهه بها ريتشى كما كان يحتفظ روميل بالورقة الرابحة التى يجب عدم إخفائها وهو المدفع عيار 88 ملم الذى لا يمكن تجاهله. فالمرة تلو المرة كانت هذه المدافع تدمر الدبابات البريطانية المهاجمة[1].

سقوط طبرق:

وفى الصباح التالى (14 يونية) تحركت فرقتا لابانزر الألمانيتان نحو الشمال وأمرت بالأنطلاق بأقصى سرعة لأن العربات البريطانية كانت تتدفق بالآلاف نحو الشرق، وقد صحبت الدبابات وحثت قادتها على المحافظة على سرعتهم وفجأة ارتطمنا بحزام عريض من الألغام، وكان ريتشى قد حاول إقامة جبهة جديدة ووضع فيها كل دبابة متيسرة له، وتوقف التقدم وتعرضت مركباتنا لسيل منهمر من القذائف الخارقة للدروع من جانب البريطانيين:

وأمرت آليات الاستطلاع على الفور بفتح ممرات فى حقول الألغام وقد ساعدها على تنفيذ هذا هبوط عاصفة رملية عنيفة فى منتصف اليوم وفى نفس الوقت أمرت مدافعنا من عيار 17مم بفتح نيرانها على الطريق الساحلى واختلط زئير مدفعيتنا بضوضاء عمليات التدمير التى كان يجربها البريطانيون والجنود الأفريقين لمستودعات ذخيرتهم فى خط الغزالة.

---

(1) بول كار - المرجع السابق ص 287.

وفى وقت متأخر من عصر هذا اليوم تحرك الألاى 115 بنادق للهجوم على التبة 187 وبالرغم من نيران الدبابات البريطانية ومدفعيتهم المضادة للدبابات فإن الهجوم تقدم تدريجيًا.

وفى حوالى سعت (1700) أخذت النيران البريطانية التى تعرضت لها عربتى فى البطء بالتدريج ويبدأ دفاع العدو فى الانهيار وزاد عدد الأسرى من الأداء وكانت خيبة الأمل تبدو على وجوههم وبحلول المساء كنا قد استطعنا اختراق الحاجز البريطانى وبعد قتال ناجح عنيف وصلت فرقة البانزر الألمانية إلى المنطقة غرب عكرمة يمكن قياس مدى نجاحه باختراق خمس وأربعين دبابة بريطانية تقريبًا وكان حطامها يرقد فى ميدان المعركة وأصبح الطريق الساحلى فى حكم المفتوح.

ولم تعد الفرقة الأولى المدرعة البريطانية فى حالة تسمح لها باستمرار القتال مما أدى لانسحابها أثناء الليل من ميدان المعركة.

ويعلق ليدل هارات فيقول:

"نقلت هذه الفرقة ما تبقى من دباباتها إلى اللواء الرابع المدرع التابع للفرقة السابعة المدرعة وأصبحت قوة هذا اللواء (وهو الوحيد المتبقى) حوالى 60 دبابة".

ويتابع رومل كتابة مذكراته:

وفى نفس هذه الليلة نجحت وحدات من الفرقة 50 البريطانية فى اختراق جبهة الفيلق العاشر الإيطالى وهربت بعد ذلك نحو الجنوب وبالرغم من أننا دمرنا حوالى 400 مركبة وأسرنا عدة مئات منهم إلا أن ما يقرب من لواء بريطانى قد نجح فى الهروب وبعد هذه العملية حرك القائد البريطانى

قواته فى قولات صغيرة عبر منطقة أعشاتنا مما مكنهم من التخريب على نطاق واسع أثناء انسحابهم وكان الأصح فى الواقع أن تقوم الفرقتين البريطانيتين بالهروب من هذه المنطقة وعلى الأقل كان يمكنها للخروج من مأزقها فى حالة أحسن مما ستتعرض له على الطريق الساحلى وأهم من كل هذا أن مثل هذا الإجراء كان سيمكن المدرعات البريطانية من البقاء فى المعركة بدلاً من أن تضطر لوضع نفسها فى موقف تكتيكى سئ للغاية كما حدث عند عكرمة. ونتج عن هذا أنه تبعًا لتدمير القوة المدرعة التى أخذت بقاياها فى الانسحاب نحو مصر لم يعد ريتشى قادرًا على التدخل فى سير العمليات فى الجزء الشرقى لبرقة.

وقد كان الواجب على القيادة البريطانية أن تدرك أن بعد سقوط خط الأوالب وبير حكيم لم يعد هناك ما يدعو لتمسكها بالدفاع عن القطاع الشمالى من خط الغزالة ولم يكن هناك ما يدعو للتضحية باللواء الفرنسى ما لم يستغل الوقت الناتج عن هذا فى سحب الفرقتين البريطانيتين من خط الغزالة إلى المنطقة الممتدة بين عكرمة والغزالة، وذلك للقيام بعمليات الدفاع الخفيف الحركة ضد تحرك قواتى المدرعة وباستخدام تسليحهم الذى يتضمن ثلاثمائة مدفع ومن مائتين إلى ثلاثمائة مركبة مدرعة وحاملة برن، فقد كان هذا سيؤدى لتدعيم قواتهم فى المنطقة مما يجعل التفوق فى جانبهم مرة أخرى.

ولم يكن فى الإمكان إرسال الفرق الإيطالية بأسلحتها العتيقة وبدون حملة ميكانيكية إلى أرض صحراوية مفتوحة ما لم نساندها بقوة ميكانيكية ألمانية كبيرة. ولم يكن هناك ما يدعو البريطانيون للقلق من هذه الناحية نتيجة لهذه الأسباب.

وفى الساعات الأولى من يوم 15 يونيه انطلقت وحدات الفرقة 15 بانزر عبر الطريق الساحلى نحو البحر، ولكن بالرغم من أوامرى المشددة لهم، لم يتركوا على الطريق سوى سبع دبابات فقط لقطعه. وبالطبع لم يلاقى البريطانيون والجنوب الأفريقى أية صعوبة فى تدمير هذه الدبابات القليلة واقتحام الستارة الضعيفة والهروب من المصدية. وبعدها بقليل أقفلنا هذه الثغرة نهائيًا. وفى نفس الوقت بدأت الفرق الإيطالية ومعها اللواء الألمانى عمليات المطاردة على الطريق الساحلى[1].

وأخذ الفيلق الأفريقى يمر بالدبابات البريطانية المدمرة والمحترقة، فقد استطاع ثقل الهجوم الألمانى تمزيق التشكيلات البريطانية. وتمكن روميل وقائد الفيلق الأفريقى الجنرال نهرنغ بسهولة وحذق من إعطاء صورة رائعة للمهارة الفذة فى قيادة المعارك الحديثة، وبذلك تمكنا من تدمير مدرعات العدو. وكانت هذه المعركة ذات أهمية حقيقية فى الحرب العالمية الثانية، لأنها كانت المعركة الكلاسيكية الوحيدة للدبابات التى كسرت ظهر الجيش الثامن البريطانى. ولم تكد طائرة الجنرال أوكنلك تهبط فى القاهرة ليلة 12 يونيو حتى أصبح واضحًا للقيادة البريطانية فى جامبوت أن المدرعات البريطانية قد سحقت، واخترق بذلك حائط الصلب الذى يحمى المشاة فى موقع الغزالة وأصبح روميل يسيطر على الصحراء بين بير حكيم وطبرق. وكان ما يزال تحت إمرة الجنرال ريتشى فرقتان من المشاة كاملتين العدد والتسليح كل منهما تتألف من عشرة آلاف رجل. ولكن ماذا تفعل مثل هذه القوة فى معارك الدبابات عام 1942 حيث يمكن لقوة صغيرة من الدبابات القضاء على مواقع فوج كامل من المشاة لنقص الدفاعات المضادة للدبابات. وفى الرابع عشر من

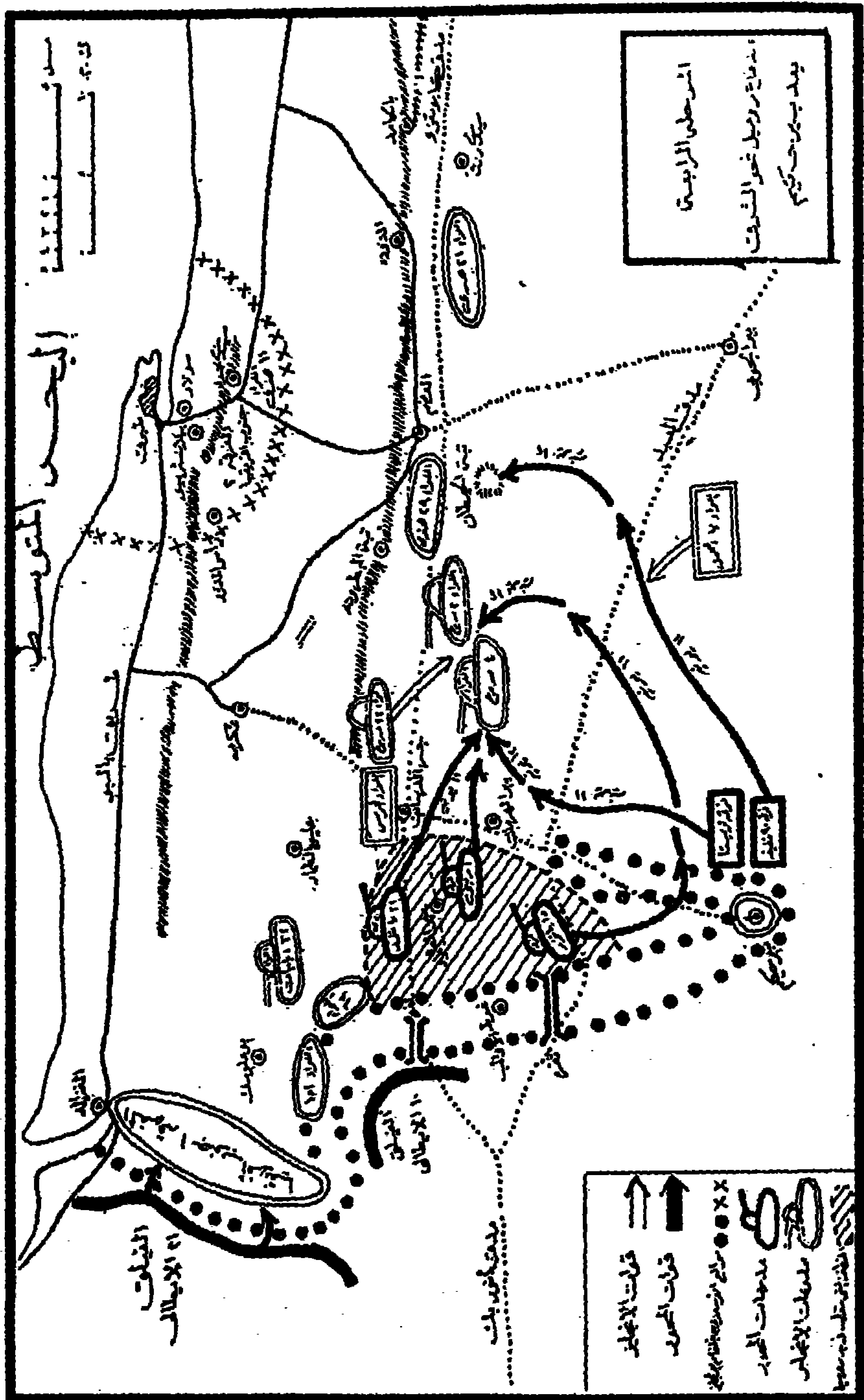
(1) ب. هـ. ليدل هارت - المرجع السابق ص 387.

يونيو أصدر الجنرال ريتشى أمرًا يخالف ما استقر عليه رأى أوكلنلك من ناحية تحديد موقف وموقع القوات البريطانية، ولم يمض على ذلك سوى ست وثلاثين ساعة. فقد أعطى كلمة السر "المولد الحر" وكان معنى ذلك أن على الفرقة الأولى جنوب أفريقيا والفرقة الخمسين البريطانية ترك مواقعها فى الجبهة الشمالية للغزالة ومواصلة الوصول إلى طبرق أو تجاوز طبرق ومواصلة الانسحاب حتى الحدود المصرية.

واحتج أوكنلك بشدة على ذلك من القاهرة ولكن الموقف كان يبدو للقائد العام فى صورة مخالفة للموقف الذى كان ريتشى موجودًا فيه فعلاً، وكانت كل الأنظار فى لندن والقاهرة مسلطة على طبرق وكان السؤال الذى يتردد، ماذا سيكون مصير هذه القلعة التى صمدت قبل ذلك أمام رومل، هذا الحصن القوى الموجود على أبواب مصر؟ وهل تستطيع طبرق المقاومة مرة أخرى، وهنا نجده يتقدم نحو الحدود المصرية" . وكان هذا هو المقصود من العملية كلها.

قفل رومل عائدًا على عقبيه وانضم إلى قوات الفيلق الأفريقى 20 الميكانيكى الإيطالى وكان على أهبة الاستعداد جنوب شرق طبرق وتقدموا خلال الليل ليكونوا أكثر قربًا من طبرق.

وقبل فجر يوم 20 حزيران 1942 وصل رومل ومعه أركان حربه إلى معركة القيادة التكتيكى وكان هذا هو الموقف مساء يوم السبت. ولمعت الشمس قانية حمراء مخترقة السحب، ووقف رومل وحيدًا وهو ينظر إلى ساعته ونظارة الميدان معلقة حول رقبته وعيانه نصف مغلقتين تظلهما حافة قبعته العسكرية. وفى وقت وآخر كان يركز نظارته على طبرق، وأخيرًا تسلق تبه رملية صغيرة قليلة الإخفاء وفى ساعات الصباح المبكر التى يسودها الهدوء



المرحلة الرابعة

أخذ يتمشى جيئة وذهابا وببطء وتحركت عقارب ساعته إلى الأمام حيث سجلت الساعة 5.20. ومن بعيد سمع صوت طنين خافت وبعد لحظات ظهرت فى الأفق نقط سوداء كثيرة، كانت عبارة عن طائرات ستوكا المنقضة وقاذفات القنابل بين خفيفة وثقيلج فقد صدرت الأوامر لكل طائرة إيطالية أو ألمانية يمكنها الصعود إلى السماء فى أفريقيا للمساهمة فى القذف الجماعى بالقنابل على القطاع الجنوبى الشرقى لطبرق.

وصاح رومل مناديا: "الرائد وولف". وظهرت الابتسامات على أفواه أركانات حربه فلم يكن هناك من يدعى الرائد وولف بل كان هناك الرائد "فوكس" وهو ضابط اتصال سلاح الطيران. ولم يستطع رومل تذكر اسمه. وهكذا أصبح الرجل ذو الاسم الميدانى "الثعلب" - أصبح بالنسبة لرومل "الذئب". مرة أخرى ردد أركانات حربه صيحته وقالوا: "على الرائد فوكس أن يمثل أمام الجنرال".

وزمجر رومل: "أين وولف بحق الشيطان"، وسرعان ما ظهر فوكس وقدم إليه قائلاً: "الرائد فوكس يقدم نفسه". إلا أن رومل أصر على منادته باسم وولف، وقال له: "اسمع يا وولف هل اتخذت جميع الاحتياطات الكافية حتى تتمكن الطائرات من ضرب أهدافها بدقة؟؟" ورد فوكس قائلاً: "إن الأسراب قد أحيطت علمًا بالمطلوب منها تمامًا ياسيدى الجنرال، وفى هذه اللحظة سمعوا انفجاراً عنيفًا من اتجاه طبرق فقد أفرغت ثمانى طائرات منقضة ومائة قاذفة حمولتها من القنابل على طبرق. وهكذا ضربوا الضربة الأولى، وأصبحت المعركة الثانية فى سبيل طبرق موضوع التنفيذ وتصاعدت نافورات عالية من الأتربة من اتجاه التحصينات الموجودة فى الجنوب الشرقى حيث توجد المواقع الهندية وأخذت موجات متتابعة من الطائرات المنقضة والقاذفات

تلقى بقنابلها. وطارت الأسلاك الشائكة والكتل الخرسانية المسلحة والأسلحة فى الهواء وهذا التجميع المتتابع يساوى فى نتيجته تأثير غارة قوامها ستمائة طائرة[1].

وقد أدى هذا إلى تدمير الأسلاك الشائكة الموجودة على حدود المنطقة الدفاعية ونتج عن ذلك فتح ثغرة عرضها ثلاثة أميال.

ثم دفعت فرقتا البانزر للهجوم وهما الفرقة 21 بقيادة الجنرال فون بسمارك والفرقة 15 التى كان لا يزال يقودها العقيد كرسمان ويعاونهما قاذفو القنابل من رجال لواء المدفعية المستقل رقم 15 بقيادة قائدهم المحنك العقيد ماورى.

وقد حصلت الكتيبتان الأولى والثانية من الفوج المدرع 361 على الثناء الخاص من رومل لما قامتا به؛ وتقدمت السرية الثامنة بقيادة الملازم جورنز واقتحمت الميناء. أما طابور الرقيب ولشهوز فقد سحق مقاومة البحرية البريطانية وقد منح النقيب كليمان قائد الكتيبة التابع لها الطابور وسام صليب الفارس للأعمال التى قام بها هو ورجاله.

واشتركت السرية الثامنة، من الفوج المدرع الخامس مرة أخرى فى القتال، وكان الكثير من رجالها مازالوا يتذكرون عيد الفصح فى السنة الماضية عندما كانت الدبابات الأولى من قوة الفوج الثانى المدرع ومعها عجلات عربات السرية الثالثة التابعة للفوج 33 المدرع تقرقع فوق الخندق.

وفى الوقت نفسه كان المهندسون قد طهروا ثغرات خلال الألغام وقاموا بقطع الأسلاك الشائكة ووصلوا إلى تقاطع الطريق المشهور عند سيدى محمود

(1) بول كارل- نفس المرجع ص 293.

حيث يتفرع الطريق المرصوف (وهو طريق بالبو إلى العضم) كما فعلوا منذ سنة، مع الفارق لأنهم فى هذه السنة لم تكن المسألة فخا بالنسبة لهم. وأخذت المدافع المضادة للدبابات تقذف بحممها من على الجبل إلا أن موجة جديدة من الطائرات المنقضة ظهرت.

ومهدت المعاونة الدقيقة للطائرات للبدء فى الهجوم. وكان كل هذا مفاجأة للبريطانيين فالتوافق الدقيق المتكامل بين قذف الطائرات وهجوم الدبابات بالتعاون مع المشاة أنهك قوة المدافعين البريطانيين فى المواقع الأمامية لدفاعات طبرق وكانت معركة طويلة منهكة مرة المذاق.

وقامت المدفعية من عيار 50 ملم المضادة للدبابات بتدمير أوكار المدافع الرشاشة التابعة لجنود جنوب أفريقيا. وقفز الجنود الألمان فى موجات من عرباتهم وهم مسلحون بمدافع رشاشة خفيفة وشقوا طريقهم إلى المخابئ المغطاة بالصناج التى يقبع فيها البريطانيون وتم أسرهم. وكان أغلبهم من رجال جنوب أفريقيا الذين يلبسون قبعات «البوير».

وأحضر العريف فريتز هوفمان من الفوج 33 أسيرا أثار دهشة كبيرة. فقد كان عملاقا له شارب كثيف أسود. وكان الرجل مرعوبًا خشية أن يقتل، ولكن عندما أعطاه هوفمان سيجارة انفرجت أساريره عن ابتسامة.

وكانت تقديرات رومل خاطئة بالنسبة لنقطة واحدة وهى أن الفيلق الإيطالى الميكانيكى العشرين الذى كان يعتقد أنه تقدم للأمام كان لا يزال أمام الخط الخارجى للدفاعات ولم يتقدم ياردة واحدة. ونتيجة لذلك أصبح جناح الفرقة 15 بانزر معلقًا فى الهواء دون حماية. وركز المدافعون البريطانيون النيران عليه. وسرعان ما شعرت سرية الملازم «كوخ» المدرعة بوطأة الهجوم، فقد واجهتها غلالة مركزة من نيران المدافع المضادة للدبابات بل زاد على ذلك

أن البطاريات الساحلية قامت بتحويل فوهات مدافعها باتجاه المهاجمين الألمان، وبالطبع كانت أبراج الدبابات مقفلة فكان هذا أسلم، إلا أن درجة الحرارة داخل هذه الصناديق من الصلب ارتفعت إلى 120 درجة فهرنهيت. وشعر أحد جنود الدبابات بالظمأ ففتح علبة من اللبن المحفوظ البريطانى إلا أن اللبن اللزج جعله يسعل، ففتح البرج ليحصل على قليل من الهواء، وفى هذه اللحظة انفجرت قنبلة على بعد ياردات من الدبابة فأدى هذا إلى انفصال البرج من على الدبابة وطار فى الهواء. وانهالت الأتربة والطين والحجارة إلى داخل الدبابة إلا أن محركها ظل سليما. وتقدمت الدبابة تتحسس طريقها إلى الأمام فكان على الربوة إلى يسارها دبابات للعدو.

ووقع البريطانيون فى نفس الخطأ الذى وقعوا فيه سابقًا، فقد قادوا دباباتهم رأسًا فوق المنحدر معرضين أجناب دباباتهم لنيران العدو، وأجناب الدبابة هدف سهل وأقل تدريعًا من مقدمة الدبابة. وأصدر كوخ أوامره إلى رجال دباباته لاسلكيًا: «انتبهوا، دبابات العدو على بعد 800 ياردة - عند الساعة 10 - أطلقوا النيران» وكانت دباباته تتقدم فى تشكيل مفتوح. واختار كوخ لنفسه هدفًا وكان عبارة عن دبابة ماركة 6 معلق فوق ساريتها علم. وكان هذا العلم يدل على أن الدبابة هى دبابة قائد التشكيل. وكان يعتبر هذا التصرف غريبًا من البريطانيين ليجعلوا دبابات القادة ظاهرة. وقد أدى العلم الصغير المضحك فوق الدبابة إلى نتائج وخيمة. لأن التغلب على التشكيل بدون قائد أسهل جدا. وصاح كوخ: العدو على بعد 80 ياردة - الساعة 10 - طلقة مخترقة للدروع. أطلقوا النيران». وردد المعمرون داخل الدبابات: «مستعدون» ثم «أطلقوا النيران» ثم سقطت الطلقات بعيدًا عن الهدف بـ10 ياردات ثم: «الطلقات أصابت الهدف»[1].

(1) بول كارل نفس المرجع ص297.

واشتعلت النيران فى دبابة قائد التشكيل البريطانى وفتح برجها. وبدأوا يتقدمون بضع مئات من الياردات ثم يعاودون إطلاق النيران. وسرعان ما لحقوا بالدبابات والمشاة الموجودة فى المقدمة. ومن أقصر مسافة ممكنة أخذوا يدمرون مدافع العدو المضادة للدبابات وأوكار المدافع الرشاشة. ولم يكن فى استطاعة المدافعين أن يصمدوا أمام هذا الضرب. وفى الساعة 6.30 مساء كانت الفرقة 15 المدرعة قد تمكنت من إجبار العدو على الجلاء عن حصن قبر قاسم، وبعد ذلك بنصف ساعة سقط حصن بلاسترينو وأصبح ثلثا الدفاعات فى أيدى الألمان.

وكان رومل يقود بنفسه مجموعة القتال التابعة لرئاسته فقد اشترك فى عملية الاختراق الفاصلة التى قام بها الفيلق الإفريقى. وكانت فكرة (مجموعة القتال) التى يوجد عدد منها تحت إمرة رومل شخصيًا فكرة مثالية نبتت وظهرت أثناء حرب الصحراء، وكانت قوتها مماثله لقوة كتيبة وتتشكل من سرية دبابات وسرية مدفعية مختلطة من المدافع المضادة للدبابات والمدافع المضادة للطائرات ومدافع ذاتية الحركة عيار 75 ملم ومدافع 50ملم و37 ملم مضادة للدبابات ومدافع عيار 20 ملم مضادة للطائرات، وبالإضافة إلى هذا كان يوجد رتل من عربات الاستطلاع المدرعة وعربات اللاسلكى. وكان رومل على الدوام يقذف بهذه القوات فى أشد نقط القتال احتدامًا، وقامت بتحطيم الأوكار على منحدر الجبل باتجاه المدينة كما تتحطم البندقية، وعند تقاطع الطريق المشهور، شاهد الجنود أخصائى الألغام القديم رومل وهو يكتشف ويستخرج الألغام مع رجاله من خندق الدبابات الذى يعترض طريقه. وقد تعلم العريف كيرت كند القادم من إقليم السار على يد قائده الأعلى شخصيًا أحسن الطرق لاستخراج (بيض الشيطان) وهو الاسم الذى أطلقوه على الألغام المزروعة فى الرمال.

وفى الوقت نفسه كان قائد حامية طبرق الجنرال كلوبر يجلس فى مقر قيادته فى وسط القلعة وعندما بدأ الهجوم الألمانى قذف مقر قيادته بواسطة الطائرات المنقضة، كما أصيب مقر قيادته الجديد بضربة مباشرة من قنبلة. وهكذا كان قائد الحامية يطارد من مكان لآخر فى أحرج ساعات المعركة، وانقطع اتصاله بجنوده، وفى منتصف النهار لم يعد فى استطاعته إعطاء مزيد من الأوامر. أما الجنرال ريتشى الذى طار إلى القاهرة ليقدم تقريره، فقد أخذ يراقب طبرق أثناء سكرات موتها على ضفاف النيل. واشتعلت النيران فى كل اتجاه من المدينة، وأرسل كلوبر رسالة إلى ريتشى يقول فيها (إن موقفى ميئوس منه. سأحاول شق طريقى اتجاه الشرق).

وانتظروا فى القاهرة، وفى لندن على أحر من الجمر.

ثم جاءت رسالة كلوبر الأخيرة: (الوقت متأخر، فقد دمرت أكثر وسائل النقل. لم تعد لدينا حمله ميكانيكية. سوف أواصل المقاومة حتى يتم تدمير المعدات المهمة). وهكذا كانت نهاية المطاف فى طبرق هذه القلعة الأسطورية التى قاومت منذ سنة هجوم رومل ثمانية وعشرين أسبوعًا.

فمعركة الغزالة السابقة والقذف المهلك بالطائرات وهجوم الطائرات المنقضة وهجوم الفيلق الأفريقى بدون رحمه خلال الدفاعات التى ملئت بالألغام والأسلاك الشائكة، كل ذلك أدى إلى إنهاك قوى المحاربين من رجال الجيش الثامن[1].

وفى صباح يوم 21 يونيو فى تمام الساعة الخامسة دخل رومل طبرق على رأس مجموعة قتاله، فوجد أكواما من الخرائب، فلم يعد هنالك منزل

(1) بول كارل - نفس المرجع ص 301.

لم يصبه الدمار، أمّا المسجد فقد أصيب إصابات خفيفة. وما عدا ذلك فمنشآت الميناء والشوارع قد تحولت إلى أكوام من الأنقاض. وفى حوض الميناء وجد حطام لسفن عديدة وقد غرق معظمها بإصابات مباشره من مدافع الفرقة 21 المدرعة وارتفعت ساريات ومداخن السفن بشكل مثير للشفقة خلال السماء.

15 يونيه 1942 م

عزيزتى لو.

لقد كسبنا المعركة والعدو فى حالة تفكك. ونحن نقوم ألان بتطهير الأرض من بقايا العدو. ولا يمكن أن تتخيلى مدى ابتهاجى فقد قضينا عليهم قضاء أمبرما فى هذه المرة. وبالطبع كلفنا هذا خسائر غالية هنا وهناك فقد جرح كل من جاوزى فى خلال ثلاثة أو أربعة أسابيع كما سيعود ويستفال بعد شهر أو شهرين. وقد تحملت صحتى المجهود. وقد عشت فى سيارتى لأيام ولا استطيع مغادرة ميدان المعركة فى هذه الفترة. وأظن أنه ربما التقينا فى يوليه بالرغم من كل شىء.

وكنت قد سحبت بالفعل الفرقة 21 يانزر من منطقة عكرمة أثناء الصباح وأرسلتها شرقا عبر العضم بنقطتين قويتين فى البطرونه والحيطان وهى فى تشكيل المعركة وتبودلت النيران بعنف بين دباباتنا والهنود المدافعين عن الموقع. وفى هذا المساء تم اجتياح بطرونه وسقط معها 800 أسير وعدد من المدافع والعقاد الحربى. وبالرغم من هجمات القاذفات البريطانية العنيفة وصلت الفرقة إلى سيدى رزق قبل حلول الليل وتوقف هناك التقدم مؤقتا فى مواجهة نيران كثيفة من البريطانيين. ولم تنجح الفرقة 90 الخفيفة فى هذا اليوم بالرغم

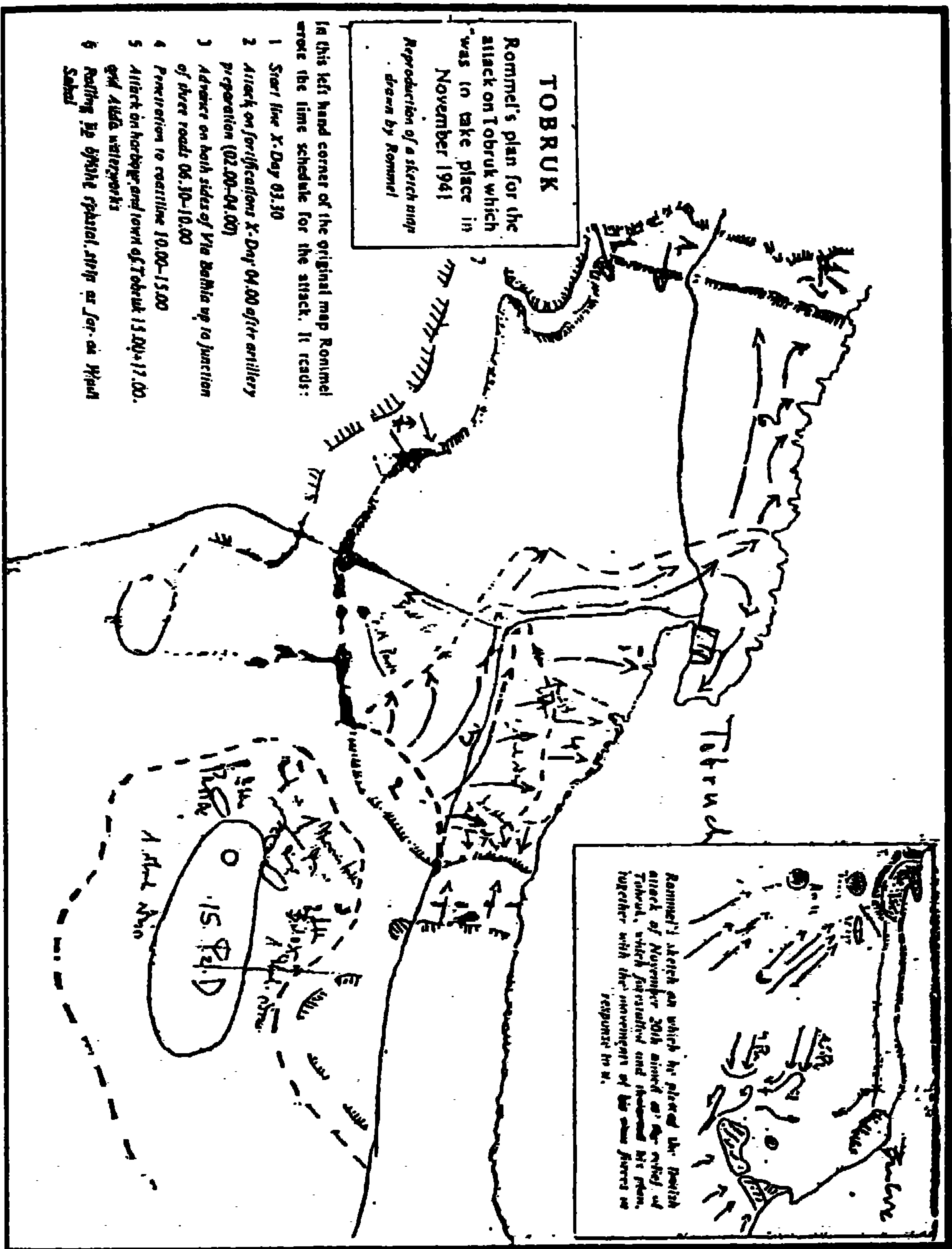
من محاولاتها العديدة فى الاستيلاء على الحيطان وهو الموقع الرئيسى فى العضم.

وفى هذه الأثناء انسحبت بقايا الجيش الثامن البريطانى إلى منطقة الحيطان بالثبات لتعطيل قواتنا لحين أنشأ خط دفاعى جديد عند الحدود المصرية.

وكنت مقتنعا بأن هناك عيوبا تنظيمية جسيمة فى دفاعات طبرق لأننى التقيت بجزء من الفرقة الثانية جنوب أفريقيا فى منطقة عكرمة. وهكذا أصبح أهم شىء الآن هو مهاجمة طبرق والاستيلاء عليها بينما لا تزال الفوضى والانهيار تعم صفوف العدو وبينما ما يزال انتصارنا فى الصحراء يؤثر على معنويات الجنود البريطانيين وكانت السرعة هى العامل الحيوى مرة أخرى.

معركة طبرق الثانية:

كانت طبرق حصنا من أمنع الحصون فى شمال الصحراء العربية وفى عام 1941 حين كانت تدافع عنها قوات تميزت بالمهارة فإنها سببت لنا مصاعب جمة. فقد انهارت هجماتنا الكثيرة أمام دفاعاتها ويمكن القول بدون مبالغة أن النطاق الخارجى لهذه الدفاعات كان غارقا فى الدماء. وأحيانا كانت المعركة تدور حول بادرة مربعة واحدة. ولم نكن غرباء عن طبرق، وقررت فى هذه المرة مهاجمة الحصن واقتحامه تبعا للخطة التى كنت قد انتهيت إليها قبل ذلك فى عام 1941 والتى عرقلها هجوم كننهام. وتبعا لهذه الخطة كانت قواتنا ستقوم بهجوم خداعى فى الجنوب الغربى لاخفاء نوايانا الحقيقية وتثبيت الحامية عند هذه النقطة. وكانت التشكيلات التى ستقوم بالهجوم الرئيسى ستصل إلى مسرح الأحداث فجأة وبدون أى مقدمات ولهذا الغرض قررت



رسم تخطيطي بيد روميل لخطة الهجوم على طبرق

التحرك حول طبرق والاتجاه إلـى الشرق بغرض إعطاء العدو فكرة إننا سنعاود حصار القلعة كما حدث فى عام 1941. ثم بعد ذلك أتحول عائدا فجأة نحو الجهة الجنوبية الشـرقية للحصن وأستعد للهجـوم أثناء الليل وبعد تمهيد عنيف من الطائرات المنقضة والمدفعية نـنـطلق فى هجومنا فى أول ضوء ونجتاح العدو المذهول.

وبالنسبة لكل واحد منا فقد كانت طبرق رمزًا للمقاومة البريطانية وقررنا الانتهاء منها فى هذه المرة نهائيًا.

وفى صباح يوم 16 يونية تحركت إلى الطريق الرئيسى الساحلى ثم عبرته نحو الغرب. وكان القتال فى الغزالـة قد توقف أخيرًا وأسرنا هناك ستة آلاف بريطانى آخرين. وكانت مـعالم الهزيمة البريطانيـة واضحة على طول الطريق وعبر الصحراء. فقد كان العـتاد ملقى فى جميع الاتجاهات ومن كافة الأنواع وكانت العربات البريطانية قد سقطت سليمة فى أيدينا واستخدمنا بعضها على الفور ، بيـنما كان البـعض الآخر ينتظر عـمليات الإصـلاح بواسطة ورشنا. ويبدو أن البـريطانيين سحـبوا بعض وحداتهم بحـرا وبعد ذلك بوقت قصـير قابلت قواتى المتحركة شرقـا من خط الغزالة. وأصدرت لها أوامرى بالاندفاع بأسرع مـا يمكنها إلى الحـافة الغربيـة لطبرق وزودناها بقـولات من العربات لنقلها للجـبهة بالدور. وكانت إعادة تجـميع قواتى لحصار طبـرق بسرعة هى أهم نقطة فى الوقت الحالى.

ومن أهم وأسـبق الدروس التى خـرجت بهـا من تجـاربى فى الحـرب الميكانيكية هـو أن سرعة المناورة فى العـمليات ورد الفعل السـريع من جانب القيـادات هى العوامل الحـاسمة. ويجب أن تكون القـوات قادرة على القـيام بعمليات سريعة بترابط وتعاون كاملين. والرضا بالمستوى المعتاد يؤدى لكارثة،

فيجب علينا أن نطلب أقصى مجهود لأن الجانب الذى سيبذل مجهودا أكبر هو الجانب الأسرع والجانب الأسرع هو الذى يكسب المعركة. ويجب على الضباط وضباط الصف أن يدربوا قواتهم على هذه الأساليب باستمرار. وفى رأيى أن واجبات القائد لا تقتصر على أعماله مع هيئة أركان حربه فقط بل يجب عليه أيضًا أن يهتم بتفاصيل أعمال القيادة بالإضافة إلى زيارات كثيرة لخط القتال للأسباب الآتية[1]:

(أ) **القيادة**: التنفيذ الدقيق لخطط القائد وهيئة الأركان حربه مهم للغاية. ومن الخطأ أن نفترض إن كل ضابط فى وحدته سيقوم بكل ما يتطلب منه الموقف، فأغلبهم ينتهون إلى حالة من الجمود فى وقت قصير، ثم بعد ذلك يقوم ببساطة بالإخطار بأن هذا الأمر أو ذاك لا يمكن تنفيذه ومن السهل اختراع الأسباب المبررة لأفراد الذين ينتمون إلى هذا النوع من البشر ولذلك يجب إشعارهم بسلطة القائد وهزهم بعنف ليخرجوا من سباتهم. ويجب أن يكون القائد هو المحرك الأساسى للمعركة وأن تدخل قواته فى حسابها باستمرار، احتمال ظهوره فى أى وقت ليقود المعركة بنفسه.

(ب) **يجب أن يبذل القائد** جهوده ليجعل قواته سباقة فى مجال أحدث التجارب التكتيكية والتطورات ويجب أن يضغط على تنفيذها لهذه الأسباب المستحدثة. وعليه أن يتأكد من مرؤوسيه مدربين طبقا لآخر التطورات وأحسن (ترفيه) للجنود هو التدريب الممتاز لأن هذا يوفر خسائر لا داعى لها.

---

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص390.

(جـ) من المهم أيضا أن يكون لدى القائد فكرة شخصية عن الموقف فى الجبهة وصورة واضحة عن المشاكل التى يواجهها مرؤوسيه. وهذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكن له بها أن يحتفظ بأفكاره منظمة بحيث تلائم الموقف باستمرار وليتمكن من التصرف تبعا للتغيرات المستمرة فى هذا الموقف. ولو خاض معاركه كما لو كانت شطرنج فإنه سيتجمد ويغرق فى النظريات الأكاديمية ويغمر الإعجاب أفكاره الخاصة. والنجاح على الدوام من نصيب القائد الذى لا تتجمد أفكاره فى اتجاه ثابت معين والذى يستطيع أن يتطور بحرية لمواجهة الظروف المحيطة به.

(د) يجب أن يحافظ القائد على اتصاله المباشر برجاله. ويجب أن يتمكن من مشاركتهم فى مشاعرهم وأفكارهم. ويجب أن يثق الجندى بقدرة قائده وهناك مبدأ يجب الاهتمام به على الدوام: يجب على القائد ألا يتظاهر أبدا بمشاعر لا يحس بها بالفعل تجاه رجاله. فالجندى العادى لديه قدرة غريبة على التمييز بين الشعور الحقيقى والخداعى.

وكان الهنود لم يزالوا صامدين فى الحيطان. وفى 16 يونيه لم تتمكن الفرقة 90 الخفيفة (بالرغم من شجاعة جنودها الفائقة) من توسيع الاختراق فى نطاق الدفاعات والذى كانت قد مهدت له مجموعات الاقتحام فى الليلة السابقة. وكما هو الحال بالنسبة لكافة المواقع الدفاعية البريطانية الأخرى فى الجزء الشرقى من برقة لأن هذا الموقع مقاما بمهارة فنية كبيرة وتبعا لأحدث الأفكار فى مجال الدفاع. كما حدث من قبل فى بير حكيم قام جزء من الحامية (ويتكون من اللواء 29 الهندى) بالخروج ليلا وانسحاب نحو الجنوب.

وكل الذى فعله الهنود هو تركيز قواتهم فى قطاع بالذات وفتحوا نيرانهم بكل أسلحتهم ثم اخترقوا الحلقة المحاصـرة فأثبتوا بذلك مرة أخرى صعوبة تطويق عدو محمل بالكامل بطريقـة نهائية مع ضرورة بقاء قيادته فى حـالة متماسكة بالطبع كشرط أساسى لتمكنه من الاستمرار فى العمليات بنجاح.

استسلمت بقـية الحامية الهندية فى الحـيطان فى مساء 17 يولية. وسقط فى أيدينا خمسـائة أسير وكميات كبيرة من العتاد.

وكانت حصـون الدودة وبلحامد القوية قد سـقطت قبل ذلك فى أيدينا فى اليوم السابق. وبمجرد سقـوط الحيطان أرسلت الفرقة 90 الخفيفـة لمهاجمة نقط بريطانية قوية كانت ما تزال صامـدة فى نفس المنطقة، وتم محاصرتها ثم اقتحامها.

ثم صار تحـريك فيلق أفريقـيا بأكمله ومـعه فرقـة آريتى نحو جمـبوت والمنطقة الواقعة جنوبها. وكنت أرغب (كـما سبق لى القول) فى تحويل أنظار البريطانيـين عن طبرق وفى نفس الوقت تأمين مـؤخرة الهجـوم على طبرق. ولكن السـبب الأساسى فى هـذه العمليـة كان لـلعمل ضـد السلاح الجـوى البـريطانى الذى كان نشطا بطريـقة خطيـرة نظرا لقرب مطاراته من الجـبهـة. وقررت طـردهم من مطارهم فى جمـبوت وبذلك أخـرجت من المكان الذى يستطيعون منه التدخل فى هجومى على طبرق.

ولهذا فإن جيـشى قد تحول شرقا مرة أخرى، وقـد تأخرت فرقة آريتى التى كانت أوامـرى لها تقضى بمـلازمتها لـفيلق أفريقـيا منذ البداية وفـقدت اتصالهـا بباقى الوحدات. وتحـركت للبحث عنها ولكننى وجـدت نفسى فى وسط معركـة بين الدبابات وكانت القذائف تصفـر من كل اتجاه، ولم آسف

على مغادرتى لهذا المكان غير المريح، وبعدها بقليل نجحنا فى الاتصال باللاسلكى مع فرقة آريتى وحركناها للانضمام للقوة الأساسية.

وفى حوالى سعت (1930) من هذا المساء (17 يونيه) حولت الفرقة 21بانزر نحو الشمال وتحركت ومعى أركان حربى أمام مقدمة الفرقة بحوالى ميلين. ودخلنا معركة صغيرة جنوب جمبوت حيث تمكنا من أسر بعض أفراد الفرقة الأجنبية الفرنسية. وأخيرا وبعد شئ من التأخير أمام حقول الألغام البريطانية الكثيفة وصلنا إلى جمبوت بالقوات الأمامية فى حوالى سعت (2200) وظل الجزء الأساسى أمام حقل الألغام طول الليل.

وفى فجر يوم 18 يونيه ظهرت الطائرات البريطانية مرة أخرى فوق الفرقة 21بانزر التى كانت تتحرك شمالا. ووصلنا إلى الطريق والخط السكة الحديد قبل سعت (430) بقليل[1].

وكان الخط الحديدى الذى بناه البريطانيون فى الشهور القليلة الماضية يمتد من مرسى مطروح إلى النطاق الخارجى لدفاعات طبرق، وقد عبرناه ودمرنا بعض وصلاته. وكان الآلاى الرابع بنادق قد أسر أثناء الليل حوالى خمسمائة بريطانى وكان هذا العدد فى زيادة مستمرة. وفى المطارات التى لم يتخلى عنها البريطانيون 98 استولينا على خمسة عشر طائرة وكميات كبيرة من الوقود والزيوت التى نفعتنا للغاية فيما بعد.

وعند وصولى فى هذه الليلة لمقر قيادة الجيش وجدت أن الحياة هناك غير مريحة بسبب نشاط بطارية بريطانية من عيار 25 رطل كانت تقصف موقعنا. وأرسلت النقيب كيهل ومعه مجموعة حراسة القيادة لطردها، ونجح فى هذا، ولكن البريطانيون انتخبوا فى الحال موقعا آخر وبدأ فى ضربنا مرة

(1) مذكرات رومل - نفس المرجع ص393.

أخرى بقذائفهم وضايقنى هذا للغاية وحركت قيادتى للخلف نحو الحيطان وهو المكان الذى كانت تحتله قيادة الفيلق 30 البريطانى من قبل.

وانتهت عمليات التطهير للمنطقة ما بين طبرق وجمبوت فى 18 يونيه، وانتهت أيضا التحركات اللازمة لإتمام حصار طبرق. وقامت الشئون الإدارية بمجهود ممتاز لتشوين المواد والإمدادات اللازمة للهجوم. وأثناء تقدمنا عثرنا على مخازن للمدفعية. ومستودعات الذخيرة كنا قد اضطررنا للتخلى عنها أثناء هجوم كنتجهام فى 1941. (وكانت ما تزال فى أماكنها) وقمنا باستخدامها فى الحال.

وتحرك فيلق أفريقيا إلى مواقعه الجديدة فى عصر يوم 19 يونيه بينما اندفعت الفرقة 90 الخفيفة شرقا للاستيلاء على مستودعات البريطانيين فيما بين البردية وطبرق. وكانت عمليات هذه الفرقة مهمة من حيث زيادة إرباك البريطانيين فيما يتعلق بتقديرهم لنوايانا الحقيقية، ويضاف إلى هذا أن فرقة بافيا وفرقة ليتوريو المدرعة كانت وحداتها قد بدأت فى الوصول، وكان عليها ستر الهجوم على طبرق من اتجاه الغرب والجنوب. . .

وشعرنا فى هذا المساء بأن العدو لم يلاحظ تحركاتنا إلا بطريقة جزئية وعليه فقد توفرت لنا الفرصة ليحقق هجومنا المفاجأة الكاملة. ولم يوجد أى قوات مدرعة ذات قيمة للعدو فى الصحراء العربية خارج طبرق وعليه فكنا نأمل فى نجاح عملياتنا القادمة بطريقة كاملة.

وبالرغم من صعوبة العمليات التى خرجنا منها فقد كان الجيش متحمسا وواثقا من النصر. وفى الليلة السابقة للمعركة كان الجميع يترقبون ويشعرون بالحماس[1].

---

(1) مذكرات رومل - نفس المرجع ص395.

الاستيلاء على طبرق:

كانت قوة حامية طبرق مساوية على وجه التقريب لما كانت عليه في عام 1941 وحشدت فيها القوات الآتية من أنحاء الإمبراطورية البريطانية:

الفرقة الثانية المعززة لجنوب أفريقيا.

- اللواء 11 الهندى.

- الكتيبة 2 من لواء الحرس.

- عدة الآيات دبابات مشاة تحت قيادة اللواء 32 دبابات الجيش.

- عدة الآيات من المدفعية.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

«هذا غير دقيق، فقد تكونت الفرقة الثانية لجنوب أفريقيا من لواءين بدلا من ثلاث لواءات مشاة. ولكن نم ناحية أخرى فقد كان تكوين اللواء 201 حرس من كتيبتين وجزء من كتيبة ثالثة. وكان لدى اللواء 32 دبابات كتيبتان من دبابات المشاة ولم يكن هناك أى مدفعية غير اللواء 4 المضاد للطائرات».

ويتابع رومل كتابة مذكراته:

وبالرغم من أن هذه القوات كانت توازى قوة حامية طبرق عام 1941 (من الناحية العددية) إلا أنه لم يكن من المنتظر أن تبدى نفس العناد والاستماتة فى المقاومة لأن أغلب هذه الوحدات كانت قد خاضت معنا المعركة بالفعل وبذا فكانت مرهقة وروحها المعنوية منخفضة. كما أن القيادة البريطانية التى لا تتميز أبدا بالسرعة فى التنظيم لم تتوفر لها الوقت اللازم لتدعيم مواقعها الدفاعية.

وبالإضافة إلى هذه القـوة فى طبرق فقد كان لدى ريتـشى خمس فرق من المشاة منها ثلاثة تكبدت خـسائر فادحة للغاية أما الاثنتين الأخـيرتين فقد كانت حديثة الوصول لميدان المعركة.

وكانت فرقتاه المدرعتان فى حكم المنتهى منهـما تماما بعد القتال الأخير، ولكنها كانت تسد خسائرها وتستكمل مرتباتها من دلتا النيل.

والآن كلمة أخرى عن دفاعات طبرق:

تحد طبرق من الشرق والغرب أرض صخرية وعرة وتمتد فى الجنوب إلى سهل رملى منبسط. وكـانت قد حصنت بقوة كبـيرة بواسطة الإيطاليين تحت قيادة المارشال بالبـو الذى أدخل فى حسبانه كل الوسائل الحـديثة لمنع اختراق الدفاعـات المحصنة وكـانت مواقع الدفـاع العديدة الموجودة فى نـطاق الدفاع حول الحصن مدفونة فى الأرض بحيث لا يمكن اكتشافها إلا من الجو. وكان كل موقع دفاعى يتكون من ممر تحـت الأرض أو نفق يؤدى إلى أوكار للمدافع الماكـينة والمدافع المضادة لـلدبابات، وهذه الأوكار كـانت تنتظر حـتى اللحظة الأخيرة قبل أن تتخلى عن وسائل إخفائها وتمويهها ثم تصب نيرانها الميتة على القوات المهاجمة.

ولـم تستطع المدفعيـة ضربها ضربا مباشرا نظرا لعـدم وجود أى علامات مميزة يمكن التنـشين عليهـا. وكل موقع منفصل كـان محاطا بخندق مـضاد للدبابات وموانع الأسلاك الشـائكة العميقة، ويـضاف إلى هذا أن كل المنطقة المحصنة كـانت محاطة فـى كل النقط الصالحة لسـير الدبابات بخندق عـميق مضاد للدبابات.

وخلف النطاق الخارجى للدفاعات (التى كـان أغلبها بعمق ويتكون من

عدة خطوط) كانت توجد حشود ضخمة من المدفعية والمواقع الميدانية وعدة نقط قوية وكان أغلب الدفاعات محاطا بحقول عميقة من الألغام.

وكان الهجوم الخداعى من الغرب سيقوم به الفيلق الواحد وعشرين من الإيطالى الذى دعم بعدد كبير من الدبابات. أما المجموعة التى كلفت بالمجهود الرئيسى فتتكون من فيلق إفريقيا والفيلق العشرين الإيطالى. وكان سيتم ضرب القطاع جنوب شرق الحصن بالقذف الجوى من جانب السلاحين الجوى الألمانى والإيطالى. ومجرد نجاح المشاة على الخطوط الدفاعية كان على فيلق إفريقيا الاندفاع عبر مفارق الطرق إلى الميناء والقيام بفتح الطريق الرئيسى نحو الغرب. وكان الفيلق العشرين الإيطالى سيتابع فيلق إفريقيا للاستيلاء على المواقع البريطانية والاندفاع عبرها إلى رأس المدور فى مؤخرة القوات التابعة لجنوب أفريقيا[1].

20 يونيه 1941

عزيزتى لو..

نمت ساعتين فقط فى الليلة الماضية. واليوم هو اليوم الحاسم بالفعل. وآمل ان يكون حظى جيدا. وأنا متعب للغاية ولكنى بخير من جميع الوجوه.

وفى ليلة 19 يونيه تحركت قوات اقتحامى إلى مناطق تجمعها. وفى سعت (0520) ضربت عدة مئات من الطائرات منطقة الاختراق جنوب شرق الحصن. ولاحظت آثار هجومها. وكانت سحب التراب الضخمة تتصاعد عاليا فى الجو من مواقع الهنود ثم تساقطت القنابل الواحدة تلو الأخرى على موانع أسلاك العدو.

(1) مذكرات روميل - نفس المرجع ص397.

وبمجرد انتهاء الضرب الجوى تقدمت مشاة فيلق أفريقيا (اللواء 15 بنادق) والفيلق العشرين الايطالى للقيام بالاقتحام. وكانت الممرات عبر حقول الألغام قد تم تطهيرها أثناء الليلة الماضية. وبعدها بساعتين كانت مجموعات الاقتحام الألمانية قد نجحت فى دق إسفين داخل الدفاعات البريطانية. وهوجمت المواقع تباعا بواسطة رجالى وتم الاستيلاء عليها بعد قتال متلاحم وحشى عنيف للغاية.

وتمكن المهندسون من ردم أجزاء من الخندق المضاد للدبابات فى سعت (0800) وما حققه المهندسون فى هذا اليوم ليستحق الثناء على وجه الخصوص. فمن الصعب أن نتخيل القيام بمثل هذا العمل تحت نيران البريطانيين العنيفة. وأصبح الطريق مفتوحا فأطلقت العنان لمدرعاتى.

وفى حوالى سعت (0800) تحركت ومعى مجموعة أركان حربى الميدانية وعبرنا قطاع فرقة آريتى إلى قطاع الفرقة 15 بانزر. وتحركت فى حمالة مدرعة إلى الممرات عبر حقول الألغام وكان معرضة لنيران شديدة من المدفعية البريطانية. وكانت حركة المرور معطلة وحدث تكديس للعربات بسبب هذه النيران وأرسلت الملازم برندت على الفور لتنظيم حركة المرور. وبعدها بنصف ساعة عبرت الخندق المضاد للدبابات مع بايرلاين وقمت بالمرور على موقعين سقطا فى أيدينا وفى نفس الوقت كان فيلق أفريقيا يتعرض للهجوم من خارج القلعة من الدبابات البريطانية واندلعت نيران معركة عنيفة بين الدبابات اشتركت فيها مدفعية الطرفين. وفى حوالى سعت (1100) أمرت فرقتى آريتى وتريستا بمتابعة اختراق فيلق أفريقيا وكانت هذه الفرق قد توقعت بعد عبورها للخندق المضاد للدبابات فى نطاق الدفاع البريطانى، وتقدم الهجوم الألمانى بالتدريج ووصل فيلق أفريقيا (بعد معركة قصيرة دمر فيها خمسين دبابة

بريطانية) إلى مفارق الطرق عند سيدى محمود فى حوالى منتصف اليوم. وأصبحنا مسيطرين على مفتاح طبرق.

ثم صاحبت تقدم فيلق أفريقيا من مفارق الطرق. واندلعت النيران الشديدة على القوات المهاجمة من حصن بلاستيرينو والمنطقة المحيطة به وعدة أوكار على سفح الجبل. وبدأت عدة سفن بريطانية فى التحرك إلى خارج الميناء ويبدو إنها كانت تحاول ترحيل البريطانيين عن طريق البحر.

ووجهت المدافع (الميدان والمضاد للطائرات) على الفور نيرانها على هذه الأغراض وتم إغراق ست سفن وتم التقاط اغلب الرجال الذين كانوا فوقها.

واستمر التقدم ووصلنا بعدها بقليل إلى المنحدر الذى يؤدى إلى الميناء حيث ارتطمنا بنقطة بريطانية قوية قتلت بعناد وبسالة غريبة. وأرسلت الملازم فون شلينياخ ليطلب من الحامية وعددها خمسين رجلا التسليم. وكان ردهم الوحيد هو نيران شديدة على عربتنا. وأخيرا نجح عدائى العريف هوبر ومعه ستة من رجال المدفعية المضادة للطائرات فى الاقتراب من الدشمة وقضى على حاميتها بواسطة القنابل اليدوية.

وعرضت بيلا سترينو الاستسلام فى المساء ونتيجة لهذا ألغيت هجوما للطائرات المنقضة واقتحم رجالى حصن سولارو وأغرقوا زورقا آخر بالمدفعية فى الميناء، وعند حلول المساء كان ثلثا الحصن فى قبضتنا وكانت المدينة والميناء قد سقطت بالفعل فى أيدى فيلق أفريقيا عصر هذا اليوم.

وفى سعت (0500) من يوم 21 يونيه دخلت مدينة طبرق والواقع أن كل بناء هذا المكان كان بمستوى الأرض أولا يزيد عن كوما من الحطام واغلب هذا كان نتيجة للحصار عام 1941.

وبعد ذلك تحركت نحو الطريق الساحلى نحو الغرب. وعرضت على قيادة اللواء 32 دبابات الاستسلام، وأدى هذا إلى سقوط ثلاثين دبابة بريطانية فى حالة سليمة فى أيدينا. كانت هناك دبابات تحت الإصلاح فى الورش لم يسلمها قائد اللواء ولم يبق مع اللواء سوى عددا قليلا للغاية بعد قتاله البائس فى اليوم الماضى وأمر قائد اللواء بتدميرها فى نفس الليلة قبل أن يقوم الجميع بمحاولة الهرب. وكانت العربات المحترقة مهجورة على جانبى الطريق الرئيسى وأينما وجهنا أنظارنا كنا نشاهد آثار الفوضى والدمار.

وفى حوالى (سعت 0940) قابلت الجنرال كلوبر على الطريق الرئيسى على مسافة أربع أميال تقريبا غرب المدينة. وهو قائد الفرقة الثانية جنوب أفريقيا وقائد حامية طبرق، وأعلن استسلام حصن طبرق. لأنه لم يستطع الصمود أكثر من هذا، ولكنه قد بذل كل ما فى وسعة للمحافظة على سيطرته على قواته[1].

وأخبرت الجنرال الذى كان يصاحبه أركان حربه بمتابعتى فى عربته على الطريق الرئيسى إلى طبرق، وكان الطريق مزدحما بحوالى 10 آلاف أسير حرب.

وعند وصولى لمدخل طبرق تحدثت قليلا مع الجنرال كلوبر، والظاهر انه لم يكن لديه وسائل الاتصال اللازمة لتنظيم عملية خروج واختراق الحصار المضروب حول المدينة علاوة على أن سير العمليات كان سريعا للغاية. وأصدرت تعليماتى للجنرال بأنه مسئولا هو وضباطه عن النظام بين الأسرى وأن ينظم تعييناتهم من المستودعات المأسورة.

(1) مذكرات رومل نفس المرجع ص399.

عزيزتى لو

طبرق! ود كانت المعركة رائعة. وهناك الكثير من الأعمال فى منطقة الحصن. ويجب أن أنام لعدة ساعات بعد كل هذا الذى حدث. وأنا أفكر فيك كثيرا.

وقد اعتبر سقوط طبرق الذى تم بدون تدخل من الخارج نهاية للقتال فى الجزء الشرقى من برقه واعتبر كل واحد من رجال (فيلق أفريقيا) يوم 21 يونيه ذروة نجاحنا فى الحرب فى أفريقيا وأصدرت أوامرى إلى جيش البانزر وجاء فيه ما يلى:

«أيها الجنود

لقد توجتم المعركة الكبرى (فى مارماريكا) باجتياحكم السريع لطبرق وقد سقط فى أيدينا خمسة وأربعين ألف أسير ودمرنا وأسرنا أكثر من ألف عربة قتال مدرعة وما يقرب من أربعمائة مدفع. فأنكم بشجاعتكم التى لا- تبارى وبعنادكم أثناء القتال الطويل خلال الأسابيع الأربعة الأخيرة وجهتم للعدو الضربة تلو الضربة ولقد كلفته روحكم العالية فى الهجوم نخبة جيشه الميدانى الذى كان يستعد به للهجوم بالفعل. واهم شىء قمتم بها أنكم أفقدتم العدو لمدرعاته القوية. تهانى القلبية للضباط والجنود على هذه الانتصارات الرائعة.

يا جنود بانزر الصحراء العربية!

إلى الأمام لتدمير العدو تماما. فلن نرتاح إلا إذا حطمنا آخر بقايا الجيش

الثامن البريطانى وأثناء الأيام القادمة سأطلب منكم مرة أخرى مجهودا شاقا واحدا وذلك للوصول إلى غرضنا النهائى.

روميل

ويعلق ليدل هارت فيقول:

(فى اليوم التالى سمع روميل من الراديو ومن قيادة هتلر انه رقى إلى رتبة الفيلد مارشال مكافأة له على انتصاراته. وكان عمرة 49 سنة. وكان مشغولا فى الأيام التالية لدرجة انه نسى تغيير علامات رتبته إلى الرتبة الجديدة وهى عصابتان متقاطعتان. ولم يتذكر إلا بعد وصولة للعلمين عندما نبهه لهذا الفيلد مارشال كسلرينج الذى أعطى روميل علامة واحدة من علاماته الشخصية ولم يتلق روميل عصا المارشالية إلا عند مقابلته لهتلر فى برلين فى سبتمبر. وقد علق على هذا الحين قائلا: (وددت لو أعطانى فرقه أخرى بدلا منها)[1].

يقول اللواء فاروق الحريرى عن تلك المعركة:

شن روميل هجومه على طبرق مع الضياء الأول يوم 20 يونيو 1942 من الجنوب الشرقى وقد مهد للهجوم بقصف جوى شديد من طائرات الإسناد النارى القريب ففتحت ثغرة فى حقول الألغام وأوهنت دفاعات الانكليز الأمامية. وفى صباح اليوم ذاته استطاع الفيلق الأفريقى الألمانى اجتياز نطاق حقول الألغام. وفى الساعة 1600 سقط المطارين الانكليزيين بيد القوات الألمانية.

وفى الساعة 1900 يوم 20 يونيو 1942 وصلت الفرقة المدرعة 21 إلى قصبة طبرق وقد دارت خلال الليل اشتباكات طفيفة. وبالساعة 800 من يوم

(1) مذكرات روميل - نفس المرجع ص 402.

21 حزيران 1942 استسلم اللواء كلوبر قائد الفرقة 2 جنوب أفريقيا مع 25000 رجل هم قوام التشكيلات الآتية:

مقر الفرقة 70

اللواء 4جنوب أفريقيا

اللواء 6 جنوب أفريقيا (ناقص فوج)

اللواء 11 الهندى

لواء دبابات الجيش 32

لواء الحرس 201

الفوج 2 اللواء 7 غوركا

الفوج 2 اللواء 5 مهراطا

الفوج 2 كاميرون هايلندرز

الفوج 3 حرس غولد ستريم

الأفواج المستقلة 1 و 4 و 7

وكانت حصيلة معركة الغزالة أن خسر الألمان 3360 قتيلا بينما بلغت خسائر الجيش 8 البريطانى زهاء 50000 رجل مع أغلب دروع الفيلق 30.

يقول اللواء البريطانى إدموندز يونغ عن رومل عن تلك المعارك بعنوان:
- رومل يريد احتلال طبرق بأى ثمن - نقطة التحول فى المعركة.

كانت الكارثة التى وقعت فى شهر يونيو 1942، صدمة هائلة للرأى العام البريطانى. ولعل شيئا لم يهزه كما هزه سقوط طبرق. وإن كان مما لا شك فيه إننا لم نكن نهدف إلى الاحتفاظ بها إذا ساءت الأمور.

وروعت هذه الصدمة جنوب أفريقيا، حين استسلم جنودها، كما روعت أستراليا. وحتى الجيش الثامن الذى ذاق طعم النصر فى الأيام الأولى القليلة، لم يدر هو نفسه كيف أفلت الزمام من يده.

ولكن أحدا لا يعرف أن رومل كان على وشك أن ينهزم وأن يستسلم.

وقد صرح لى الجنرال بايرلاين فقال: كان منقلبنا إلى اللواء المائة والخمسين المرابط فى (غوط الحالب). ولم نكن نعلم أن ذلك اللواء كان يرابط هناك. ولقد كانت هجمتنا الأولى فاشلة، ولو إننا لم نستول على هذا اللواء فى اليوم الأول من حزيران. لكان من السهل على العدو بعد ذلك أن يستولى على الفيلق الأفريقى كله. ففى مساء اليوم الثالث كنا محاصرين وكاد ينفذ كل ما كان لدينا من البترول. وإنها لمعجزة حقا أن نتمكن فى ذلك الحين من الإتيان بمواردنا ووقودنا عبر حقول الألغام![1].

وقد كانت حقول الألغام هذه تمتد من الغزالة على الساحل إلى بير حكيم على مدى 40 ميلا إلى الجنوب فى صميم الصحراء. وحقول الألغام وحدها لا تكفى لوقف الدبابات، ذلك لأن من الممكن شق طرق وسط هذه الحقول. وإذن لم يكن بد من وجود دفاع وراء هذه الحقول. ولهذا فكر الجنرالان: أوكنلك وريتشى، فى إنشاء سلسلة من المعاقل والحصون، أولها عند الغزالة وآخرها عند بير حكيم. وقد أحيطت هذه المعاقل بالأسلاك الشائكة والألغام، وأعدت للدفاع من كل الجهات، فكانت بذلك حصونا أو قلاعا، كما جهزت حاميتها بالمؤن لتتمكن من الاستمرار فى القتال إذا ما حوصرت، وزودت بمدفعية ممتازة فى داخلها.

(1) اللواء الركن فاروق الحريرى - المرجع السابق ص142.

وكانت لهذه القلاع مهمتان: إحداهما حراسة حقول الألغام والحيلولة دون اختراقها من قبل الأعداء، والأخرى أن تقوم هذه القلاع بما كانت تقوم به القلاع فى العصور الوسطى، أى تكون مراكز للمقاومة لابد للعدو من الالتقاء بها والتوقف لمقاتلتها، وإلا اجتاحت جنوده، وضربته من الخلف وقطعت طرق مواصلاته. وحينما يوجه العدو قواه نحو هذه الحصون، تكون قواتنا الأخرى قد التحمت به والتفت حوله. وهكذا نستطيع إذا تيسر لنا استدراج العدو إلى الميدان الذى يروق لنا أن نقوم بالهجوم عليه، إذا واتتنا الظروف الملائمة، وسيكون وضع (الغزالة) بالنسبة للجيش الثامن، كميناء (سكابافلو) بالنسبة لمعركة بريطانيا البحرية.

ولقد كان هدف رومل كما أدرك الجنرال أوكنلك بحق - هو الاستيلاء على طبرق. لن يجرؤ رومل على أن يتقدم إلى مصر، ما لم يستول عليها: وكان عليه لكى يهاجم طبرق أن يختار بين أمرين. إما أن يشق طريقه وسط حقول الألغام والحصون وينطلق إلى طبرق، وإما أن يلتف حول حقول الألغام الممتدة من الغزالة إلى بير حكيم، ثم ينثنى إلى الشمال. واختار رومل الطريق الأخير. فكان على الفرق الإيطالية المدرعة المسماة (اريتا) أن تستولى على بير حكيم فى الليلة الأولى إذا أمكن، وينطلق الفيلق الإفريقى فيشق طريقة إلى البحر. ولكى يستولى رومل على طبرق فى اليوم الثالث، كان عليه أن يهزم الجيش البريطانى! وكان على الفرق الإيطالية أن تحمى الجبهة، وأن تحول بيننا وبين الاتجاه غربى الغزالة، أو حقول الألغام الممتدة من الغزالة إلى بير حكيم. وكان على فرقة تريستا أن تشق لها طريقا وسط حقول الألغام، حيث يمتد طريق العبد. وكانت هذه الخطوط للاحتياط والتحرز، كى يتسنى تقصير خطوط الإمدادات إذا لم تسقط بير حكيم فورا.

ووراء حقول الألغام هذه كانت تقع قلعة اللواء المائة والخمسين.

وقال لي الجنرال بايرلاين: (طالما أخبرت رومل، بوصفي رئيسا لهيئة أركان حرب الفيلق الأفريقي، بأنني غير مطمئن إلى هذه الخطة، وإني أرى من المخاطرة البالغة أن نمضي هكذا دون أن نضرب بير حكيم ضربة قاضية. وكان رومل قد سألني قبل ستة أسابيع: ماذا كنت تستطيع أن تفعل لو كنت الجنرال ريتشي ؟ فأجبت قائلا: كنت أحتفظ بمراكزي إلى الشرق بالقرب من العضم، وأرفض القتال في أول الأمر.

فقال لي رومل: أنت مجنون؟ إنهم لن يفعلوا ذلك قط ؟ هذا رغم أن رومل نفسه ما كان ليصنع غير هذا بالذات!

ومضى بايرلاين فقال: والحق أن استعدادات الجنرال ريتشي كانت ممتازة. فلقد فوجئنا مفاجأة هائلة بالدبابات الأمريكية (جنرال غرانت) بمدافعها ذات عيار 75 مليمترا، حتى لقد فقدت الفرقة الخامسة عشر المدرعة مائة من دباباتها، في أول يوم (قد وجهت ضربة قاصمة إلى الجنرال كوفل قائد الفيلق الأفريقي. فأجبر على الوقوف عند مواقع اللواء المائة والخمسين، حيث أخذ هنالك أسيرا. وجرح الجنرال جاسي رئيس هيئة أركان حرب رومل. واضطلع الجنرال (نهرنغ) بمهمة قيادة الفيلق الأفريقي، بينما أخذت أنا على عاتقي العمل الذي كان يقوم به الجنرال جاسي).

ولما فشلنا في الاستيلاء على بير حكيم، وأخفقنا في شق طريق لنا وسط الألغام، طلبنا من رومل وتوسلنا إليه أن يكف عن هذه المعركة، ولكنه لم يستمع لما قلناه له. ولقد كان ذلك فيما أذكر، هو مساء 31 مايو وكان رومل في مركز بالغ الحرج، إذ كانت ظهورنا إلى حقول الألغام، ولا طعام عندنا ولا ماء ولا بترول، وكذلك لم يكن لدينا غير قليل من العتاد. وليس

ثمة سبيل تسير فيه قوافلنا خلال الألغام. فى حين عز علينا أن نأتى بإمدادات من الجنوب لاستعصاء بير حكيم علينا، يضاف إلى هذا إننا كنا معرضين طول الوقت للغازات الجوية).

وختم الجنرال بايرلاين حديثه بقوله: (ولا شك إننا بعد أربع وعشرين ساعة أخرى، سنضطر إلى أن نلقى السلاح)[1].

ولقد سمعت مثل هذه القصة تماما بعد ذلك ببضعة أيام، عندما كنت فى أحد معسكرات الاعتقال. ففى أول يوم للهجوم لحق رومل باللواء الميكانيكى الهندى الثالث. ولقد تحطمت دبابة ضابط صديق لى، فألقى بنفسه بين الأسرى الهنود بالقرب من مقر القيادة العليا لرومل، شرقى حقول الألغام. وكان رومل قد أحاط قواته بحلقة محكمة من بطاريات المدافع عيار 88 مليمترا ليحول دون تقدم قواتنا، وكان يحارب حرب اليأس ليستولى على قلعة اللواء المائة والخمسين، كى يحصل على حاجته من الطعام والوقود. وفى أثناء ذلك كان الأسرى الهنود يصورون جوعًا ويحترقون عطشًا، وكانوا يقتتلون على قطرات الماء التى تعطى للجرحى، وكان من بين الأسرى المقدم أرشر-شى فطلب أن يقابل رومل وكم كانت دهشته حين ذهبوا به إليه. وكان يعرف بعض الكلمات الألمانية التى تمكنه من أن يدلى باحتجاجه إلى رومل. فقال: «إذا لم يكن لدى الألمان من الطعام والماء ما يكفى الأسرى، فليس للألمان حق إذن فى استبقائهم، ومن الخير أن يردوهم إلى الخطوط البريطانية». وكان رومل معقولاً ولطيفًا إذ أجابه بقوله: «أنك تنال من الماء مثل نصيب أى فرد فى الفيلق الأفريقى ومثل نصيبى أنا تمامًا فكل منا يحصل على نصف كوب من الماء. وأننى لأوافقك على أننا لا نستطيع أن نستمر على

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص 133.

هذا الحال. وإذا لم تصل إلينا الليلة قافلة تحمل الماء، فإننى سأستسلم للجنرال ريتشى، وأنت تستطيع أن تحمل منى رسالة إليه!».

ويبدو أن حالة روميل كانت قريبة من ذلك، ولكن روميل لا يستطيع مطلقًا أن يتصور أن يبلغ به الهوان إلى الحد بأن يسعى إلى الأسر بقدميه. ولكن الجنرال أوكنلك، وهو فى القاهرة، أدرك قبل الجنرال ريتشى، بأن أسر الألمان للواء المائة والخمسين قد غير كل شىء، وكتب إليه يقول: «أننى مسرور حقًا حين أسمع منك أن موقفنا لا يزال سليمًا قويًا وآخذ فى بتحسن. ولكننى أخالفك فى هذا، ذلك أن تحطيم الألمان للواء المائة والخمسين المدرع، وتماسك قوى العدو فى منتصف مراكزك الأمامية، هو شىء خليق بأن يبعث على القلق، ولا شك فى أننا إذا سمحنا للعدو بأن ينظم صفوفه وتتماسك خطوطه، فإننا لن نصبح قادرين على الاحتفاظ بالغزالة وبين حكيم، حتى إذ لم يقم العدو بهجوم جديد. ومادام العدو فى مركزه هذا فإنه سيكون قادرًا من حين إلى حين على مبادأتنا بالهجوم.

ومن اليسير أن يصبح المرء حكيمًا بالغ الحكمة بعد أن يفرغ من القتال! وهنا أود أن نسجل أننى كنت على صواب فيما ذهبت إليه من قبل، بشأن هذه المعركة. لقد أعاد المستر «الآن ورهيد» فى كتابه «عام المعركة» ذكر ما سبق أن أوضحته له فى اليوم الثانى أو الثالث من يونيو، عن خوفى من أننا سنخسر المعركة إذا لم نأمر الفرقة الهندية الخامسة برئاسة الجنرال «برغس» أن تقوم بهجوم ضد حقول الألغام. والحقيقة أن مثل هذا الهجوم كان قد فرغ من بحثه.

وفى اليوم الثانى من يونيو شاهدت الجنرال برغس فى فترات متقطعة فأسفنا كلانا لتأخر الهجوم[1].

---

(1) اللواء إدموندز يونغ - نفس المرجع - ص 135.

وفى اللحظة التى كنا فيها على وشك الهجوم، كانت الفرقة الهندية بكاملها قد اتخذت سبيلها إلى الجنوب من بير حكيم، حيث تواصل حركتها من هناك إلى (درنة). فالخطأ الذى وقعنا فيه هو أننا بدأنا هجومنا فى الخامس من شهر حزيران. وكان يجب أن يتقدم هذا الهجوم ثلاثة أيام. وعلى أى حال سقط معقل اللواء المائة والخمسين. وتمكن الألمان من شق طريق لهم وسط حقول الألغام. ونهض الفليق الأفريقى مرة أخرى واستوى على ساقيه، فلديه البترول والطعام والماء والمؤن وكثير من مدافع ذات عيار 88 مليمترا، وراءها حشد من الدبابات. ولقد أفلح اللواء العاشر من الفرقة الخامسة ببعض حركات هجومية على العدو، ولكننا فشلنا فى استغلالها. وفى المساء قامت الدبابات الألمانية واللوريات التى تحمل الجنود بالالتفاف حول اللواء العاشر، وتمكنت من النفاذ إلى خطوطه الخلفية. وكذلك تمكن الألمان الذين كانوا يركبون سيارات بريطانية من مداهمة الفوج الوحيد الذى كان يحرس جناح اللواء العاشر، دون أن يتنبه أحد إلى هذه الخدعة الألمانية، وبعد ذلك جاءت الدبابات وتلتها اللوريات التى تحمل الجنود! أما مقر قيادة اللواء والفرقة ذاتها فقد لفهما الدخان المتصاعد من الخيام المحترقة والسيارات المشتعلة، حيث استطاع الجنرالان برغس و«مسرفى» قائد الفرقة السابعة المدرعة، الإفلات من الأسر، وكرامير اللواء «بوتشر» قافلاً إلى مقر قيادته، وقد كنت أنتظره هناك، فألقيته تبدو عليه دلائل التعاسة والأسى.

فى تلك الليلة كان من السهل أن ندرك بأن رومل يتهيأ للمبادأة التى كان قد انتزعها منه الجنرال ريتشى، وظهر أن رومل لن يتزل عن هذه المبادأة، ولقد كان الخامس من شهر حزيران نقطة تحول فى هذه المعركة.

وأرسل رومل الجنرال بايرلاين إلى بير حكيم، فأخذت تدقها المدفعية الألمانية وطائرات اشتوكا دقًا عنيفًا لا ينقطع. ولكن الفرنسيين الأحرار ما

يزالون يتشبثون بمركزهم فى بير حكيم، ومع ذلك لم يتمكنوا من المقاومة طويلاً، وأخيرًا أرسل الجنرال ريتشى إلى الجنرال كينغ أن يتخلى عن بير حكيم فى العاشر من شهر يونيو، وأن يحاول الإفلات من قبضة القوات الألمانية، فانسحب الجنرال كينغ ومعه الجانب الأكبر من قواته، وكانت تقود سيارته فتاة بريطانية.

أعظم معركة للدبابات:

ولما أصبحت بير حكيم وراء قوات رومل، تحول فورًا إلى خطته الأصلية للاستيلاء على طبرق. وعند منتصف ليلة 11 يونيو كانت الفرقة التسعون الخفيفة على مدى بضعة أميال جنوبى العضم، وأعقب ذلك يومان وقعت فيهما، أعظم معارك للدبابات، وقد ألقى رومل بكل سلاحه فى هذه المعارك، تحت ستار عنيف من المدافع المضادة للدبابات التى استخدمها رومل فى هذه المعركة استخدامًا لا يدع مجالاً للشك فى قوته وبراعته. وضعفت الألوية المدرعة البريطانية، حين فقدت معظم دباباتها من طراز غرانت، فى محاولتها النفاذ من ستار المدافع الألمانية المضادة للدبابات، لتلتحم مع الدبابات الألمانية المدرعة. ولقد أفلحت المدفعية الألمانية بتحطيم الدبابات البريطانية، فتساقطت واحدة أثر الأخرى، وفى منتصف ليلة الثالث عشر من يونيو كان معظم مدرعاتنا قد تحطمت وأبيدت. يضاف إلى ذلك، أن العدو كان قد ثبت إقدامه فى الميدان، وأصبح فى وسعه أن يصلح دباباته، أما دباباتنا فقد فقدناها إلى الأبد!.

وبات من الواضح حينذاك أن مركز الغزالة يجب التخلى عنه. غير أن كلا من الجترالين أوكنلك وريتشى، أبى أن يعترفا بأن الجيش الثامن قد هزم، ذلك لأن الجيش، وإن كانت مدرعاته قد تحطمت، فإن قواته البرية لا تزال سليمة.

وفى أثناء ذلك دعيت الفرقة النيوزيلندية من سوريا، كما دعيت الفرقة العاشرة المدرعة، وهى فرقة جديدة، لتساهما فى المعركة. وكانت هنالك حوالى 150 دبابة يجرى إصلاحها فى مصانع التصليح التابعة للجيش. فلابد لنا من الحصول على دبابات أكثر عدداً من دبابات رومل. وكنا لا نزال متفوقين عليه فى عدد الطائرات. وعقدت النية على التخلى عن الغزالة، والاحتفاظ بخط يمتد من طبرق إلى العضم، مع وجوب الاحتفاظ بقوة ميكانيكية إلى الشرق، والإتيان بقوة أخرى بالقرب من الحدود، وهذا معناه أن طبرق أو جانبًا منها لن تشمله هذه العمليات مما يخالف الخطة المتفق عليها، بعد أن أعلنت البحرية أنها لا تستطيع إمداد طبرق بالمؤن أو العتاد.

ولقد ذكر لى الجنرال بايرلاين أن هذا القرار كان مميتًا، وأن الجنرال ريتشى كان ينبغى له أن يمضى قدمًا إلى الحدود، بعد استيلاء الألمان على بير حكيم، وتجاوزهم مركز الإزالة. وعلى أى حال كان ينبغى أن لا يحتفظ بطبرق بما فيها من وسائل للدفاع غير كافية، برغم تعذر إمدادها بالمؤن، أما إذا أصر الجنرال ريتشى على الاحتفاظ بطبرق، كما كنا نظن. فكان لزاما عليه أن يحتفظ بها منذ البداية، وأن يبث الألغام حولها، وأن يثبت بطارياته فى مراكز منيعة وهكذا. . . وأولاً وقبل كل شىء، كان يجب أن يجعل حامية طبرق برياسة جنرال ذى كفاءة. فلو كان فى طبرق الجنرال مورسهيد، أو الجنرال فرايبورغ، إذن لتغير الوضع لجاءت النتائج مخالفة لما وقع.

فقد كانت هنالك وحدات من قواتنا تقاتل بضراوة. أذكر منها فوج كاميرون الأسكتلندى الذى استمات فى القتال بعد أن استسلم الجنرال كلوبر، ولكن يبدو أنه لم تكن ثمة خطة منظمة للدفاع عن طبرق[1].

(1) اللواء إدموندز يونغ - نفس المرجع - ص 137.

الفصل الخامس

رومل والقيادة البريطانية

- أعمال تجسس.

- آراء رومل فى القيادة البريطانية.

أعمال التجسس:

يبدأ النشاط فى الكيت كات بالقاهرة بعد منتصف الليل . ففى تلك الساعة يهب من النيل نسيم عليل ويأخذ سعف النخيل فى التماوج. ويظل ليل حالك تزينه النجوم على أرض المرقص الخشبية اللامعة. فالملهى مكشوف للسماء عدا البار الذى يدور فى نصف دائرة حول المرقص المسقوف وعلاوة على المسرح. ويحيط بالملهى الذى يعتبر أرقى ملاهى القاهرة فى ذلك الوقت حائط عال لا يترك فرصة لأنظار الفضوليين. ويقف على بابه حرس مطيعون فى حلل زاهية ينحنون باحترام أمام رواده ذوى الشخصيات البارزة الذين يصلون بسياراتهم وقد امتلأت جيوبهم بالأموال، وارتدت النساء أبهى الحلل، وفى هذا الملهى كان يجد الشرقى والغربى المتع التى اعتادها فى وقت السلم فى تلك الليالى المرتفعة الرطوبة من أيام صيف 1942 . فقد كانت مصر بلداً محايداً فى الحرب رغم أنها كانت قاعدة بريطانية لحرب شمالى أفريقيا. كما كانت القاهرة مركزاً مزدحماً بالجيوش البريطانية، إلا أن الملك ووزراءه كانوا يجدون الوقت لإظهار «حيادهم» فى ظل المندوب السامى البريطانى. ولذا فإن الحرب والسلام كانا يحكمان القاهرة فى وقت واحد، وخاصة فيما يختص بالأعمال التجارية. وفى الليل يتوجه الضباط المصريون والإنجليز فى ثيابهم المدنية يبحثون عن الترويح عن النفس، فأبناء الباشاوات واليا كلوت وكبار ملاك الأراضى وتجار السوق السوداء كانوا ينفقون الأموال فى بذخ فى النوادى الليلية، وإلى جانب هؤلاء كان يوجد العديد من ذوى المحفظات الممتلئة

بالنقود ورجال البترول من البلاد العربية ومعهم صديقاتهم من ذوات الثمن المرتفع، هذا بالإضافة إلى العديد من الناس الآخرين الذين كانوا يتعيشون على الحرب ويحصلون على دخلهم من التجسس والقيام بالمهام الخطرة فى الخطوط الأمامية كجواسيس. وفى الليل تراهم يستمتعون بتناول الويسكى مع الصودا المرتفع الثمن أو الجين وشراب البورتو والذى يرغب منهم فى اكتساب الشهرة كان يتناول الشمبانيا.

أما الذى يريد أن يظهر بمظهر الطيب فيكتفى بشرب القهوة.

وتغمر المصابيح الملونة الحديقة بألوانها المرحة حيث يسمع ضجيج المحادثات وصوت الضحك، فالشرقيون يحبون الضوضاء. أما الفرق الموسيقية فتعزف لهم ألحان التانغو الحالمة والفوكس تروت الحية فى فترات ما بين النمر التى يقدمها الملهى حيث يقوم الرواد بالرقص.

وفى تلك الليلة كان هناك عرض خاص لأن «حكمت فهمى» أجمل راقصة فى الشرق الأدنى كانت سترقص، وعندما ترقص يدوى التصفيق كالعاصفة ويقذف الحضور إليها بطاقات الزهور ويقوم الصبية الصغار بالسير جيئة وذهابًا حاملين إليها بطاقات المعجبين الأثرياء.

وكانت حكمت تنتقل كالملكة يصحبها بلاطها. وكان أصدقاؤها ومعارفها أسطورة، إلا أن اهتمامها كان منصبًا على شاب لم يظهر فى مجتمع القاهرة إلا حديثًا، وكان اسمه حسين جعفر غنيًا ذلق اللسان محبًا للاستمتاع بالحياة، وكان عنده الوقت الكافى. ويتطلب الظفر بصداقة مثل هذه الراقصة المشهورة، وقد اعتقد الناس جميعًا أنه من الوراثين المتعطلين. وكان حسين جعفر فى الحقيقة جاسوسًا ألمانيًا اسمه هانز ابار قدم إلى القاهرة مع زميله جانز جيرد ساند ستيدت فى مهمة خاصة. وكان ساند ستيدت يقوم بدور

أمريكى من أصل أيرلندى واستخدم جـوازه الأمريكى لكى يتفادى الحرب فى صف انجلترا. وكان اسمه فى جواز السفـر المزيف بيتر مونكاستر واسم الكناية هو ساندى.

وامتـلأ الكيت كـات إلى آخر منضـدة فيـه ورقص الشابان على أنـغام أسطوانة كـانت لها شهـرة فى ذلك الوقت اسمـها «الشـمس على ميـعاد مع القمـر» إلا أن القمر لـم يكن موجودًا، وعلى كل حـال كان الناس يتـابعون كلمـات الأغنية فى الشطر الأخـير منهـا مرددين أن القـمر لم يكن مـوجودًا ويتهكمـون فى استرخـاء لأن القمر فـى ذلك الوقت كان لامعًـا بوضوح فى السماء.

ونظر حسين جعـفر حوله باحثًا عن الجرسون ووقـعت عيناه على مائدة كبيرة بجـوار البار يجلس عليها نصف دزينة من الضباط المـصريين الشبان فى ملابسـهم المدنية ولم يكونوا من أصـدقاء بريطانيا. وكـانوا يتحـينون الفرص وينتمون إلى إحدى الخلايات التى تحارب من أجل استقلال مصر. وكانوا ضد الملك الذى كان مـتعاونًا مـع بريطانيا. وكان الهـمس يدور على أنهم يريدون القيام بثـورة إلا أن المصريين فى ذلك الوقت لم يأخذوها على مـحمل الجد. ولم يبد هؤلاء الضباط أى إشارة أو أى تغيير فى الملامح يكشف عن معرفتهم بحـسين جـعفـر. وخلال الرقص حـدث انفعـال مفـاجئ، وقد سـبب هذا الانفعال، الزائرون الذيـن حضروا أخيرًا إلى الملهى يحـملون بعض الصحف ويتكلمون بانفعال!!! فما سبب ذلك؟ إنهـا طبرق! نعم وفجأة ظهرت نسخة من الجريدة علـى مائدة الضبـاط المصريين. وقـرأ أحدهم العناوين وانتـشرت الأنباء كالنار فى الهشيم[1].

---

(1) بول كارل -المرجع السابق ص 307.

والذين لم يقرأوا الخبر، سألوا الجرسونات الصغار، هؤلاء الصبية الأذكياء الذين كانوا فى غاية الجرأة. واقتربوا إلى المنضدة التى يجلس عليها الضباط البريطانيون ولم ينتظروا أن يسألوهم، وقالوا: «ولقد استولى روميل على طبرق يوم واحد والجيش الثامن يفر أمام الألمان الذين يطاردونه عبر الحدود المصرية، وهم قادمون إلى هنا، إلى القاهرة».

وبنوع من الملل والاعتذار رفع الصبية حواجبهم وقالوا بمعنى مقصود: قد يصل الألمان إلى هنا بعد غد ويجلس روميل باشا مع ضباطه يشربون الويسكى هنا على هذه المائدة، فكان الضباط المصريون مسرورين وهم يشاهدون الدهشة التى ارتسمت على وجوه الحاضرين من البريطانيين.

وغمغم الرجل الجاد المظهر ذو الشعر الرمادى والذى انضم إلى مائدة حسين جعفر وساندى وقال: «غير معقول» وأومأ حسين جعفر برأسه وقال مواسيًا: إنها أخبار سيئة، وأجاب الرجل: «فى غاية السوء» وكان من الممكن أن يعرف من مظهر هذا الرجل أنه ضابط بريطانى رغم ارتدائه للملابس المدنية. وقال: «إن هذا غير معقول». وكان من الطبيعى أن يستطيع رئيس إدارة المخابرات البريطانية فى القاهرة أن يخفى شعوره بسهوله. وهز حسين جعفر كتفيه وقال: «لكن الجيش الثامن مازال موجودًا وسليمًا. لقد تم أسر ثلاثين جندًا من الجنود فى طبرق إلا أن مصر مليئة بالجنود البريطانيين وأخيرًا هناك الجيش العاشر. وما الذى يفعله هذا الجيش فى سوريا؟ يجب أن يحضر الجيش العاشر للدفاع عنا هنا». وكان يضغط على كلمة عنا «وأنتم بالطبع لن تتخلوا عن القاهرة وتتركوها ليستولوا عليها». ولم يستطع ضابط المخابرات أن يقاوم هذا القول وقال: «تستطيع أن تطمئن على أن الجيش العاشر لن يقف فى سوريا متفرجًا عندما يصل روميل».

وارتسمت ابتسامة على وجه ساندى وقال: «حسنا... إنها أخبار عظيمة، إنها لأخبار طيبة». وتدخل حسين قائلاً «زد على ذلك أن لدينا الجيش المصرى». وأخرج الضابط البريطانى علبة سجاير من جيبه وقال:

«الجيش المصرى؟؟ عفواً فأنا لا أريد أن أزعجك. ولكن انظر هناك خلفنا إلى المائدة التى يجلس عليها الضباط المصريون».

وكان ساندى على وشك الإجابة، إلا أن حسين جعفر وضع يده على ذراعه وقال: «إن حكمت فهمى قد بدأت ترقص» ودوت القاعة بالتصفيق. وتوقف الناس عن الكلام. فقد وصلت حكمت إلى خشبة المسرح. وقال الرائد «إنها من عجائب الدنيا. مثل حدائق سميراميس المعلقة»[1].

وكانت الراقصة جميلة جدًا، ونموذجًا للجمال العربى، ذات جسد رائع، وحركات متجانسة وعينين نجلاوين وملامح مصرية أصيلة. ولا يوجد خارج القاهرة مثل هذا القوام، لا فى برلين ولا فى حدائق الشتاء أو الاسكالا أو حتى فى القولى برجير أو فى كازينو دى بارى فى باريس. ولم يكن يعلم سوى عدد قليل من الناس فى الكيت كات أن هذه الراقصة هى أحد مصادر المعلومات المهمة لقلم المخابرات الألمانى.

وعندما انتهت حكمت من رقصتها دوى التصفيق عاليًا. وصاح المتفرجون وقذفوا بالزهور ثم حدث شىء غير عادى فقد دوت صرخة خلال القاعة وجاءت الصرخة من المائدة التى يجلس عليها الضباط المصريون الشبان، فقد كانوا يصيحون: «ارقصى يا حكمت رقصة لطبرق». وكانت الصيحة باللغة العربية، إلا أن الكثير من البريطانيين فهموها. وفى سرعة البرق ظهرت المشكلة العربية واضحة فى هذا المكان وهى مشكلة أمة ترزخ

(1) بول كارل -المرجع السابق ص 309.

تحت أغلال الاستعمار. وكان الأمل المضئ أمامها هو روميل. وتكهرب الجو في القاهرة، وظهرت طبعات خاصة من الصحف. واجتمع الناس يناقشون الأنباء. وكان هناك صياح وغناء على ضفاف النيل وفي شوارع القاهرة وقامت مظاهرات من الطلبة الذين كانوا يهتفون؛ «إلى الأمام يا روميل، تقدم يا روميل». وكان الجو حاراً في ذلك أيضاً في واشنطن، ففي البيت الأبيض على بعد سبعة آلاف وخمسمائة كيلو مترا من القاهرة كان تشرشل وروزفلت مجتمعين في ليلة 21 يونيو 1942 وطار رئيس الوزراء البريطاني إلى الولايات المتحدة لمناقشة الموقف الحربي مع الرئيس الأمريكي. ولم يتبادلا كلمات التشجيع كثيراً إذ كانت أوروبا في ذلك الوقت في أيدي الألمان، من الحدود الفرنسية الأسبانية إلى تارفيك. أما آسيا فكان اليابانيون يواصلون سيرهم المنتصر بعد أن سقطت سنغافورة. بينما كانت غواصات هتلر أيضاً ترسل آلاف الأطنان من سفن الحلفاء إلى قاع البحر. وفي روسيا كانت الفرق الألمانية تهاجم الفولغا، وستالين يرسل في من يطلب النجدة بفتح جبهة ثانية. ولكن في أي مكان تستطيع كل من إنجلترا وأمريكا مهاجمة هتلر؟؟

وعلى كل فقد كانا مسرورين لاستطاعة كل منهما معاونة الآخر. وفي مكتب الولايات المتحدة أثناء مناقشة روزفلت وتشرشل ومعهما الجنرال أزماى تسلم روزفلت برقية وقرأها فتجمدت أسارير وجهه حتى أصبحت مثل الصخر. وساد الصمت ثم سلم روزفلت البرقية إلى تشرشل ولا يوجد من يستطيع وصف هذه اللحظة المحزنة، أفضل مما وصفها تشرشل نفسه في مذكراته على النحو التالي:

«فقد تضمنت البرقية استسلام طبرق، وأسر خمسة وعشرين ألف رجل، كانت هذه مفاجأة مذهلة لدرجة أنني لم استطع تصديقها، لذلك

طلبت من أى أن يسأل لندن عن هذا الخبر تليفونيًا. وبعد لحظات قليلة جاء الرد: لقد سقطت طبرق وتغير الموقف كثيراً، ومن المتوقع حدوث غارات جوية فى الإسكندرية فى القريب العاجل وبما أن الليالى القمرية تقترب فسوف أرسل وحدات الأسطول الشرقى إلى جناب قناة السويس لانتظار التطورات، كانت البرقية مرسلة من الأميرال هاروود قائد الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط، وكانت هذه البرقية أحدى الضربات القاتلة التى لا يمكن أن أنساها خلال الحرب. فلم يكن تأثيرها عسكريًا فقط بل تناول أولاً سمعة الجيوش البريطانية، ففى سنغافورة سلم خمسة وثمانون ألف رجل لعدد قليل من اليابانيين. والآن ألقى خمسة وعشرون ألف رجل سلاحهم فى طبرق وهم من الجنود المدربين أمام عدد لا يتجاوز نصف عددهم. وكان عدد الأسرى فى الحقيقة فى طبرق سبعة وثلاثين ألف رجل. فإذا كانت هذه هى حقيقة الروح المعنوية لجنود جيش الصحراء، فليس هناك حدود للنتائج الوخيمة المنتظرة فى شمال الصحراء العربية. ولم أحاول أن أخفى عن الرئيس روزفلت الصدمة التى تلقيناها. وكانت لحظة مريرة، فالهزيمة تعنى شيئًا واحداً، أما العار فهو شئ آخر تمامًا، ولم يكن هناك تقريع أو لوم من الرئيس روزفلت الذى لم ينس بكلمة غير طيبة، بل على العكس أظهر شعوراً ينطوى على الشجاعة الإنسانية. وقال: «ما الذى يجب أن نعمله لمساعدتكم؟» وأجبت على الفور: «أعطنى كل ما يمكن أن تستغنى عنه من الدبابات الشيرمان على أن تنقل الى الشرق الأوسط بأسرع ما يمكن».

ولم تكن قوة الألمان هى التى تتهدد نفوذ بريطانيا فى الشرق الأوسط فحسب بل كان هناك فى جميع إنحاء القاهرة وفى ثكنات ومعسكرات الجيش المصرى فى جميع أنحاء مصر مجموعات للمقاومة التى تريد تحرير مصر من السيطرة البريطانية.

وهى فى الوقت نفسه عبارة عن خلايا صغيرة من السياسيين والعسكريين ورجال الدين، ولكنهم كانوا متحدين فى شىء واحد وهو كراهيتهم لإنجلترا وأملهم فى تحرير مصر.

وكان من الممكن أن يصبحوا تنظيمًا خطرًا لو استخدمهم الألمان فى تحقيق مآربهم وبذلك يصبحون طابورًا خامسًا لهم، وقد اختمرت هذه الفكرة فى القيادة العليا الألمانية منذ عام 1940

اختطاف الفريق عزيز المصرى باشا:

فى ربيع عام 1940 قام أحد ضباط المخابرات الألمانية بوضع خطة جريئة فى بودابست، قابل هذا العميل أحد الضباط القدامى من الجيش المجرى - نمساوى هو النقيب «لا سيزلو فون المازى»، وكان خبيرًا بالصحراء وقد عمل عامًا لسنين عدة فى خدمة الجمعية الجغرافية للحكومة المصرية. وقد طار فى الصحراء وكان له أصدقاء فى القاهرة. وقد كسبت المخابرات الألمانية الزى لصفها وعين نقيبًا فى سلاح الطيران الألمانى، وكان أول اقتراح له عام 1940 هو تجديد الاتصال مع الفريق عزيز المصرى باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى السابق الذى يميل إلى الألمان. وقد فصله البريطانيون من وظيفته.

وكان عزيز المصرى عدوًا لدودًا لبريطانيا.

وكان يأمل الكثير من انتصار ألمانيا لأن مثل هذا الأنصار قد يؤدى إلى كبير مصر من النفوذ البريطانى فتحصل على استقلالها.

وفى مقر قيادة الأميرال كناريس فى برلين دهشوا عندما اقترح ضابط الطيران وعميل المخابرات الألمانية الرائد نيكولاس ريتر إحضار الفريق عزيز المصرى باشا إلى ألمانيا، ولو لزم الأمر القيام باختطافه. وقد اعتقد باريس فى

أول الأمر أن الفكرة خيالية وجنونية ولكن بعد أن أمعن النظر فيها رأى أن هذه الخطة المبدعة تحقق رغباته، فأصر على تنفيذ الخطة التى سميت باسم «خطة المصرى» على أن يتم تنفيذها فى غضون ثلاثة أسابيع.

وقد شكل ريتر جماعة فدائيين من رجال الأسطول الجوى العاشر الألمانى اتصل بالسفير الهنغارى فى القاهرة الذى كان موجودًا فى بودابست، ولم يطلع ريتر هذا السفير على الخطة على الفور، بل طلب منه أن يسهل لهم الاتصال «بالمصرى»، وأنهم فى حاجة إلى وضع جهاز إرسال فى القاهرة ليبلغهم عن الطقس هناك، وكان هذا الجزء الأخير صحيحًا، وأبدى السفير استعداده للمساعدة.

وفى الوقت نفسه زاد الرائد من عدد الفدائيين إلي عشرة بما فيهم المازى وكانوا جميعًا من رجال المخابرات ومن أخصائى اللاسلكى والشفرة والمترجمين والسائقين. وكلهم أخصائيون من سرايا الالتقاط أو من محطة الإذاعة الأجنبية التابعة للقيادة الألمانية العليا فى ستاهندورن.

وفى بودابست قام السفير بنقل جهاز الإرسال فى حقيبته الدبلوماسية وأحضر سالمًا إلى القاهرة، وبحذره الدبلوماسى رفض أن يوضع الجهاز فى دار السفارة بل إعطاء القسيس نمساوى فى خدمة المخابرات المجرية.

وكان القسيس رجلاً ذكيًا حاذقًا، وكان يقول لأصدقائه فيما بعد: «أن على حسابًا عسيرًا أمام الله لو اعترفت بأعمالى التى قمت بها فى القاهرة»، وذلك لوضعه جهاز الإرسال السرى فى الكنيسة واختار له مكانًا آمنًا لا يمكن أن يتخيله إنسان، فوضعه أسفل الهيكل فى كنيسة سانت تريزة بشبرا فى القاهرة. وأصبح السفير وعامل اللاسلكى من الزوار المستديمين للكنيسة لأنهم بهذه الطريقة يمكنهم أن يذهبوا إلى «مكان عملهم» ويظلوا غير مشتبه فيهم

ولا فى أمرهم. كانوا يرسلون الإشارات فى وقت الصلاة، وبذلك برزت حقيقة شريرة إلى الوجود فى تاريخ الحرب السرية. ففى كنيسة سانت تريزة بالقاهرة بينما نقرع الأجراس للصلاة فى الهيكل كان عامل اللاسلكى يقوم بدق رسائله تحت الهيكل قائلاً: «انتبهوا. انتبهوا رقم ب.ر.ك.س ينادى المركز. أجب من فضلك». وعندما يجيب عليه المركز الموجوج فى درنه يقوم العامل بإرسال الرسالة، «النقطة الأولى. حالة الطقس المنتظرة» ثم يتلو بعد ذلك تقريرًا دقيقًا عن حالة الطقس وبعد ذلك يردف: «النقطة الثانية: تقرير الباشا...» ويتلو بعد ذلك المعلومات الخاصة بعزيز المصرى الذى أصبح اسمه الرمزى «الباشا»[1].

وقد اقترح المصرى أولاً أن تلتقطه غواصة ألمانية من بحيرة البرلس وسط دلتا النيل، إلا أن هذا الاقتراح لم يكن عمليًا. وتقرر نهائيًا أن تقوم طائرة ألمانية بنقله من نقطة يتفق عليها فى الصحراء لا تبعد كثيراً عن القاهرة. وبعد الاستيلاء على كريت فى 10 مايو 1941 أمكن الحصول على طائرتين من طراز هينكل 3 من الاسطول الجوى العاشر لتنفيذ مهمة الباشا. وكانت الطائرتان ملحقتين بسرب القتال رقم 026 أما المازى الذى يعرف الصحراء كراحة يده فقد اختار نقطة المقابلة بجوار الجبل الأحمر على طريق الواحات.

وكان فى استطاعة الباشا أن يصل إلى هذا المكان بالسيارة فى بضع ساعات من القاهرة وكان عليه أن يوجد قبل الغروب بساعة فى المكان المحدد وأن يرفع علمًا يبين اتجاه الريح ثم تهبط طائرة من طراز هينكل 3 الخاصة بريتر بينهما تبقى الطائرة الثانية فى الجو للحراسة.

---

(1) بول كارل - نفس المرجع ص313.

وكانت الطائرتان على استعداد للإقلاع عندما وصلت رسالة من كنيسة سانت تريزة إلى درنة تقول أن سيارة المصرى أصابها حادث ولا يمكنها الوصول فى الوقت المحدد وأنه سيكون مستعداً للطيران يوم السبت 7 حزيران 1940. وقاد النقيب هوللر طائرة الحراسة ومعه الرائد ريتر، وكان النقيب بليخ يعمل مراقباً للطائرة. وقاد الطائرة الثانية النقيب فون المازى التى كان عليها أن تلتقط المصرى. وكلتا الطائرتين كانت تحملان شارات التمييز الألمانية.

ووصلت الطائرتان فى الساعة الرابعة إلى المكان المتفق عليه إلا أنهما لم يجدا شيئًا وهبط المازى إلى ارتفاع منخفض وطار فوق الطريق فى اتجاه القاهرة لكى يتأكد من أن المصرى فى طريقه إلى المكان المتفق عليه إلا أنه لم يشاهد شيئًا. وبعد خمس عشرة دقيقة من الطيران عاد الطيار بطائرته بعد أن رأى مآذن القاهرة فى ضوء الشمس الغاربة. فأين ذهب المصرى باشا؟ هل كشفت الخطة؟؟.

وفى صباح اليوم التالى فى الميعاد المحدد قام جهاز الإرسال بكنيسة سانت تريزة بإرسال الرسالة التالية: «من المحتمل أن يكون قد قبض على الباشا: الخيانة متوقعة ويخشى أن يكون جهاز الإرسال وموقعنا فى خطر، ونتيجة لذلك فسوف نقطع الاتصال». وانتهت الرسالة.

ولكن ما الذى حدث؟؟ لم نعرف الحقيقة إلا بعد انتهاء الحرب حيث انجلى الرد على هذا السؤال.

لقد أراد المصرى أن يطير إلى مكان المقابلة فى طائرة من طائرات سلاح الطيران المصرى وأبلغ خطته هذه إلى أحد قادة الأسراب الذى حدد موعد الطيران عندما يتسلم عمله فى مطار هليوبوليس، وبالطبع كان من الواجب أيضًا إخطار قائد الطائرة نفسه. وبينما كانت الطائرة تتزود بالوقود توجه

الطيار إلى برج المراقبة ليقدم نفسه إلى قائد برج المراقبة البريطانى ورغم أن هذا شك فى الأوامر، أمكن للطائرة أن تقلع إلى السماء ولكن بعد دقائق فقد الطيار ارتفاعه. فقد ظهرت طائرة بريطانية أمامه. فهل فقد الطيار أعصابه أم أنه لم يستطع أن يعيد السيطرة على الطائرة؟ ومهما كانت الأسباب فقد اضطر للهبوط الاضطرارى فاصطدم بمجموعة من الأشجار ثم بقمة نخلة فتشهمت الطائرة وهرب الطيار، وأنقذ المصرى من أعلى الشجرة بواسطة الشرطة العسكرية. وعند وصول الضابط البريطانى المسئول إلى مكان الحادث بعد محادثة تليفونية مع مطار هليوبوليس للقبض على الباشا، قام أحد الضباط المتقدمين فى السن (وكان من رجال المقاومة) بتمثيل دور المصرى وقبض عليه على أنه هو المصرى نفسه، وهرب المصرى. ولم يعلم البريطانيون بخطأهم إلا بعد ثلاثة شهور عندما قبضوا على الرجل الصحيح[1].

ولم يعلم رجال ريتر شيئًا عن ذلك رغم وجود شبكة من الجواسيس الإيطاليين الأكفاء فى القاهرة، وكان يقودهم ضابط إيطالى اسمه نانى.

وقد قامت المخابرات الألمانية بإدماج الضابط الإيطالى المدعو روبرتو فى هذه الشبكة وكان يعمل معهم فى أثينا. وقد استفاد الألمان كثيراً من معلوماته التى أمدهم بها فيما بين مايو 1941 ويناير 1942، إلا أن معلومات المخابرات الإيطالية كانت دائمًا لا يعتمد عليها.

وفى منتصف يونيو عقد فى برلين مجلس للحرب برئاسة الأميرال كناريس رئيس المخابرات الألمانية. وبدأ الأميرال كلامه قائلاً: «إن روميل يحتاج إلى معلومات وثيقة عن القاعدة البريطانية فى مصر، لأن استراتيجيته تعتمد على الخداع والمفاجأة، وأى معلومات مهمة نرسلها له تساوى أكثر

(1) بول كارل - نفس المرجع ص315.

بكثير من إرسال عشرين دبابة إليه، وعلى العموم لا يصله من الدبابات شئ الآن لأنها ترسل إلى روسيا».

ونتيجة لذلك وضعت خطة جريئة تضمنت تسلل اثنين من الجواسيس إلى القاهرة وحيفا. وبعد مؤتمر برلين هذا ظهر وجهان جديدان من الفدائيين التابعين لريتر الموجودين فى درنه، وكان أحدهما رجلاً ودودًا فى حوالى الخمسين من عمره يدعى كلين وكان اسمه المستعار باثاشون، أما زميله فكان رجلاً رياضيًا أزرق العينين يدعى مولينبروخ. وكان كلاهما يتكلم العربية بطلاقة كما كان بولينبروخ يعرف لهجات عديدة منها. فقد عاش كلاهما سنوات عديدة فى البلاد العربية، فعاش كلين فى الإسكندرية ومولينبروخ فى حيفا وكان عليهما أن يعودا إلى هاتين المدينتين لتركيب أجهزة إرسال سرية فيهما ثم إنشاء مركز التجسس. وكانت هذه هى الخطوة الأولى التى اتخذت لتسلل الجواسيس الألمان إلى القاعدة البريطانية فى مصر.

ودارت مناقشات طويلة حول طريقة إرسالهما، وهل يتم هذا الإرسال فى غواصات أو بالسيارات عبر الصحراء ولكن تبين تعذر هاتين الوسيلتين ولم يبق إلا وسيلة واحدة هى إسقاطها من الجو. وهناك طريق للقوافل يمتد من واحة الفرافرة إلى ديروط على النيل، وكان المازى يعرف تلا على بعد ستين ميلا من النيل ويعتبر علامة مميزة فى الصحراء، وجنوب هذا التل توجد مساحة واسعة من الأرض الصلبة تستطيع الطائرة الهبوط عليها بسهولة. وتستطيع الطائرة قطع المسافة بين درنة وهذا المكان فى أربع ساعات ونصف، أى يحتاج من تسع إلى عشر ساعات للذهاب والعودة. ولكن السؤال الذى تردد هو: كيف يمكن للجواسيس أن يقطعوا الستين ميلا من الصحراء التى تفصلهم عن النيل؟؟ هل على الأقدام؟؟ إن معنى ذلك هو الموت المحقق.

وكان المارى يعرف حلا آخر. فقد قطع الرحلة قبل الحرب بالسيارة. وبالطبع فإنه لا يمكن حمل سيارة فى الطائرة. ولكن ما القول فى دراجة نارية؟ إن هذه من الممكن شحنها فى الطائرة. وقد حسب حساب كل شئ (الحمولة - الوقود - التموين - والملابس والنقود) واستمرت عملية التقديرات المختلفة. وبعد بحث طويل عثر على دراجة نارية خفيفة الوزن وجهزت الطائرة وأصبح كل شئ معداً فى 16 يوليو 1941.

كان الجو فوق مطار درنة ساخنًا كأنه لهيب الفرن. ولم تبدأ الرحلة بداية حسنة فالطائرة التى كان عليها أن تسقط الجواسيس انفجرت إحدى عجلاتها، وكان على ريتر أن يقرر، هل يؤجل العملية أو يعدل عن خطته. وقال: «أن العمل لابد أن يتم وسوف تقوم طائرة الحراسة بالعملية وتقوم الطائرة المصابة بعملية الحماية من الجو. وحلقت الطائرتان على ارتفاع منخفض فى أول الأمر، وعندما دخلا مجال العدو الجوى ارتفعتا إلى ستة آلاف قدم. وعندما وجدتا أن الجو على هذا الارتفاع يملأه الغبار زادتا من ارتفاعهما إلى ما بين تسعة آلاف واثنى عشر ألف قدم. ومرت ساعة وساعتان وثلاثة وأربعة، وبعد طيران دام خمس ساعات أشار المراقب الجوى إلى مرتفع من الأرض. وهبطت الطائرة إلى ارتفاع عدة مئات من الأقدام، وكانت الشمس تميل نحو الغروب عند الأفق وكان عليهم أن يسرعوا، وظلت طائرة الحراسة تحلق على ارتفاع ثلاثة آلاف قدم. وأخذوا يتساءلون: «لماذا لم يهبط الطيار؟؟» وسأله الرائد ريتر: «لماذا لم تهبط؟»، إلا أن الطيار الشاب كان لا يزال يبحث عن أرض مناسبة. وأمره النقيب لينج: «اهبط بالطائرة يا رجل». وأوقظ كلين ومولينبرخ، اللذين كانا قائمين فى مخزن القنابل، وأنزل الطيار جناحيه استعداداً للهبوط إلا أن الطيار واصل طيرانه فوق الطريق. وصاح

ليمج «يحق السمـاء. . اهبط» إلا أن الطيار لم يهبط وكان ضوء النهـار يختفى بسرعة. وفى ثوان قليلة سوف يحل الظلام، ولا يسـتطيع أحد أن يقرر ما إذا كانت هناك صخور على الأرض الصلبة التى تعتبر مهبطًا طبيعيًا. وصاحوا فى الطيار: «أنزلهـا يا رجل. . أنزل الطائرة». وكان باستطـاعتهم مشـاهدة اتجاه الريح من الدخـان الذى أحـدثتـه قنبلة الدخـان التى أطلقـوها إلى الأرض. واستعد الطيار للهبوط إلا أنه عاد وارتفع بمقدمة الطائرة. وصاح ريتر: «ما فى الأمر؟» وسرعان ما شاهدوا بأنفسـهم السـبب. فعلى مرمى الأفق كانت توجد عربة استطلاع بـريطانية تسير على مـهل وتثير زوبعة من الغبـار. ولم يتمكن الطيار ولم يكن فى استطاعته بعـد انتزاع خزانات الوقود والمدافع والدروع قبل أن يطير، أن يجـازف بالدخول فى قتال مع عـربة الاستطلاع. ولذا يجب أن ينتظروا حـتى يخلى الطريق. فطار فى دائرة واسعـة ثم استـعد الطيـار للمرة الثانية للهبوط. وأرسلت الشمس الغاربة ظلالا غريبة إلى الأرض المتعرجة.

والآن يجب على الطائرة أن تهبط. وأمسك ركابهـا بكل قواهم بالمقاعد أمامـهم. ومرة أخرى عـاد الطيار وارتفع، ونظر إليه النقيب لينج متـسائلاً، وقال الطيار: «أن الأرض شديدة الوعورة، وسوف تتحطم الطائرة».

وكان وجهه مـحمراً. وصاح لينج: «كلام فارغ. إنهـا الظلال، فأشعة الشمس الغاربة تجعل كل ارتفاع فى الأرض قدره بوصة يبدو كأنه ثلاثة أقدام، والأرض مستـوية استواء المهبط فى مطار تمبلهـوف، اهبط الطائرة» ولكن كان الوقت متأخـراً وبدأ الطيار في دورة جديدة. وما أن أصبـح مقدم الطائرة فى اتجاه الريح حـتى كانت الشـمس قد اخـتفت. ورغم ذلك فـقد قـام بمحاولة أخرى. ولكن الأرض أصبحت كقطعة من القماش الأسود وذلك لهبوط الليل الأفريقى. ولم يجرؤ الطيار الشاب على الهـبوط. وغمغم قائلاً: «لا أستطيع

أن أفعل» وحملق فيه ريتر ولينج ثم سأله ريتر بحنق: «أيها المساعد الطيار هل تدرى ماذا أنت صانع؟؟ وعند ذلك ازداد عناد الصف ضابط الطيار وأجاب: «أننى مسئول عن الطائرة يا سيادة الرائد إذا تحطمت..»، ولم يكمل جملته لأن الجميع كانوا يعلمون ما الذى ينوى أن يقوله. فلو تحطمت الطائرة فإن المسؤولية تقع عليه لأنه لم يؤمر بالهبوط بطائرته فكان واجبه الطيران للحراسة فقط. وكان يطير فوقهم على ارتفاع ثلاثة آلاف قدم طيار مجرب ومن واجبه حسب الأوامر الهبوط بطائرته إلى الأرض. وقال لينج: «يجب على الجاسوسين أن يقفزا» فأجاب ريتر: «وماذا عن الدراجة فإنهما لا يستطيعان أن يسيرا على الأقدام ستين ميلاً خلال الصحراء إلى وادى النيل، علاوة على أن الطعام والماء يكفيهما لمدة ثلاثة أيام فقط وليس لمدة أسبوع عبر الصحراء».

وكان كلين ومولينبروخ ينامان فى حجرة القنابل ولم يعرفا شيئًا عما حدث، وقام الأخير واقترب من ريتر وسأله: «ما هى المشكلة يا سيادة الرائد؟؟» فهز ريتر كتفيه واستدار باتجاه لينج وقال: «كلا. كلا أنهما لا يستطيعان القفز. ويجب أن تؤجل العملية. ونأمل أن يعطينا سلاح الطيران الطائرات لمحاولة ثانية». ورد النقيب لينج ينقر بأصابعه على ظهر كرسى المراقب الجوى، أما ريتر فكان غاضبًا جدًا من نفسه لأنه غيَّر الطائرة بأخرى وكان يستطيع أن يتصور خيبة الأمل وهى ترتسم على وجه المازى عندما يعلم ما تم بسبب سوء الإدارة. وأثر أزير الطائرة واهتزازها فى الراكبين فجعلهم يشعرون بالنعاس، ولمعت ألف نجمة فى سماء الليل الأفريقى وهى تطل عليهم من نوافذ غرفة القيادة[1].

(1) بول كارل - نفس المرجع ص319.

أما عامل اللاسلكى فقد أخذ يلهو بجهاز إرساله ويستعد لاستقبال إشارة الموافقة بالهبوط. نعم فهذه هى محطة إرسال درنة التى اتصلت بهم وأخذت الرسالة تنقل تباعًا نقطة وشرطة نقطة ثم نقطة وشرطة. وأخذ قلمه يتحرك بسرعة فوق الورقة ثم جاء صوت المذيع: «غير مسموح لكم بالنزول فى درنة لأنها تتعرض الآن لهجوم جوى للعدو، توجهوا إلى مطار آخر». ثم حدث شىء آخر لكى يزيد الأمور سوءًا فقد اتجهت كل الأعين إلى عداد الوقود على لوحة القيادة. فهل لديهم الوقود الكافى لكى يصلوا إلى بنغازى التى تبعد مائتى ميل؟ وقال لينج: «ربما نستطيع ذلك». وبينما أخذوا يحسبون المسافة وكمية الوقود أخذ صوت المحرك الأيسر للطائرة يضطرب. ثم صمت الموتور وتوقف المحرك عن العمل ولم يبق سوى طريق واحد وهو أن يطيروا إلى درنة بالرغم من الهجوم الجوى البريطانى. وفى هذه اللحظة أطلق الرامى الخلفى النيران على قاذفة بريطانية، وغطس الطيار بطائرته ليتجنب الاشتباك. فهل تآمرت كل الظروف على إحباط هذه العملية؟؟. وقال عامل اللاسلكى: «جهاز الاستقبال توقف عن العمل، وعلينا أن نبحث عن مهبط اضطرارى على الساحل». وقال الطيار: إن هذا مستحيل يا سيادة الرائد. فكيف لى أن أعثر على مثل هذا المهبط على الشريط الساحلى الضيق؟».

وهبط بطائرته إلى أسفل، وقال لينج: «نحن فوق البحر». وقال الطيار: «لم يبق لدينا من الوقود إلا ما يكفى للطيران لمدة عشرين دقيقة». ورد عليه لينج قائلاً لعامل اللاسلكى: «أرسل إشارة الاستغاثة إلى سلاح الإنقاذ البحرى». ثم قال موجهًا كلامه للطيار ببرودة: «أيها الطيار لا تنس أن تخفض ذيلك عندما تهبط على الماء». وكان الليل حالكًا، والكون مثل سكون الموت، فقد توقفت الآلات وكان موقفًا صعبًا للغاية، إلا أن الطائرة

كانت من طراز هينكل 3، لذلك ظلت سابحة فوق الماء، فقد أعطتها خزانات الوقـود الفارغـة القـدرة على الطفـو، وزحف عامل اللاسلـكى والميكانيكى والجاسـوسان إلى مؤخرة الطائرة. وبما أن الطائـرة نزلت على الماء بذيلها أولاً فقد ارتفعـت غرفة القيادة ثم غرقت فى الماء ثم خـرج منها كل ركاب الطائرة عدا مولينبروخ الذى سـقط تحت صندوق فألقاه على الأرض، وخلال الظلام والصدمة الأولى لم يلاحظ الآخرون ذلك. وفتـحوا باب الطائرة وسرعان ما كانوا يسـبحون فوق غـرفة القيادة وأخـرجوا قاربًا من المطاط. وأقـبل الطيار سابحًا نحوهم. ولكن أين مولينبروخ والنقيب لينج؟؟؟

وزحف عامل اللاسلكى عائدًا إلى داخل الطائرة. وتعـثر بقوائم الطائرة الملتوية والدراجة وصناديق التـموين. وشعر بساق فصـاح: «مولينبروخ» وهو يجذب السـاق فلم يسمع صوتًا أو حركـة فقد تحطم رأس وصدر مـولينبروخ وفـارق الحيـاة. وبما أن عـامل اللاسلكى لم يسـتطع شق طريقـه إلى غرفـة القيادة، فقد اضطر إلى العودة.

فما الذى كان يحدث فى غرفة القيادة؟ لقد تسلل الماء خلال الباب الذى نجا منه الطيار. وكـان ريتر يجلس هناك فى ذهول فقد اصـطدم رأسه بجانب الطائرة عندما هبطت إلى الماء، وتدفق الماء حتى غطى ركبتيه. وحاول عبثًا أن يقف إلا أن ذراعه الأيمن كانت تحطمت. وأمامه فى مقعد المراقب الجوى كان يجلس النقـيب لينج وقد وصل الماء إلى صـدره. وكان هو الآخـر يحاول أن يخلص نفـسه إلا أن ذراعيـه كانتـا تسقطان ثانيـة فى الماء وسقط رأسـه على صدره وصـاح ريتر قـائلاً: «لينج، يجب علينا أن نخرج مـن هذا المأزق. ما الذى حدث لك؟» وغمغم لينج بشىء واستعـاد صوابه وجر نفسه إلى الباب. وساعـده ريتر بدفعـه بكلفة وأصبح لينج طليـقًا من حبـسه. وانزلق فى الماء وجذبه الآخرون إلى الزروق.

ثم صعد ريتر إلى مقعد الطيار وانحنى لمدة وجيزة ليستعيد أنفاسه، وسمع لينج ينادى: «تعالى يا سيادة الرائد، إن غرفة القيادة سوف تنحطم فى أية لحظة». ولم يكن لديه حزام للنجاة علاوة على أنه لا يستطيع السباحة بذراعه اليسرى وحدها، أما ذراعه اليمنى فكانت معلقة كأنها كتلة من الرصاص وكانت تؤلمة للغاية ولذلك قام بالسباحة على ظهره فقط. وصاح بصوت عال محاولاً أن يبقى على اتصال بالرجال الموجودين فى القارب. وأخيراً تمكنوا من الوصول إليه بالقارب ثم غرقت الطائرة وأصبحت قبراً لولينبروخ.

ومكثوا فى الماء اثنتى عشرة ساعة، وكان فى الزورق أربعة رجال واثنان معلقان بحبال النجاة فى الماء إذ لم يتسع القارب لأكثر من أربعة. وكسرت ذراع ريتر اليمنى. أما كلين فقد خلعت كتفه، وأما لينج فكسرت له عدة ضلوع. وقام الرجال غير المصابين بالتجديف طول الليل حتى ظهر اليوم التالى عندما قذفهم المد على الساحل بين درنة وبريس، وبعد سير مضن خلال الصحراء وصلوا إلى قرية عربية والعطش يكاد يقتلهم، ومن هناك نقلتهم طائرة تابعة لسرب سلاح الإنقاذ الصحراوى، أما الطائرة الثانية فقد وصلت إلى بنغازى. ولم يبق فى خزان وقودها سوى قطرات من الوقود.

وهكذا انتهت المحاولة الأولى للمخابرات الألمانية لتوصيل جاسوسين إلى القاهرة، أما قائد سلاح الطيران الألمانى فى أفريقيا فغضب وأعلن أنه لن يعطيهم طائرات بعد ذلك، ونقل ريتر بالطائرة إلى مستشفى فى ألمانيا وتولى المازى قيادة الفدائيين بعده[1].

(1) بول كارل - نفس المرجع ص322.

آراء رومل فى القيادة البريطانية:

يقول اللواء البريطانى عن آراء رومل فى القيادة البريطانية ما يلى:

لم يكن موقف رومل عن اعدائه موقف القادح المستنكر على طول الخط، ومن هنا كانت معاملته لأسراه منهم، أقرب إلى معاملة الصديق للصديق!. ولقد كان رومل، ككل ألمانى، ينظر بعين السخط فى أول الأمر إلى استخدامنا الفرق الهندية فى الحرب ضد الأوربيين ثم تغيرت نظرته هذه بعد أن ألتقى مع الفرقة الهندية الرابعة، وتبين أن الجندى الهندى ليس أقل من غيره من الجنود إطاعة للأوامر. أو قدرة على الحرب فى الصحراء.

وقد كان رومل لا يحتمل السخرية الهادئة - ولو لغرض الدعاية - من قبل الإنجليز الملونين الذين رافقوا قوات جنوبى أفريقيا، وأن كان على علم بأن أولئك الإنجليز غير محاربين.

وكان رومل يرى أن الأستراليين قساة، وأنهم أسد قسوة على الإيطاليين خاصة. على أن هذه القسوة كانت من النوع الذى يروقة ويعجبه. وقد صرح غير مرة بأن الأستراليين جنود ممتاوزن، وبأنه يود لو كانت لديه فرقة منهم، ولكنه كان يعجب بهم حين يحاربون فرادى، أما أن يحاربوا جماعة فأن قيادتهم فى رأية لم أصعب المهام!

أما جنود جنوب أفريقيا. فكان رومل يرى أنهم «خامات» لا بأس بهم، ولكنهم مازالوا فى حاجة إلى الصقل والتهذيب. ويرى أن سياراتهم المدرعة قامت بدور كبير فى حرب الصحراء. كما حاربوا أخيراً فى العلمين بصورة ممتازة. أما عن النيوزيلنديين فكان أعجابه بهم قد بلغ درجة متناهية.

ولطالما صرح رومل لابنه منفرد، ولصديقه الدنجر، ولغيرهما، بأن النيوزيلنديين، أبدع جنود لدى البريطانيين!».

أما موقفه من البريطانيين أنفسهم، فالثابت أنه كان يصفهم بأنهم «هواة حرب، يمكن الاعتماد عليهم إلى حد كبير فى العمليات الصغيرة المستقلة من غيرها، كما هو شأن قوة مصلحة الطيران الخاصة، ورجال جحفل الصحراء. فقد كان هؤلاء خيراً من الألمان الذين لم تكن لديهم نفس الثقة، أو أن يظهروا كثيراً من الأقدام خلف خطوط الأعداء. وكان يصف التشكيلات البريطانية بأن فيها صلابة وشجاعة فى الدفاع، ولكنها ليست مدربة تدريبًا كافيًا!»، وقد استثنى من ذلك الفرقة السابعة المدرعة، ودباباتنا الفردية «تميل إلى الاشتراك فى القتال والهجوم فى جرأة وإقدام!».

أما فيما يختص بنظم القيادة البريطانية فكان رومل يتهمها بالبطء، وإضاعة الوقت سدى، فى إصدار الأوامر المكتوبة وإعدادها وتوزيعها، وقد بحثت ونقبت كثيراً للوقوف على آراء رومل فى القادة البريطانيين، فلم أقف إلا على رأى له فى الجنرال ويفل، قال فيه: إنَّ حملته ضد الإيطاليين يجب أن تدرس دائمًا على أنها أسمى مثل للدقة فى التصميم والجرأة فى التنفيذ لقائد ليست لديه إلا موارد ضئيلة».

وهكذا يتضح أن رومل كان يقيس منافسيه بمقياس عسكرى صرف، ويحكم عليهم حكمًا منزهًا عن الهوى والعاطفة، ومن هنا لم يعرف عنه أنه أبغض واحداً منهم لشخصه، بل يمكن القول بأنه على عكس ذلك أحب كثيرين منهم، وأنه كان يحب النيوزيلنديين على الإطلاق، أفرادًا وجماعات!

وقد أدلى الجنرال يوهان كرامر - آخر قائد للفليق الإفريقى - إلى مندوب صحيفة «التيمس» بعد أن وضعت الحرب أوزارها بحديث قال فيه: «إن الحرب فى شمال أفريقيا كانت حرب الجنتلمان».

وكان روميل فخوراً بتلك الصفحة النظيفة لسلوك جنوده وجنودنا، ذلك لأنه يرى وجوب مراعاة السلوك السليم السوى، واتباع القوانين العسكرية. ولم يكن ذلك غريبًا منه، فإن الآداب الحربية كانت مرعية تمامًا من السواد الأعظم من الضباط النظاميين، وبخاصة ممن التحقوا منهم بالخدمة العسكرية قبل عام 1933. على أن هناك بعض استثناء من هذه القاعدة فيما يختص بفريق من أصحاب الرتب العليا، أمثال كيتل ويودل وغيرهما ممن باعوا أنفسهم لهتلر، وكانوا على استعداد تام لأن ينفذوا أكثر أوامره قسوة وحماقة، حتى إذا كان رأيهم فيها غير ذلك!

ومن هنا كانت دهشتنا شديدة حين رأينا آداب الفروسية معمولاً بها فى دقة واضحة من قبل روميل وجنوده.

ولم نكن نعرف شيئًا من أمر العداء المستحكم بين حزب النازى والجيش فى ألمانيا، أو بعبارة أخرى حقد النازى على الجيش، واحتقار الضباط للنازى ولكثير من القادة الخائرى العزيمة أمام طغيان هتلر، فكان من الطبيعى أن يختلط الأمر علينا، وأن نضع الألمان جميعًا فى كفة واحدة.

وليس يخفى أن الأمم تؤخذ بجرائم حكوماتها، وقد كنا نعلم أن ألمانيا أسلمت قيادتها لهتلر، كما أسلمت إيطاليا قيادتها لموسولينى، فلم يكن بدعًا أن نعد الألمان والإيطاليين جميعًا من المجرمين. وهل كان الألمان يتوقعون منا نحن أعداؤهم أن نميز من يلبسون زى الجيش منهم، عمن يلبسون زى النازى؟!

وأيًا كانت أعمال الجيش الألمانى فى بولندا وروسيا، فلا شك فى أنه قد حارب حربًا نظيفة فى جميع الميادين. بل لا شك فى أن حربه العالمية الثانية،

كانت أكثر نظافة من حربه العالمية الأولى. وربما كان ذلك لأن الضباط كانوا على علاقة طيبة بالجنود، أو لأن الجنرال فون سيكت ومن جاءوا بعده، قد بذروا فى الجيش تقاليد جديدة أفضل، فلم يحدث فى الحرب الأخيرة ما عهدناه فى الحرب الأولى من قتل الأسرى!

وعلى أى حال، سرعان ما أدرك البريطانيون أن الفليق الأفريقى يريد أن يحارب وفقًا للقوانين الحربية السليمة. ومن أجل هذا وضعت الثقة كلها فى روميل، الذى كان المثل الأعلى للفليق الأفريقى فى كل شىء، والحق أن روميل كان جديرًا بهذا كله وبما هو أكثر منه![1].

يقول الجنرال بايرلاين: «أننا نحمد الله، على أنه لم يكن بيننا فى الصحراء جنود من (فرق الدفاع)[2] وإلا فالله وحده يعلم ماذا كان يحدث. ولا شك فى أن الحرب ما كانت لتجزى بالصورة التى جرت بها».

وحدثنى مرة أخرى فقال: «أن أى ضابط ألمانى لم يكن يستبعد أن يعين قائدًا لفرقة من «فرق الدفاع» «الاس أس» فى الميدان، ولكن المستبعد حقًا أن يستطيع إخضاعهم له، وإلزامهم بتنفيذ أوامره، مهما تكن قدرته وبراعته، وويل له أن حاول الإصرار على ذلك، فأقل ما ينتظر أن يبلغ اسمه إلى هملر - المشرف الأول والأخير على تلك الفرق - فيكتب عنده فى القائمة السوداء!».

وحدث يومًا أن هبط الجنرال بايرلاين إحدى محطات السكك الحديدية ومعه ملء قطار من جنوده. وهناك رأى بعض جنود فرقة الدفاع يسوقون

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص163.

(2) فرق الدفاع هى التشكيلة النازية التى عرفت باسم فرق أس.أس s.s والتى اشتهرت بالقسوة والعنف.

أمامهم قطعيًا من الأسرى الروسـيين، ويضربونهم بمؤخرة بنادقهم. ولم يطق السكوت على هذا المشهد الوحشى، فحاول منعهم من الاستمـرار فيه، وما كاد يفعل حتى تصدى له واحد من جنود فرقة الدفاع وقال له في وقاحة:

«ومن تكون أنت؟ وما شأنك وهذا؟» فلما أنبأه بأنه جنرال فى الجيش. هز كتفيه وقال: «أننا لا نتلقى أوامرنا من جنرالات الجيش، أننا جنود الدفاع. نتلقى أوامرنا من هملر وحده!».

وأخذ الجنرال حـمية العسكرية والفروسـية، فصـرخ فى ذلك الجندى الوقح قائلاً: «إذن تصعد إلى هذه الشـجرة، لأننى، إن لم تطع ما آمرك به. فسأشنقك ويتدلى جسمك منها خلال ثلاث دقائق!».

ولما كان الجنرال يصـحب قطارًا مليئًا من جنوده، لم يسع جندى فـرقة الدفاع، إلا أن يكف عن ضرب الأسرى، ويقدم اعتذاره للجنرال فى الحال!

ولكن لم يمض أسبـوعان حتى كان اسم فريتس بايـرلاين بين الأسماء التى تحتويها قائمـة هملر السوداء، ويضيف بايرلاين إلى ذلك قوله: «ولو أن مؤامرة 20 تموز أفلحت لوقعت حرب أهليـة بين فرق الدفاع وبين الجيش فى إيطاليا».

لم يكن أفـراد الفليق الأفـريقى إذن يضربـون الأسرى، بل كـانوا على عكس ذلك يعـاملونهم بشيء من الملاطفـة واللين يذكرنا بعـهود الفـروسيـة القديمة!.

ولقد التقيت فى (غمبـوط) بعد معركة مايو عام 1942، بأحد مصورى الجيش، وكـان اسكتلنديًا، وقـد أفلح فى الإفلات من قـبضة الألمـان بعد أن أسـروه بساعـتـين. فكان مما قاله لـى: «أى قوم هؤلاء الألمان؟ أننى لا أكـاد

أصـدق ما رأيت. لقـد جاءنـى ضابط ألمانى، ثم طلـب منى آلة التصـوير، فأعطيته إيـاها طبعًا معتقدًا كل الاعـتقاد بأنى فقدتها إلى الأبـد، فهذا أقل ما ينتظر فى مـثل هذه الحـال، وشد مـا ذهلت، حين وجـدته يلاطفنى وكـأنه صديـق حميـم قديم، ثم يسـجل بجانب اسـمى وصف تلك الآلة، وتاريخ تسلمهـا منى. ويعدنى بأن ينظر فى أمـرى وأمرها مع رئيـسه المسئـول عقب الفراغ من المعركة!».

بهذه القصـة وأمثالها كنت أتحدث عن معـاملة الألمان للأسرى، ثم جاء دورى أنا الآخر ووقعت أسيرًا فى أيدى الألمان، فـماذا رأيت؟ رأيت كثيرًا مما هو أروع من ذلك. وكانت القصة الأولى قـصة الجندى الألمانى الذى فتشنى. فقد رد إلى فى أدب جم علبة السجـاير الذهبية التى وجدها بين ملابسى. ثم تلطف فى الاعتـذار من عدم استطاعـته أن يرد إلى ناظورى قـائلاً: «إن علبة السجائر لا خـير فى تركها معك، أما هذا المنـظار فأنت تعلم أنه من المعدات العسكرية!»

وهكذا كانت معاملة جميع الأسرى فى المعتقلات الألمانية، اللهم إلا إذا كان سوء حظ الأسير قد أوقعه فى أيدى الإيطاليين!

ومما هو جـدير بالتسـجيل، أن الحـوادث السيئـة التى وقعـت للأسرى البريطانيين فى المـعتقلات الألمانيـة بالصحراء، كـان أكثرها راجـعًا إلى أخطاء البريطانيين أنفسهم!.

وقد حدث - مثلاً - أننا أصدرنا أمـرًا يقضى بألا يقدم الطعام للأسرى إلا بعد اسـتجوابهم، وكان الهـدف الذى يرمى إليه هذا الأمر غاية الـسذاجة فالمفهوم أن الأسيـر إذا استجوب عقب وقوعه فى الأسر مـباشرة، فقد يؤدى ذلك إلى نسيانه، وهو فى غمرة ذهوله، معلومـات قد تكون على جانب كبير

من الأهميـة. أما إذا استجوب بعـد أن يأكل ويشرب ويدخن سيـجارة، فإنه يكون قد ذهب عنه الروع ويستطيع أن يجمع شتات ذهنه والإدلاء بما لديه من معلومات[1].

ولم يكن من الحكمـة فى شىء أن يطبع هذا الأمـر. ويوزع فى المناطق الأمامية، حيث يحتـمل وقوعه فى أيدى الألمان. ولم أتحقق مدى ما فى ذلك التصرف من حماقة، إلا بعد أن بلغت مطار التـميمى. وقد كاد يقتلنى التعب والظمأ والجوع.

لقد أمـضيت اثنتا عـشرة ساعـة واقفًا فى السـيارة تحت أشعـة الشمس المحرقة. دون طعام ولا ماء، ولم أكن ذقت طعـامًا قبل ست ساعات أو سبع من وقوعى فى الأسر، منذ أربع وعشرين ساعة، فلا عجب أن انصرفت كليًا إلى التلهف على قطرات من الماء، وكسرة من الخبز الجاف!

ولم تكن حال زملائى الأسـرى خيراً من حالى بكثيـر!.. ولكن نقمتنا على الألمان الذين تركـونا نعانى كل هذا الحـرمان، لم تكن شيـئًا مـذكوراً، بالقياس إلى نقمتنا على من أصدروا ذلك الأمر السخيف من قادتنا الأجلاء!

فقد صـرح لنا به الضابط الألمانى الشاب الذى كـان يشرف على نقلنا، وكان يجيـد الإنجليزية، إذ قال لنا بلهجة تقطر أسـفًا: «أسف يا سادة، ليس باستطاعتى أن أقدم لكـم طعامًا أو شرابًا. فما دمتم فى أوامـركم المطبوعة قد أبيـتم إلا أن يتضـور الأسرى الألمان جـوعًا، ويحـترقـوا ظمأ إلى أن يبلغـوا القاهرة، ويتم استجـوابهم هناك ثم إننا مضطرون إلى أن نعاملكم بالمثل، فلن تنالوا شيئًـا من الطعام أو لماء إلا بعد استجـوابكم فى بنى غازى! وإلا إذا ما وجدت الحكومة البريطانية أن من الأصلح لها أن تلغى هذا الأمر، وقد طلب إليها ذلك».

---

(1) اللواء إدموندز يونغ - نفس المرجع ص165.

وفعلاً فقد ألغت الحكومة البريطانية ذلك الأمر وقد تحققنا من إلغائه حين بلغنا (درنة) فى اليوم التالى، فأعطانا القوم بعض الشراب، ووجبة من الطعام قبل الاستجواب!

وقد يعد هينًا ذلك البلاء الذى ترتب على إصدارنا ذلك الأمر، إذا، قارنا بينه وبين النتائج، التى ترتبت على أمر بريطانى آخر، وجد مع ضابط فدائى أسر أثناء قيامه بهجوم على طبرق فى أغسطس 1942.

ولم أطلع على النص الإنكليزى لهذا الأمر، ولكنه كما علمت كان يرمى إلى تأكيد أهمية تكبيد العدو خسائر فى الأرواح، وأن أسر جنوده ليست له مثل هذه الأهمية. ولكن الترجمة الإيطالية لهذا الأمر جعلت معناه وجوب قتل الأسرى إذا لم يمكن نقلهم فى سهولة!

ومهما يكن من خطأ الترجمة الإيطالية، فقد كان على حضرات ضباط أركان الحرب الذين يتولون إصدار مثل ذلك الأمر، أن يتذكروا أن الظلال الجميلة للمعانى، قد لا يوجد لها نظير فى اللغة التي تترجم إليها، كما كان عليهم أن يتذكروا أن أوامرهم معرضة لأن تقع فى أيدى العدو، وحينئذ يدفع مواطنهم من الأسرى، ثمن تلك الحذلقة غاليًا. وهذا هو ما حدث مع الأسف الشديد، إذ وضعت الأصفاد فى أيدى جنودنا المأسورين، بعد أشهر من الإغارة على دييب، وذلك لأن الأوامر التى أصدرناها بوضع القيود فى أيدى الألمان، وقعت فى أيدى الألمان أنفسهم!.

وكانت النتيجة المريرة أن أصدر هتلر أمره المشهور فى 18 أكتوبر 1942 وفيه يقول:

«ومن الآن فصاعداً يجب أن يقتل جميع الأعداء الذين يحاربون الألمان فى أوروبا أو أفريقيا سواء أكان أولئك الأعداء فى ملابسهم العسكرية أو كانوا

من جنود التخريب والفدائيين وسواء أكانــوا مسلحين أو غير مسلحين. وليس ثمة أى فرق بين هؤلاء وبين الجنود الذين تنزلهم السفن إلى الشاطئ أو الذين ترمى بهم الطائرات للقيام بأعمــالهم العسكرية، أو يهبطون بالمظلات. ويجب الا يقبل منهم أى عذر، ولو أبدوا استعدادهم لأن يسلموا أنفسهم قبل قيامهم بأى عمل عدوانى!».

وفى فقرة أخرى من هذا الأمر، استـثنى هتلر ممن يجب تطبيقه عليهم، جنود العدو الذين يؤسرون أو يستسلمون فى المعـارك العادية (كأعمال الهجوم الواسع النطاق، وعـمليـات النزول إلـى الشاطـئ، أو الجنود الذين تحـملهم الطائرات).

وختم هتلر ذلك الأمر بقوله: «وسأحمل تبعة عدم تنفيذ هذا الأمر أمام القانون العـسكرى، كل القواد والضباط الـذين يتجاهلون واجبـهم فى إبلاغه إلى الجنود، أو الذين يحجمون عن تنفيذه أيما كانت الأسباب».

وفى الثامن عشر من شهر يونيو 1946 مثل الجنرال فستفال أمام محكمة نورمبرغ، وتضمن استجوابه ما يلى[1]:

س: هل كنت فى الجبهة الأفريقية؟

ج: نعم، ولبثت هناك أكثر من سنة ونصف السنة.

وكيف كان سير القتال؟

أستطيع أن أستطيع أن أجيب عن ذلك فى عبارة واحدة، هى أن المعارك كانت تسودها كلها روح الفروسية ولا غبار عليها.

من كان رئيسك؟

---

(1) اللواء إدموندز يونغ - نفس المرجع ص167.

المارشال روميل.

- ألم يصدر أوامر أو يتخذ عقوبات فيها خرق القوانين الحرب؟

- كلا.

- أى منصب كنت تشغله فى تلك الجبهة؟

- كنت رئيس أركان حرب روميل أخيراً.

- إذن فقد كنت على اتصال دائم به؟

- نعم

- هل تذكر الأمر العسكرى الذى أصدره هتلر فى 18 أكتوبر 1942؟

- نعم أذكره.

- هل تسلمتم هذا الأمر فى جبهة الصحراء العربية؟.

- نعم تسلمنا هذا الأمر فى الصحراء بالقرب من سيدى برانى، على يد ضابط اتصال.

- ماذا كان موقف المارشال روميل حين تسلم الأمر؟

- لقد قرأت الأمر أنا والمارشال واقفين إلى جوار سيارتنا، فاتفقنا على ألا ننشره وأحرقناه فى المكان الذى كنا فيه. وكانت لدينا أسباب وجيهة لذلك، رغم علمنا بالبواعث القوية التى دفعت هتلر إلى إصداره، ومن بينها الأوامر المماثلة التى أصدرها البريطانيون وقعت فى أيدينا. فقد قالوا فى أحد هذه الأوامر:

وأصدر لواء بـريطانى مدرع أمرًا صـريحًا بألا يعطـى الأسرى أى شىء يشـربونه! . . رغم هذا كله لم يشـأ المارشال رومل أن يبلغ ذلك الأمـر الذى أصـدره هتلر إلى جنودنا، تلافـيًـا ما يؤدى إليـه ذلك من فظائع يفـتـرقهـا الفريقان. فكان أن أحرقناه بعد مـضى عشر دقائق على تسلمنا إياه. وما أظن أن قـائدًا فى الشرق أو فى الغـرب. كأن يسـتطيع أن يفـعل حينذاك أنبل مـا فعلناه! والحـقيقـة أن رومل لم يكن الجنرال الألمانى الوحيد الذى تجـاهل مثل ذلك الأمر.

وكذلك سـئل الجنرال فستـقال عن الحكاية الغريـبة التى رويت عن ابن أخت الفـيلد مارشال الـكسندر، الذى أسره جنود رومل خـلال اشتـراكه فى بعض الأعمال الفدائية. فأجاب الجنرال فستفال بقوله.

فى خـريف عـام 1942 وقع فى الأسـر وراء الخطـوط الألمانيـة فـدائى بريطانى شاب، كان يـلبس قبعة من قبـعات الفليق الأفريقى، ومعـه. مسدس ألمانى. وكان المفروض أن يقـتل ذلك الفدائى رميًا بالرصاص لمخالفـته قوانين الحرب. ولكن المارشال رومل أصـدر أمره بأن يعامل هذا الفدائى كـما يعامل بقية الأسرى العـاديين. وذلك لأن ذلك الفدائى ابن أخت المارشال الكسندر! وحينما اقترح على رومل أحد ضـباطه بأن يطلق الرصاص على ذلك الأسير، صـرخ رومل فى وجـهه قـائلاً: «يالك من أبله! . . ألم تـعلم بأنه ابن أخت المارشال الكسندر؟. هل تريد فرقًا إضافية أخرى يحاربنا بها البريطانيون؟».

ومن الطريف أن ذلك الفدائى الأسير لم يكن من أقارب الفيلد مارشال الكسندر. ولكن رومل وفسـتـفال قـد صدقـا ادعاءه ذاك. وقـد روى رومل لأسرته قصة ذلك الفدائى على ذلك الأساس!

ولا يتسع المقـام لسرد كل القصص التى تروى عن حسن مـعاملة رومل للأسرى، وهى كلها تحسب من حـسناته ومزاياه. ومن أروع تلك القصص ما

رواه لى أمـير اللواء ج.هـ. كـلفتن الذى قاد اللواء النـيوزيلندى فى إحـدى المعارك فأسره رجال روملى، وأودعوه فى معـسكر الاعتقال التاسع والعشرين. وفى الليل حاول كلفـتن الهرب من المعتـقل بأن أدلى نفسه من شـباك الطابق الثـانى إلى جدار يقع وجـهًـا لوجه أمـام مكان الحرس، وإذ أحس الحـارس بوجود حـركة بالقرب منه أدار كـلفتن وجهه إلى الجـدار، حتى إذا ما ابتـعد الحارس عن المكان، أخذ يزحف على بطنه داخل منطقـة الأسلاك الشائكة ثم واصل سيره بسـرعة هائلة فبلغ محطة «بنت دوليـو» ومن هناك استقل القطار إلى ميلانو وعـندما وصل محطة «كومـو» وقع فى غلطة فاضحة. فـقد عزم على أن يتبـع الطريق التى تمر بمدينة «فيـلاديست» - كما حـاولت أنا ذلك - ومن هناك يجتاز الحدود الجبلية إلى سويسرا.

ولكى لا يذهب وقته سدى، فقد استـأجر عربة من محطة «كومو» وفى اللحظة التى كـان يحاول الصـعود إليـها، أطبق عليـه شرطيـان كانا يراقـبان حركاته من قـبل، وهكذا أعيد إلينا كلفتن ثانيـة ومن هناك نقل إلى ألمانيا فى عربة قطار بحرسه فيها جنديان، وقـد حاول المروق من نافذة العربة أثناء سير القطار[1].

وعندما التقيت بأرملة روملى كان أول سؤال وجهته هو قولها هل:

عـرف أمـيـر اللواء كلفتن؟ أيـن هو الآن وهل اسـتطاع الإفـلات من الاعتقـال؟ لقد كان زوجى نعمـل رأيًا طيبًا عنه وكان يتـوقع هربه من إيطاليا دائمًا».

ولكى أوجز فى بيان الروح التى كانت تسود حرب الصحراء، أنقل هنا بعض مـا أورده أن رافنشـتين عن ذلك فى مـذكـراته، قال: «حـينمـا بلغت

(1) اللواء إدموندز يونغ - نفس المرجع ص169.

القاهرة، استقبلني أحد مساعدى بجنرال أوكنلك، في لطف ملحوظ، ثم أوصلني إلى الجنرال أوكنلك نفسه في مكتبه. فصافحني وقال: أنني أعرف اسمك جيداً. لقد حاربت أنت وفرقتك حرب الفروسية، واجب أن يأملك على أحسن صورة ممكنه».

ومضى فون رافنشتين فقال: وقبل أن أبرح القاهرة بلغني أن الجنرال كامبل، قد منح وسام صليب فيكتوريا، فاستأذنت في أن أكتب إليه مهنئًا، وسرعان ما حصلت على هذا الإذن. ولا تزال عندى صورة من الرسالة التى كتبتها إليه وهى:

«العباسية فى 10/2/1942»

عزيزى الفريق كاميل:

«لقد قرأت فى الصحف أنك كنت خصمي الشجاع في معركة الدبابات عند سيدى رزق، يومى 21، 22 نوفمبر عام 1941. ولقد كانت فرقتى الحادية والعشرين المدرعة، وهى التى تنازل فرقتك السابعة المدرعة التى أكن لها أعظم الإعجاب والتقدير. أن مدفعيتك قد جعلت القتال عسيراً علينا، ولن أنسى قط القذائف التى أسقطتها حولنا.

«إن زملائى من الألمان ليبعثون إليك بأحر تهانيهم على منحك وسام صليب فكتوريا.

«وتقبل تحيات من كان فى الحرب عدواً لك».

فون رافنشتين

ولقد قتل كامبل بعد ذلك بقليل، عندما انقلبت سيارته عند «بقيق»، وما أظن أنه تلقى هذه الرسالة. ولو أنه تلقاها لفرح بها!!

أيزنهاور يحتقر الأسرى:

وهناك رأيان مختلفان فى المحافظة على روح الفروسية فى الحرب. وأنا أكتفى هنا برأى للجنرال أيزنهاور ذكره فى كتابه «الحرب الصليبية فى أوروبا» فقال:

«عندما جئ إلينا بفون ارنيم من الجزائر فى طريقة إلى المعتقل، رأى بعض الضباط فى هيئة أركان حربى، أن على - مراعاة للتقاليد الحربية التليدة - أن آذن له فى أن يزورنى. ولكنى رأيت أن تلك التقاليد، كان لها ما يبررها فى العهود الماضية حين كان المحاربون أكثرهم من المرتزقة. فكانوا يحاربون رغبة فى المال أو رغبة فى القتال، دون أن تكون هناك عداوة بين الفريقين، ومن هنا كان القائد الذى يقع فى الأسر فى القرن الثامن عشر، ينزل لدى أسيره ضيفًا معززًا مكرمًا، ويبقى كذلك أسابيع أو شهورًا.. ولكن هذه الحرب العظمى الثانية، فيما أرى ليس فيها مجال لمثل تلك العواطف. وأننى لأزداد يقينًا يومًا بعد يوم، بأن القوى التى تدافع عن الصالح الإنسانى وحقوق الإنسان، قد واجهتها فى هذه الحرب مؤامرة شريرة لم يحدث مثلها من قبل، فلا ينبغى لذلك إبداء أى تهاون فى عقاب القائمين بها، مادمنا مؤمنين بأنه لا سلامة للعالم إلا بالقضاء على مؤامرتهم. وعلى هذا لم أسمح قط بأن يزورنى، ولا بأن يرانى أحد من أولئك القواد الأعداء الأسرى، ولقد اتبعت هذا الأسلوب حتى نهاية الحرب. فلم أتحدث إلى جنرال ألمانى واحد، اللهم إلا الفيلد مارشال يودل الذى وقع شروط الاستسلام فى ريمس عام 1945، بل لقد حرصت فى ذلك الحين على الاكتفاء فى حديثى معه بكلمات أوجزت فيها ما أراده، من أنه سيكون المسئول الأول عن تنفيذ شروط التسليم».

والجنرال أيزنهاور رجل حكيم طيب، لا يمكن أن يختلف معه الإنسان مختارًا. ولكننى رغم ذلك أقرر أن هناك كثيرين من كبار القواد مازالوا يرون أن تلك التقاليد الحربية الماضية جديرة بالتقدير والإجلال، وتستحق البقاء، ولا سيما أننا، بعد انتهاء الحرب، لابد لنا من أن نعيش معًا فى عالم واحد يسوده السلام![1].

* * *

(1) اللواء إدموندز يونغ - نفس المرجع ص171.

فهرس المحتويات

	الصفحة
مقدمة	7
الفصل الأول: سقوط بنغازى.	11
الفصل الثانى: غارة على حصن «لامى» فى تشاد فى 1942/1/21.	65
الفصل الثالث: معركة الغزالة من 5/26 إلى 1942/6/15 .	113
الفصل الرابع: الاستيلاء على طبرق.	223
الفصل الخامس: رومل والقيادة البريطانية.	305

في هذا الكتاب

مقدمة

الفصل الأول : سقوط بنغازي .

الفصل الثاني: غارة على حصن "لامي" في تشاد في 1942/1/21 .

الفصل الثالث: معركة الغزالة من 5/26 إلى 1942/6/15 .

الفصل الرابع: الاستيلاء على طبرق .

الفصل الخامس: رومل والقيادة البريطانية .



المؤلف في سطور

- من مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة.
- رئيس مركز العيدروس للدراسات والاستشارات ومجموعة العيدروس التجارية.
- حاصل على الليسانس من لبنان والماجستير في التطورات السياسية في الإمارات العربية 1932 - 1971 والدكتوراه من مصر عام 1983 في العلاقات العربية الإيرانية 1921 - 1971.
- عمل في دائرة الإسكان والمشتريات بالحكومة المحلية في إمارة أبو ظبي 1970 - 1973 ثم مديرا للعلاقات الثقافية بالحكومة الاتحادية لدولة الإمارات العربية المتحدة 1979 - 1984، ثم جامعة الإمارات العربية المتحدة 1984 - 1993 وقام بالتدريس في كلية زايد العسكرية في مدينة العين وكذلك بكلية الظفرة الجوية في أبو ظبي، كما شارك في دورة تدريب الدبلوماسيين في وزارة الخارجية بدولة الإمارات العربية المتحدة، ثم في جامعة الكويت 1993 - 2000 ثم في جامعة روتردام الإسلامية بهولندا 2000 - 2002، ثم في القوات المسلحة لدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من 2002-2006: الأمين العام للجنة الإمارات للتاريخ العسكري
اسكاندافيا للاتصال ال
السويد من عام 2007 حـ
في العديد من الجمعيات
والدولية وعضو في الأ
المؤرخين العرب منذ عام
ورئيس تحرير مجلة
الإسلامية.
- صدر له أكثر من اثنى
من أربعين بحثا معظمها في الخليج العربي والدراسات العربية والإسلامية.

